

العدد

46



المجلس العربي للطفولة والتنمية
Arab Council for Childhood and Development

الطفولة والتنمية

مجلة متخصصة - علمية مُحكمة - ربع سنوية
العدد 46 - شتاء 2023

- جودة ممارسات معلمات رياض الأطفال: أنموذج مقترح
- التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي على الطفل والأسرة في المجتمع العربي
- اضطراب بيكا لدى الأطفال وتشخيصه وطرق علاجه
- عوامل الشعور بالسعادة لدى الأطفال
- شعر الطفل في منطقة الخليج العربي (قراءة في دوريات الطفل)

ملف العدد

التغيرات المناخية وحقوق الأطفال

مجلة الطفولة والنمى

مجلة الطفولة والتنمية

دورية علمية - متخصصة - محكمة - ريع سنوية

العدد (46) - صيف 2023

يُصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية

بدعم من برنامج الخليج العربي للتنمية (أجفند)

حاصلة على

معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسيف Arcif)

التقييم الدولي ISSN 8681 - 1110

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية 2001/6942

حقوق الطبع محفوظة للمجلس العربي للطفولة والتنمية

تقاطع شارعي مكرم عبيد ومنظمة الصحة العالمية

ص.ب: 7537 - الحي الثامن - مدينة نصر - القاهرة 11762 - جمهورية مصر العربية

هاتف : 23492024/25/29 (+202) فاكس : 23492030 (+202)

info@arabccd.org www.arabccd.org

المجلس العربي للطفولة والتنمية منظمة عربية إقليمية غير حكومية ذات شخصية اعتبارية، تعمل في مجال الطفولة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن طلال بن عبد العزيز. وقد جاء تأسيس المجلس عام 1987 بمبادرة من صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز، رحمه الله؛ بناء على التوصية الصادرة من جامعة الدول العربية.

مجلة الطفولة والشباب

سعر النسخة 80 جنيهاً مصرياً

الاشتراكات السنوية

داخل مصر للأفراد: 300 جنيه مصري - مؤسسات 480 جنيهاً مصرياً

الدول العربية للأفراد: 75 دولاراً أمريكياً - مؤسسات 150 دولاراً أمريكياً

البلدان الأجنبية للأفراد: 100 دولار أمريكي - مؤسسات: 200 دولار أمريكي

تُعبّر البحوث والدراسات والمقالات التي تُنشر في المجلة عن آراء كاتبها ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، كما أن ترتيب البحوث في المجلة لا يخضع لأهمية البحث ولا لمكانة الباحث.

الهيئة الاستشارية (أجدياً)

أ.د.د. ابتهاج طلبة

أستاذ المناهج وبرامج الطفل - كلية التربية للطفولة المبكرة
جامعة القاهرة - مصر

أ.د.د. أحمد زايد

أستاذ علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر

أ. جبرين الجبرين

خبير التنمية - السعودية

أ.د.د. حازم محمود راشد قاسم

أستاذ كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر

د. راندا شاهين

رئيس قطاع التعليم العام - وزارة التربية والتعليم والتعليم الفني - مصر

أ.د.د. ضياء الدين زاهر

أستاذ التخطيط التربوي والدراسات المستقبلية

جامعة عين شمس - مصر

أ.د.د. طلعت منصور

أستاذ الإرشاد النفسي - كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر

د. غسان عيسى

المنسق العام للشبكة العربية لتنمية الطفولة المبكرة - لبنان

أ.د.د. ماجد أبو العينين

عميد كلية التربية (سابقاً) - جامعة عين شمس - مصر

أ.د.د. محمد بن فاطمة

رئيس قسم علوم التربية - جامعة تونس - تونس

د. محمد مقادري

خبير في مجال مناهضة العنف ضد الأطفال - أمين عام المجلس

الوطني لشؤون الأسرة - الأردن

أ.د.د. نبيل السيد حسن

أستاذ علم نفس الطفل - كلية التربية للطفولة المبكرة

جامعة المنيا - مصر

أ.د.د. نهلة قهوجي

عميدة كلية علوم الإنسان والتصاميم

جامعة الملك عبد العزيز - السعودية

أ.د.د. هدى بشير

أستاذ بكلية التربية للطفولة المبكرة - جامعة الإسكندرية - مصر

هيئة المجلة

رئيس التحرير

أ. د. حسن البيلاوي

نائب رئيس التحرير

م. محمد رضا فوزي

مدير التحرير

د. عبد الله عمارة

**

الهيئة العلمية (أجدياً)

أ. د. جمال شفيق أحمد عامر

أستاذ علم النفس

كلية الدراسات العليا للطفولة

جامعة عين شمس، وأمين لجنة قطاع

دراسات الطفولة ورياض الأطفال

بالمجلس الأعلى للجامعات - مصر

أ. د. محمد مومن

أستاذ التعليم العالي بالمعهد الملكي

لتكوين أطر الشباب - المغرب

أ. د. هيام نظيف

عميد كلية الدراسات العليا للطفولة

(سابقاً) جامعة عين شمس - مصر

**

سكرتير التحرير

إيثار جمال

الإخراج الفني

محمد أمين

المحتويات

6 - افتتاحية، أ. د. حسن البيلاوي

دراسات وبحوث

- جودة ممارسات معلمات رياض الأطفال: أنموذج مقترح أ. د. نهلة محمود قهوجي
11 هالة خالد الحربي
- التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي على الطفل والأسرة في المجتمع العربي
أ. د. مدحت محمد محمود أبو النصر
- 31 - اضطراب بيكا لدى الأطفال وتشخيصه وطرق علاجه، د. هدى جمال محمد 51
- عوامل الشعور بالسعادة لدى الأطفال، أ. د. راندا مصطفى الديب 61
- شعر الطفل في منطقة الخليج العربي (قراءة في دوريات الطفل) السيد عبد العزيز نجم .. 71

ملف العدد: التغير المناخي

- كارثية التغيرات المناخية على حقوق الأطفال ومستقبلهم، أ. د. جمال شفيق 93
- ورقة تحليلية حول مكافحة عمل الأطفال والقضاء الفوري على أسوأ أشكال
عمل الأطفال في ضوء التغيرات المناخية، إبراهيم شعبان 113

عروض كتب ورسائل جامعية

- الإثنوجرافيا النقدية في علم اجتماع المدرسة، عرض: علي حامد 147
- 155 قواعد وسياسات النشر

الترجمة الإنجليزية

افتتاحية العدد

أ. د. حسن البيلاوي*

بين يدي القارئ العزيز العدد 46 من مجلة "الطفولة والتنمية" ويأتي هذا العدد وقد احتفل المجلس بمناسبة مرور 35 عاماً على تأسيسه، واستضاف معرضاً في المدة من 16 - 10 مارس 2023 تكريماً لمؤسسه الراحل المغفور له صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود والذي سلط الضوء على فكر سموه، وسيرته الذاتية الحافلة بالعطاء على امتداد أكثر من ستة عقود في مجالات التنمية خاصة تنمية العنصر البشري وكذا مسهامته الفكرية والثقافية التي تتوافق مع أهداف التنمية المستدامة.

وأقيمت الاحتفالية والمعرض برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن طلال بن عبد العزيز آل سعود رئيس برنامج الخليج العربي للتنمية (أجفند) و رئيس المجلس العربي للطفولة والتنمية.

وفي هذا العدد قدمت أ.د. نهلة محمود قهوجي عميدة كلية علوم الإنسان والتصاميم، بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، وأ. هالة خالد الحربي باحثة بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية بحثاً بعنوان "جودة ممارسات معلمات رياض الأطفال: أنموذج مقترح" وهدف إلى تقديم نموذج مقترح لمعلمي رياض الأطفال لتقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة في ضوء المعايير المهنية، وأوصى بتوظيف النموذج المقترح لمعلمي رياض الأطفال لتقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة، وكذلك إجراء دراسات مستقبلية عن فاعلية استخدام التقييم الذاتي للمعلمة في تحسين جودة الممارسات.

وشارك أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر رئيس قسم المجالات بكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان الأسبق، مصر بدراسة بعنوان "التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي على الطفل والأسرة في المجتمع العربي"، وأشار إلى أنه على الرغم مما تتيحه الاتصالات الإلكترونية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي من مزايا، فإنه

* رئيس التحرير.

يجب إدراك وفهم أنها لا تعدو إلا أن تكون مجموعة من الشبكات أو الوسائط، وأنه لا فائدة ترجى منها ما لم يكن الإنسان يجيد استعمالها ويحسن استخدامها.

وقدمت د. هدى جمال محمد أستاذ علم النفس الإكلينيكي المساعد - كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس، مصر "اضطراب بيكا لدى الأطفال وتشخيصه وطرق علاجه"، وأكدت أن علاج اضطراب بيكا يجب أن يكون علاجاً متكاملًا، يتضمن الجوانب الطبية، والنفسية، والبيولوجية، والغذائية، وأوصت بأنه ينصح بتداخل هذه الأنواع المختلفة من العلاجات وصولاً إلى علاج هذا الاضطراب بشكل فعال.

وقدمت أ.د. راندا مصطفى الديدب أستاذ أصول تربية الطفل بكلية التربية - جامعة طنطا - مصر بحثاً بعنوان "عوامل الشعور بالسعادة لدى الأطفال"، وأوصت الأم بضرورة أن تُشعري الطفل بحُبِّك ولا يكفي أن تحبيه بأعماقك.. بل أظهري له المحبة بالكلمة الطيبة والاحتضان والتقبيل، فهذا يجعله يحب نفسه ويحب الآخرين، فالطفل المرغوب فيه طفل سعيد.

وقدم الباحث أ. السيد نجم "شعر الطفل في منطقة الخليج العربي"، وأشار إلى أنه غالباً ما يتصف الطفل بصفات خاصة لكل مرحلة سنية: قبل السادسة، حتى التاسعة، فلكل مرحلة خصائصها النفسية والتربوية. وعلى شاعر أو كاتب الطفل مراعاة ذلك، حيث إن الطفل قبل السادسة يتصف بالأنانية واستخدام كلمة "أنا" مع ضمير المتكلم غالباً.. وهكذا لكل مرحلة خصائصها.

أما ملف العدد، فتناول الموضوع الأول منه: "كارثية التغيرات المناخية على حقوق الأطفال ومستقبلهم"، وقدمه أ.د. جمال شفيق أحمد أستاذ علم النفس الإكلينيكي بكلية الدراسات العليا للطفولة، وأمين لجنة قطاع الطفولة بالمجلس الأعلى للجامعات في مصر، حيث أكد أن التغيرات المناخية مستمرة، وستؤثر على كل طفل في العالم تقريباً، إلا أنه هناك العديد من الحلول من الممكن أن تبعد أطفالنا خطوة عن أسوأ التحديات التي تحدق بهم، وتسهم قدر الإمكان في منعها مستقبلاً، فكل طفل يستحق كوكباً صالحاً للحياة والنمو والتقدم والازدهار.

أما الموضوع الثانى فقدمه الأستاذ إبراهيم شعبان باحث من مصر، من خلال ورقة تحليلية حول "مكافحة عمل الأطفال والقضاء الفوري على أسوأ أشكال عمل الأطفال فى ضوء التغيرات المناخية"، وأكد أننا في حاجة لعدد من السياسات تغطي المخاطر المتعددة

والتحديات التي تواجهنا للقضاء على عمل الأطفال، وتحقق أهداف استراتيجياتنا وبرامجنا الوطنية لمكافحة عمل الأطفال والقضاء الفوري على أسوأ أشكاله.

وفى عروض الكتب والرسائل الجامعية قدمت الأستاذة نورا عبد القوي محمد البريري، المعيدة بقسم الطفولة - كلية التربية - جامعة طنطا، دراسة تحليلية عن "أفلام البالي موبيل المدبلجة على قنوات اليوتيوب للأطفال"، وأكدت ضرورة الاهتمام بأفلام الرسوم المتحركة المقدمة للأطفال كماً وكيفاً، وتقديم قدرٍ كافٍ من أفلام الرسوم المتحركة للأطفال بأنواعها المختلفة التي ترضي جميع أذواق الأطفال، وتضافر الجهود مع وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم!، لتفعيل الرقابة على كل ما يبث في وسائل الإعلام لاسيما موقع اليوتيوب، ومنع ما هو ضار وسلبى على قيم وثقافة وأخلاق كل فئات المجتمع وبالأخص الأطفال.

وقرأ لنا الأستاذ علي حامد كاتب وناقد كتاب "الإثنوجرافيا النقدية فى علم اجتماع المدرسة"؛ للأستاذ الدكتور حسن البيلاوي، ليناقدش وي طرح الروافد النظرية التي تقوم عليها الإثنوجرافيا النقدية ومعرفة خصائصها الأساسية لتبيان مدى حاجتنا الشديدة إلى مثل هذا المدخل الإثنوجرافي النقدي لدراسة سوسولوجيا المدرسة المصرية، وفهمها.

وفي النهاية، فإنني أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الأجلاء الذين شاركوا في هذا العدد، كما أشكر فريق التحرير على ما بذلوه لإخراج هذا العدد بجهد متميز، وأتمنى أن تتواصل جهودنا لتحقيق مستقبل أفضل للطفل العربي، ونرحب بمساهمات السادة الباحثين من مختلف مجالات الطفولة للمشاركة بالأبحاث والمقالات في إثراء محتوى المجلة.

دراسات وبحوث

جودة ممارسات معلمات رياض الأطفال: أنموذج مقترح

أ.د. نهلة محمود قهوجي

هالة خالد الحربي

التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي على الطفل

والأسرة في المجتمع العربي

أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر

اضطراب بيكا لدى الأطفال وتشخيصه وطرق علاجه

د. هدى جمال محمد

عوامل الشعور بالسعادة لدى الأطفال

أ.د. راندا مصطفى الديب

شعر الطفل في منطقة الخليج العربي

(قراءة في دوريات الطفل)

السيد عبد العزيز نجم

جودة ممارسات معلمات رياض الأطفال: أنموذج مقترح

أ.د. نهلة محمود قهوجي *

هالة خالد الحربي **

مقدمة:

يتطلب إعداد إنسان المستقبل تزويده بالمهارات اللازمة والخبرات المتنوعة والتي تساعده على أن يكون مفكراً وقادراً على مواجهة التحديات، وإن أبرز ما يسهم في إعداد هذا الإنسان هو التعليم الذي يتعرض له؛ الأمر الذي يدعو إلى الالتفات إلى أهمية أن يحظى هذا التعليم بالجودة. "إن المتغير الأهم في قضية في سبيل تحقيق جودة التعليم هو العمل الدائم على تحسين مستويات المعلمين وتنمية كفاياتهم المهنية والثقافية والأخلاقية، وإذا لم يتمتع المعلم بمستويات الكفاءة المهنية المطلوبة فلا جدوى من الحديث عن تطوير جودة التعليم" (جامعة الدول العربية، 2008).

وقد أولت المملكة العربية السعودية المعلمين اهتماماً كبيراً يبدأ من أول خطوة في تعيين المعلم، حيث يجب عليه اجتياز اختبار كفايات المعلمين، والذي يقيس مدى تحقق الحد الأدنى من المعايير التي يلزم وجودها في المتقدمين لمهنة التدريس، ومؤخراً تم استحداث الرخصة المهنية للمعلم والتي لا يستطيع أي معلم مزاولة المهنة بدون الحصول عليها ضمن فترة زمنية محددة (هيئة تقويم التعليم والتدريب، 2020).

بيد أنه لتحسين وتطوير أداء المعلم، يجب إقرانه بالجودة؛ كونها تسعى إلى تحقيق الحد الأعلى من الإتقان، حيث توصف جودة المعلم بأنها جودة تأهيله المهني والأكاديمي والذاتي، بالإضافة إلى جودة الخبرات التي يمتلكها، وإيمانه بفلسفة المناهج القائمة على مفهوم الجودة الشاملة (حمادات، 2007؛ عطية، 2009).

ولتحقيق جودة المعلم فلا بد من تحديد المعايير والمؤشرات التي تركز عليها هذه الجودة، وقد أكد ذلك مجاهد (2008) الذي وضع أن من أهم جهود إصلاح التعليم في القرن العشرين ظهور حركة المعايير في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي كانت بمثابة قوة مُحفزة ومنطلقة لإصلاح

* عميدة كلية علوم الإنسان والتصاميم - جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

** باحثة - جامعة الملك عبد العزيز - وزارة التعليم، السعودية.

واقع المؤسسات التعليمية من حيث المنهج والمعلم والإدارة، حيث تمثل المعيار بكونه آلية تُمكن من تحسين الأداء وتقييمه في الوقت ذاته.

وتسلط هذه الدراسة الضوء بشكل خاص على معلمات الروضة؛ وذلك لكونهن يتعاملن مع فئة عمرية في مرحلة الطفولة المبكرة، والتي تُعد من المراحل المهمة التي تسهم في تكوين شخصية الفرد؛ السبب الذي جعلها تحظى بالاهتمام من صنّاع القرار في مختلف الدول، حيث تتكاتف الجهود في سبيل توفير بيئة تربوية تتضمن كوادراً تعليمية مؤهلة تأهيلاً جيداً للتعامل مع الأطفال، بناءً على ما توصي به الأبحاث والمؤتمرات المتخصصة في مجال الطفولة المبكرة.

ورغم التأكيد على أن الطفل هو محور العملية التعليمية في الروضة فإن المعلمة هي أساسها، حيث تعتمد مرحلة رياض الأطفال بشكل كبير على كفاءة المعلمة؛ إذ إن نجاح العملية التربوية وما تتضمنه من أساليب سواءً في المناهج، أو الوسائل التعليمية، أو تجهيزات البيئة يصبح عديم الفائدة ما لم يتوافر له معلم كفؤ (جامل، 2003).

مشكلة الدراسة:

في ظل تبني المملكة العربية السعودية رؤية 2030 والتي تبرز في محاورها التأكيد على تطوير النظام التعليمي بما يشمل تطوير المعلم ورفع كفاءاته المهنية والأدائية، ومع سعي وزارة التعليم لتحقيق الجودة الشاملة في العمليات التربوية كافةً بميدان التعليم، فإن الاهتمام بجودة المعلم بشكل خاص يُعد من أهم الدعائم التي تؤدي إلى تكامل تحقيق الجودة في التعليم، حيث إن التركيز على تطوير المعلم يندرج ضمن الخطوات التي تؤدي إلى تحسين جودة التعليم (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2003).

وللوصول إلى حكم دقيق على مستوى جودة المعلم لا بد من وجود إطار مرجعي يتم الاعتماد عليه في القياس والتقييم. إذ إن عملية تقييم المعلم تشمل سلسلة من الأنشطة والأفعال ذات الارتباط الوثيق ببعضها والتي تسعى نحو تحقيق أغراض التقييم؛ لذلك فإن وجود المعايير في عملية التقييم يمثل أداة فعالة لتحديد مستويات الأداء المعرفية والمهارية والأخلاقية التي ينبغي توافرها في المعلم (فقوسه، 2018).

وضمن إطار السعي إلى تجويد التعليم بشكل عام في مرحلة الطفولة المبكرة، تم تطوير المعايير المهنية للمعلمين التي تتضمن بجانب المعايير العامة المشتركة، المعايير التخصصية المتعلقة ببنية كل تخصص وطرق تدريسه على حدة، حيث تشمل المعارف والمهارات والقيم التي ينبغي

على المعلمة إتقانها، وتعدُّ ضروريةً لإنجاح عملها وتنفيذ مهامها المهنية بكفاءة عالية (هيئة تقييم التعليم، 2020)، وفي ظلِّ حداثة نموذج المعايير المهنية لمعلمي رياض الأطفال وعدم وجود أدوات قياس للمؤشرات التي يتضمنها هذا المقياس، جاءت فكرة الدراسة الحالية لاقتراح نموذج يتم من خلاله تقييم جودة أداء معلمة الطفولة المبكرة في ضوء المعايير المهنية لمعلمي رياض الأطفال. ولما كان من الضروري الاهتمام بجودة معلمة الطفولة المبكرة، كان لا بد من وجود أداة لقياس تحقُّق المعايير والمؤشرات التي تُبنى عليها هذه الجودة، وفق نموذج يتفق عليه المعنيون بجودة التعليم في الطفولة المبكرة، وفي ظلِّ عدم وجود مقياس محدد يتم من خلاله تقييم جودة معلمة الطفولة المبكرة، ارتأت الباحثتان ضرورة تصميم نموذج لتقييم جودة أداء معلمة الطفولة المبكرة بالارتكاز على المهارات التي يتضمَّنها دليل المعايير المهنية لمعلمي رياض الأطفال، ويُمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما مكوّنات النموذج المُقترح لتقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة في ضوء المعايير المهنية لمعلمي رياض الأطفال بالمملكة العربية السعودية؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- تقديم نموذج مُقترح لتقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة في ضوء المعايير المهنية لمعلمي رياض الأطفال.

أهمية الدراسة:

- تسليط الضوء على المؤشرات التي تسهم في رفع جودة أداء معلمات الطفولة المبكرة.

- تزويد المكتبة العربية بإنتاجٍ بحثيٍّ يتعلق بتقييم جودة أداء معلمة الطفولة المبكرة.

- توفير نموذج يشمل مؤشرات معايير الجودة لتحسين أداء المعلمات.

حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: مؤشرات تقييم جودة معلمة الطفولة المبكرة.

- الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي 1443هـ.

- الحدود المكانية: المملكة العربية السعودية.

- الحدود البشرية: خبراء مجال الطفولة المبكرة في المملكة العربية السعودية ومعلمات بالروضات الحكومية والأهلية.

مصطلحات الدراسة:

- نموذج مُقترح (Proposed Model): هو هيكل بنائي للكفايات اللازمة لعمل المعلم، عن طريق وضع معيار عام يجب توافره بالمعلم حتى يُنعت بأنه معلم كفؤ (مجداوي، 2011). وتُعرّف الباحثان النموذج المقترح إجرائياً بأنه: إطار يحتوي على المعايير والمؤشرات الواجب توافرها في ممارسات المعلمة لتحقيق الجودة.
- معيار (Standard): هو بيان بالمستوى المتوقَّع الذي وضعته هيئة مسئولة، أو هدف معين يُراد الوصول إليه ويحقق قدرًا مأمولاً من الجودة (الدهشان، 2007).
- معايير جودة المعلم (Teacher Quality Standards): مجموعة من العبارات المحددة تحديداً دقيقاً وبطريقة علمية لتشمل جميع جوانب المعلم من معارف ومهارات وقيم (فقوسه والطلافة، 2018).
- معايير معلمي رياض الأطفال: هي المهارات والمعارف والقيم التي يجب على المعلمة معرفتها وتطبيقها لنجاح عملها وتنفيذ مهامها المهنية بكفاءة عالية (هيئة تقويم التعليم، 2020).

الإطار النظري : مفهوم الجودة

اتخذ مفهوم الجودة شكلاً مُحدداً واضح المعالم بفضل رؤاد الجودة: ديمانغ Demang، إيشيكاوا Ishikawa، وجوران Juran، والذين أسهموا في وضع أساسيات للجودة تتناول جوانب متعددة لهذا المفهوم، تشتمل على دلالات تشير إلى المعايير والتميز (الحسين، 2016). إذ عرّف ديمانغ الجودة بأنها درجة التميز التي يمكن توقُّعها إذا ما تم استخدام معايير ملائمة وقليلة التكلفة مستخلصة من العميل، وينطبق هذا المبدأ على كلٍّ من عملية الإنتاج والمنتج النهائي في الوقت نفسه (الهوش، 2018).

لم يتوقف الاهتمام بمفهوم الجودة على مجال الصناعة فحسب، إنما انتقل إلى مجال التعليم أيضاً، ذلك أن التعليم هو اللبنة الأولى لتطوير مؤسسات المجتمع المختلفة، إلا أن انتقال مفهوم الجودة إلى التعليم أحدث الكثير من الجدل حول توظيفه وألية تطبيقه؛ لهذا السبب ظهرت مجموعة من الآراء والمواقف التي تحاول توظيف مفهوم الجودة في التعليم، إذ عُرفت على أنها مجموعة الشروط والمواصفات الواجب توافرها في العملية التعليمية لتلبية حاجات المستفيدين منها، وإعداد مُخرجات ذات كفاءة عالية لتحقيق متطلبات المجتمع (الحسين، 2007)، كما عُرفت بأنها مجموعة المعايير والخصائص الواجب توافرها في جميع عناصر العملية التعليمية في المدارس،

والمتمثلة في المُدخَلات والعمليات والمُخرجات، بما يضمن تلبية احتياجات المجتمع ومتطلباته، ورغبات المتعلمين وحاجاتهم (البوهي وآخرون، 2018)، (عبدالرحيم، 2017).

وفي مؤتمر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization المنعقد في باريس في شهر أكتوبر (1998)، تم الاتفاق على أن الجودة في التعليم تشمل عدة أبعاد ينبغي أن تحتوي على جميع وظائف التعليم وأنشطته، مثل: المناهج الدراسية، البرامج التعليمية، الطلاب وهيئة التدريس، المباني والمرافق، خدمات المجتمع المحلي، التعليم الذاتي، بالإضافة إلى تحديد معايير الجودة (سعيد وعاشور، 2018).

من هذا المنطلق فقد أضحى الاهتمام بتجويد التعليم انعكاساً لمدى تقدُّم الدول كما ورد في تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والمنعقد عام 2002 تحت عنوان: (جودة التعليم)، إذ وُضِحَ التقرير أن الاهتمام بتجويد التعليم يتمثل في طرق تطبيق الجودة الشاملة في قطاع التعليم، كما أن إدارة الجودة الشاملة تُعد طريقاً لرفع الفاعلية والمرونة، وتشمل جميع أقسام وأفراد المؤسسة التعليمية في المستويات الإدارية والأكاديمية (المكتب الإقليمي للدول العربية، 2002).

وباعتبار أن مرحلة الطفولة المبكرة هي إحدى أهم مراحل التعليم في حياة الفرد، فقد اهتمت المنظمات الدولية والمحلية بوضع برامج خاصة برعاية الأطفال ذات مستوى عالٍ من الجودة؛ إذ أشار تقرير اليونسيف (2008) UNICEF إلى أن تحسين جودة التعليم والرعاية في مرحلة الطفولة المبكرة هو أحد أقوى الفرص المتاحة لمقاومة الحرمان وتحقيق تقدم في مجال رعاية الأطفال (Cloney et al, 2013).

الجودة في الطفولة المبكرة

نصّت اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن مُفوضيَّة الأمم المُتحدة السامية لحقوق الإنسان (1989)، على أنه لكل طفل الحق في الحصول على تعليم ذي جودة عالية بأساليب تعلم حديثة، ويعود هذا الاهتمام بمرحلة الطفولة المبكرة إلى أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل تلعب دوراً مهماً في تنمية الجانب الاجتماعي والعاطفي والحسي والمعرفي لدى الطفل، إذا ما دعمت ذلك مراكز رعاية الطفولة المبكرة (Rentzou & Slutsky, 2020).

وتمثل مرحلة الطفولة المبكرة الانطلاقة لتحديد مسار نمو الطفل جسدياً وعقلياً وعاطفياً واجتماعياً وصحياً، وفق ما يتعرض له من خبرات ومواقف تدعمها البيئة المحيطة به، ولكي يتتابع هذا النمو ويستمر بشكل جيد فلا بد من إشباع مطالب هذه المرحلة بما يحدده مستوى نضج

الطفل وتطور خبراته (فهمي، 2007)، إلا أن إلحاق الطفل ببرامج ذات جودة عالية يعود عليه بفائدة أكبر (Tayler et al, 2013)؛ إذ أظهرت نتائج الدراسات الطولية المتضمنة في مشروع "كامبل وآخرون" (Campbell et al 2002)، أن التحاق الأطفال ببرامج التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة أسهم في تعزيز المخرجات بدرجة كبيرة، مثل تلقّيهم للتعليم الإضافي وفرص التوظيف وإظهار السلوكيات الصحية وخفض معدل الجريمة (Whitebread et al, 2015). لذا كان من المهم أن ترتقي مؤسسات الطفولة المبكرة ومرحلة رياض الأطفال إلى مستوى عالي الجودة، حيث توصلت مجموعة من الدراسات الطولية في مختلف دول العالم إلى نتيجة مفادها أن برامج الطفولة المبكرة ذات الجودة العالية تسهم في إحداث أثر إيجابي على صحة الأطفال وتعلّمهم ونموهم، ومنها الدراسة التي أجراها (Vandell et al, 2011) على 1364 طفلاً حديث الولادة وحتى بلوغهم عمر 15 سنة؛ للكشف عن ارتباط مستوى الرعاية في مرحلة الطفولة المبكرة بنتائج المراهقين؛ إذ توصلت الدراسة إلى أنه يمكن التنبؤ بمستوى الإنجاز الأكاديمي للطالب من خلال معرفة مستوى جودة برنامج الرعاية الذي تعرض له في مرحلة الطفولة المبكرة.

ورغم الاهتمام المتزايد بجودة الطفولة المبكرة فإن تحديد هذا المفهوم على أساس القيمة مفهوم نسبي مُعرّض للتغيير مع مرور الوقت، وذلك لأن الجودة بطبيعتها عملية مستمرة، فإذا ما التزم القائد بقيم معينة، فإنه على أساسها سيعرف الجودة ويتبنّاها ويسهم في تطويرها (Schonfeld et al, 2004)؛ لذا فقد تعددت التعريفات التي توضح هذا المفهوم، فهناك من يرى أن مفهوم جودة الطفولة المبكرة مَبْنِيٌّ على ثلاثة عناصر أساسية، تتمثل في بيئة الرعاية، مقدمي الرعاية، البرنامج اليومي المنظم (جاويش، 2011)، وهناك من يرى أن معنى جودة الطفولة المبكرة هو أداء العمل بأسلوب صحيح وفق المعايير التربوية؛ للارتقاء بمستوى الأداء لدى المعلمات لتحقيق الأهداف التربوية لرياض الأطفال (عبدالسميع وحواله، 2005).

إلا أنه مهما تعددت التعاريف والآراء حول مفهوم الجودة في التعليم، في نهاية المطاف يوجد إجماع بأن الجودة تتكوّن من مجموعة من العناصر التي تسهم في تحقيق أفضل أداء مطلوب، إذ تم تحديد مجموعة من الأطر التي تسهم في تكوين الأساس لرصد الجودة، تتمثل في المجالات التالية: التفاعلات بين المعلم والطفل، الأسرة والمجتمع، الإدماج، التنوع، قيم الديمقراطية، التقييم والتخطيط، استراتيجية التدريس، بيئة التعلّم، والتطوير المهني (UNESCO, 2016).

تقييم الجودة في الطفولة المبكرة

إيماناً بأهمية تقييم الجودة في الطفولة المبكرة لوضع الاستراتيجيات وتحسين الخطط التعليمية، فقد ظهرت عدة مقاييس عالمية تهدف إلى تقييم الجودة في الطفولة المبكرة، وتختلف هذه المقاييس باختلاف مجالات الجودة (البيئة، المنهج، الإدارة، المعلم، الأسرة)، ومنها:

- **مقياس تقييم البيئة الفيزيائية للطفولة المبكرة** The Early Childhood Physical Environment Rating Scale (ECPERS) (Moore & Sugiyama, 2007). ويهدف هذا المقياس إلى تقييم جودة البيئة المادية في مراكز الطفولة المبكرة وقياس نسبة قدرتها على تنمية الطفل وتعلمه. ويشتمل على (13) بنداً يتفرع منها (143) عنصراً تركز على مبادئ التخطيط العامة والجودة الشاملة في مراكز رعاية الأطفال.

- **مقياس تقييم الجودة في رياض الأطفال** The Early Childhood Environment Rating Scale-Revised (ECERS-R) (Harms et al, 2004). ويهدف هذا المقياس إلى قياس جودة بيئة رياض الأطفال التي تقدم الرعاية والتعليم للأطفال ما بين عمر 3 سنوات إلى 5 سنوات، ويشتمل على (7) بنود يتفرع منها (41) عنصراً تركز على تقييم قاعات الأنشطة والإدارة والتفاعل بين المعلمات والطفل، وهو مقياس مَبْنِيٌّ على المقياس الأمريكي (ECERS-R)، ويهدف إلى تقييم جودة البيئة وتوفير مفاهيم القراءة والكتابة والرياضيات والعلوم، ويشتمل على (4) بنود يتفرع منها (18) عنصراً تركز على تقييم تعليم القراءة والكتابة والرياضيات والعلوم.

- **الإطار الوطني السنغافوري لضمان الجودة في مرحلة رياض الأطفال** The Singapore Pre-school Accreditation Framework (SPARK) (Early Childhood Development Agency, 2019). ويهدف هذا الإطار إلى توفير الدعم لمنسوبي رياض الأطفال لتحسين العمليات الإدارية والتعليمية وتحقيق الجودة الشاملة، ويشتمل على (5) بنود يتفرع منها (7) عناصر تركز على القيادة، والإدارة والتخطيط، وإدارة الموارد البشرية، وبيئة الروضة، والمنهج التعليمي، وطُرقُ التدريس، والصحة والأمن والسلامة.

- **نظام تقييم درجات الفصول الدراسية** The Classroom Assessment Scoring System (CLASS) (Early Childhood Learning and Knowledge Center, 2020). ويهدف هذا المقياس إلى تقييم جودة تفاعل معلم الصف مع الطفل في الفصل الدراسي، ويشمل (3) مجالات تتضمن (10) أبعاد تدعم تعلم الأطفال وتطورهم، تتمثل في الدعم العاطفي، تنظيم الفصل الدراسي، الدعم التعليمي.

واقع الجودة في الطفولة المبكرة في المملكة العربية السعودية:

لم تكن المملكة العربية السعودية بمعزلٍ عن الاهتمام بمفهوم الجودة في الطفولة المبكرة، فقد اتجهت العديد من الأبحاث إلى دراسة هذا الجانب، في محاولة لتقييمه والتوصل إلى معايير يتم بناءً عليها تحديد مستوى الجودة في مدارس الطفولة المبكرة.

إذ قامت (قهوجي، 2022) بإعداد مقياس تقييم الجودة في رياض الأطفال والذي نتج بتكييف وتعريب المقياس الأمريكي (ECERS-R) والمقياس البريطاني (ECERS-E) والذي يهدف إلى تقييم جودة بيئة التعلم، ويتضمن (4) بنود فرعية تشتمل على (18) عنصراً تغطي مؤشرات تقييم تعليم القراءة والكتابة والرياضيات والعلوم. كما أضافت المقياس السعودي (ECERS-SA) The Early Childhood Environment Rating Scale-SA والذي يهدف إلى تقييم المؤشرات المرتبطة بالبيئة السعودية، ويشتمل هذا المقياس على (4) بنود يتفرع منها (14) عنصراً لتقييم مؤشرات جودة التفاعل الاجتماعي، والإدارة، والتكيف مع البيئة، والخدمات الإضافية مثل توظيف التقنية.

وكشف العنبي (2007) في دراسته المحلية التي تناولت واقع جودة التعليم إلى وجود نقص في صالات الأنشطة والملاعب والوسائل التعليمية، ووجود عدد من الروضات في مبانٍ مستأجرة تفتقر إلى المواصفات اللازمة فيما يخص عدد الفصول وسعتها، بالإضافة إلى عدم وجود نسبة وتناسب في عدد معلمات رياض الأطفال؛ وذلك للتكسب العدي للمعلمات والإداريات غير المتخصصات في الكثير من الروضات.

وتجدر الإشارة إلى جهود تحسين مستوى الجودة في مؤسسات الطفولة المبكرة، إذ أعدت وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية بالتعاون مع الجمعية الوطنية الأمريكية لتعليم الأطفال الصغار (NAEYC) وثيقة المعايير النمائية للطفولة المبكرة، والتي تهدف إلى دعم منسوبي المرحلة من مديرات ومشرفات ومعلمات على تحسين جودة التعليم والرعاية في هذه المرحلة، وتشتمل على (5) معايير تتمثل في: التطور الاجتماعي العاطفي، التطور اللغوي والمعرفة المبكرة للقراءة والكتابة، العمليات المعرفية والمعلومات العامة، التربية الوطنية والدراسات الاجتماعية، التربية الإسلامية، والصحة والتطور البدني (شركة تطوير للخدمات التعليمية، 2015).

بالنظر إلى الجهود التي سبق ذكرها في إطار تحسين جودة الطفولة المبكرة، يُلاحظ اهتمام وزارة التعليم بقياس جودة البيئة بتطبيق مقياس تقييم الجودة في رياض الأطفال، أما ما يخص جودة المنهج فقد تم إصدار المعايير النمائية للطفولة المبكرة. وعلى الرغم من ذلك لا يوجد أداة

لقياس جودة ممارسات المعلمة والتي تُعدُّ أحد أهم عوامل جودة الرعاية والتعليم في الطفولة المبكرة، إذ يشير التقرير العالمي لرصد التعليم (2016) إلى أن التفاعل بين المعلمين والأطفال يُعدُّ أحد أهم العناصر الحاسمة لهيكلَّة الجودة في مرحلة الطفولة المبكرة (UNESCO, 2016). ويقوم هذا التفاعل في أساسه على الممارسات التي تتبنَّها المعلمة في تفاعلها اليومي مع الأطفال.

معلمة الطفولة المبكرة

تُعدُّ معلمة الطفولة المبكرة هي المُوجِّهة والمُيسِّرة لعملية التعلُّم في الروضة؛ إذ إنها من يصمِّم البيئة التعليمية ويخطط للأنشطة ويوجه سلوكيات الأطفال ويدعم تفاعلهم مع بعضهم البعض وتفاعلهم مع المجتمع.

ولتحديد الخصائص والكفايات التي لا بد من توافرها في معلمة الروضة، يتطلب الأمر تحليل أدوار المعلمة والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أدوار رئيسية، هي: دورها نحو طفل الروضة، ودورها نحو ذاتها، ودورها نحو المجتمع، وفيما يلي شرح موجز لهذه الأدوار الثلاثة (خليفة، 2013):

فدور المعلمة نحو الطفل يتلخَّص في قدرتها على تحقيق جوانب النمو المختلفة من خلال توفير الظروف المناسبة، وإثارة دافعية الطفل نحو التعلُّم، وتنمية المهارات الأساسية التي تساعده على البحث واكتساب الخبرات، وتوجيه سلوكياتهم نحو بناء عادات سليمة، وتهيئة بيئة آمنة ومطمئنة توفر الاستقرار النفسي لهم.

ودور المعلمة نحو ذاتها يشمل إدراكها للدور التربوي المهم الذي تمثله، وسعيها نحو تنمية مهاراتها المهنية وتطوير ذاتها وإثراء خبراتها، وإيمانها بدور التعاون والعمل الجماعي وما تمثله من كونها قدوةً للأطفال، واحترامها لأخلاقيات المهنة، واهتمامها بقضايا المجتمع وتوظيفها حسبما يتناسب في عملها مع الأطفال.

ودور المعلمة نحو المجتمع يتطلب تمثيلها بأن تكون حلقة وصل بين الطفل والمجتمع، وتثقيف المجتمع المحلي، واهتمامها بتحقيق التكامل في خبرات الأطفال من خلال معرفة بيئاتهم الثقافية والاجتماعية، وإشراك الأسر في إثراء العملية التعليمية.

مما سبق عرضه يتضح أن ممارسات المعلمة لا تقتصر على ما تقدمه للأطفال داخل الصف فحسب، إنما يشمل ما تقدمه نحو ذاتها من تنمية وتطوير، وما تقدمه للمجتمع من خلال بناء شراكة مجتمعية هادفة؛ إذ يؤثر ذلك على مستوى اكتساب الطفل للمهارات والقيم، واتضح

ذلك في دراسة عبدالمولى (2018) والتي هدفت إلى قياس أثر فاعلية برنامج تحسين ممارسات المعلمة التدريسية في مستوى التفكير الإبداعي لدى الطفل، وتوصلت إلى ارتفاع مستوى التفكير الإبداعي لدى الطفل بعد تنمية المهارات التدريسية للمعلمة، كما اتضح أيضاً في دراسة المطيري (2020) والتي أشارت إلى أن الروضات ذات المستوى المرتفع في تحقيق الشراكة الوالدية تكون ذات مستوى مرتفع أيضاً في تنمية القيم الاجتماعية لأطفالها.

ونظراً للدور الكبير الذي تلعبه ممارسات المعلمة في تحقيق نمو شامل متكامل للأطفال، تبنت (NAEYC) إطاراً للممارسات الملائمة تطوُّرياً في برامج الطفولة المبكرة للأطفال من الميلاد حتى الثامنة، سلطت الضوء فيه على الدور الذي تلعبه ممارسات معلمة الروضة في تحقيق تعليم عالي الجودة؛ إذ أشارت إلى أن أقوى مؤثر في تحديد ما يتعلمه الأطفال هو تفاعلاتها معهم، ويتمثل ذلك في الطريقة التي تُصمَّم بها الخبرات التعليمية، والطريقة التي توجه بها الأطفال إلى ما سيتعلمونه، واستجابتها لهم، وتكييف التعليم وفقاً لخلفيات الأطفال المختلفة (Naeyc, 2009). إلا أن السؤال المهم هنا يتمحور حول الكيفية التي يمكن بها قياس تلك الممارسات وتقييمها، وبهذا الشأن يشير الصغير (2008) إلى أن تقويم أداء المعلم يرتكز على وجود معايير تمثل مُحدِّداتٍ تساعد في عملية التقويم، وتقوم هذه المعايير على مجموعة من المجالات تصف أداء المعلم وخصائصه عند مستويات مختلفة. وتُمثِّلُ المعايير أداة تحدد المعارف والمهارات والقيم الأساسية التي تُترجم إلى ممارسات فعالة في التعليم (فقوسه والطلافة، 2018).

لذلك سعت الكثير من المنظمات العالمية وصانعي القرار في دول مختلفة إلى وضع معايير، تحدد ما يجب على معلمة الروضة امتلاكه وممارسته لتقديم تجربة تعلم أفضل للطفل، ومن ذلك: الجمعية الوطنية الأمريكية لتعليم الأطفال الصغار (NAEYC)، معايير معلمة رياض الأطفال في نيوزلندا، ومعايير اللجنة الوطنية للمعايير المهنية لمعلمة الروضة، وتتشابه المعايير السابق ذكرها في كونها تركز على ممارسات معلمة الروضة التي تُساهم في تحسين عملية التعليم في مرحلة رياض الأطفال، وتنمية مهارات الأطفال واستخدام استراتيجيات تعلم وقياس ملائمة، بالإضافة إلى بناء علاقات مع أسر الأطفال ومع المجتمع، والحرص على التنمية المهنية للمعلمة.

وفي المملكة العربية السعودية، أطلقت هيئة تقويم التعليم والتدريب عام (2020) معايير معلمي رياض الأطفال، والتي تهدف إلى رفع جودة أداء المعلمين وتحسين قدراتهم ومهاراتهم (هيئة تقويم التعليم والتدريب، 2020)، ويمثل ذلك الخطوة الأولى في ضمان جودة معلمة الطفولة المبكرة. ورغم وجود تشابه بين هذه المعايير والمعايير الدولية المختلفة التي سبق الحديث عنها، فإن

معايير معلمي رياض الأطفال تتميز بمراعاتها للخصائص الثقافية والاجتماعية والدينية بالملكة العربية السعودية، وتوائم ما بين احتياجات المجتمع المحلي وتطلعاتهم في مرحلة رياض الأطفال، وما بين ما أشارت إليه الأبحاث والدراسات حول معايير معلمة الروضة؛ الأمر الذي كان له بالغ التأثير في اعتماد هذه المعايير في هذه الدراسة كمرجعية لبناء مؤشرات جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة.

معايير معلمي رياض الأطفال (هيئة تقويم التعليم والتدريب، 2020):

تتناول هذه المعايير المعارف والمهارات والقيم التي يجب على المعلمة امتلاكها، وتتبنى منحنى النمو الشمولي التكاملي، ومنحنى التعلم المتمركز نحو الطفل والذي يمثل نقطة الارتكاز في عملية التعلم، وقد تم تقسيم هذه المعايير ضمن ثمانية مجالات رئيسية:

1) مجال النمو والتعلم:

ويشمل 6 معايير تركز على معرفة خصائص نمو الأطفال وحاجاتهم، وفهم خصائص النمو الانفعالي والاجتماعي والنفس حركي واللغوي والمعرفي، بالإضافة إلى استخدام وسائل الكشف المبكر للتأخر النمائي ومعرفة طرق التعامل معه.

2) مجال التعليم والتعلم:

يشمل معيارين يركزان على التخطيط لعمليتي التعليم والتعلم، وتنفيذ الخبرات التعليمية.

3) مجال بيئة التعلم:

يشمل معيارين يركزان على تصميم وتجهيز بيئة التعلم.

4) مجال التفاعل والتوجيه:

يشمل معيارين يركزان على إتقان إدارة الصف والتفاعل الإيجابي، بالإضافة إلى توجيه وضبط السلوك.

5) مجال التقويم:

يشمل معيارين يركزان على تقويم نمو وتعلم الطفل، وتقويم بيئة التعلم.

6) مجال الشراكة مع الأسرة والمجتمع:

يشمل معيارين يركزان على تفعيل الشراكة مع الأسرة والمجتمع.

7) مجال صحة وسلامة الطفل:

يشمل معيارين يركزان على الحرص على أمن وسلامة الطفل والإلمام بمعاييرها.

8) مجال التنمية المهنية:

يشمل معيارين يركزان على التعلم المستمر ومواكبة الميدان، بالإضافة إلى تطبيق أخلاقيات وضوابط المهنة.

وقد اشتملت المعايير السابقة على مؤشرات تمثل عباراتٍ وصفيّةٍ لما يجب أن يتكون منه المعيار، إلا أن هذه المؤشرات لا تمثل أداةً قياسٍ يمكن استخدامها في تقييم جودة أداء معلمة الطفولة المبكرة، وذلك لعدم تحديدها ما يتطلب على المعلمة فعله بدقة، من هذا المنطلق سعت الدراسة الحالية إلى تصنيف تلك المؤشرات وإعادة صياغتها ضمن مستويات أداء تعطي مستوىً معيناً لكل مجموعة من المؤشرات.

منهج الدراسة

للوصول إلى نموذجٍ مُقترحٍ يساعد في تقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة، وباعتبار أن الدراسة الحالية تهدف إلى استحداث نموذجٍ مستقبلي، فقد اتبعت الدراسة الحالية منهج دلفاي Delphi؛ إذ يضمن هذا المنهج الحصول على أكبر قدر ممكن من آراء الخبراء المختصين في مجال الدراسة في عملية تبادلية، من خلال استخدام النماذج والاستبيانات المكتوبة لتعزيز التقارب في الآراء والوصول إلى اتفاق (Linstone & Turoff, 2002). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الورقة العلمية مُستلّة من رسالة ماجستير تناولت بناء نموذج لتقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة.

مجتمع وعينة الدراسة

شمل مجتمع الدراسة ما يلي:

- أ) خبراء مجال الطفولة المبكرة في المملكة العربية السعودية، ويشمل ذلك أعضاء هيئة التدريس بأقسام الطفولة المبكرة بجامعة الملكة العربية السعودية.
- ب) معلمات مرحلة رياض الأطفال بالروضات الحكومية والأهلية بالمملكة العربية السعودية.

عينة الدراسة

تألّفت عينة الدراسة من:

- أ) عينة قَصْدِيّة من المجتمع الأصلي لخبراء مجال الطفولة المبكرة بالمملكة العربية السعودية، وقد بلغ عددهم 30 خبيراً، استجاب منهم 7 خبراء.
 - ب) عينة قَصْدِيّة من المجتمع الأصلي لمعلمات مرحلة رياض الأطفال، بلغ عددهم 10 معلمات عاملات بروضات حكومية وأهلية، استجاب منهم 4 معلمات.
- وقد اعتمدت الباحثتان في اختيار العينة على مجموعة من المعايير، تتمثل في:

- 1) فيما يتعلق بالجولة الأولى من جولات تطبيق الدراسة، فقد احتاج الأمر إلى الاستعانة بآراء خبراء أكاديميين ذوي خبرة في مجال أبحاث الطفولة المبكرة، ومن هذا المنطلق فقد كانت العينة المشاركة في الجولة الأولى هم (أ) المذكورين أعلاه، والذين تم اختيارهم بناءً على الدرجة العلمية (دكتوراه)، والاهتمامات البحثية، والتخصصات الدقيقة (التعليم والتعلم، القيادة التربوية، التنمية المهنية للمعلمات، التربية الخاصة).
- 2) فيما يتعلق بالجولة الثانية من جولات تطبيق الدراسة، فبالإضافة إلى العينة المشاركة في الجولة الأولى فقد تطلّب الأمر الاستعانة بآراء الممارسين في الميدان التربوي عينة (ب) للوصول إلى حكم دقيق على ملائمة النموذج المقترح، وقد تم اختيارهم بناءً على التخصص (الطفولة المبكرة، التربية الخاصة)، وعدد سنوات الخبرة (ثلاث سنوات فأعلى) بالإضافة إلى حصولهم على المؤهل العلمي (ماجستير).

أدوات الدراسة

للإجابة عن أسئلة الدراسة، وبعد الاطلاع على الإطار النظري والدراسات السابقة والمقاييس المعتمدة في قياس جودة مرحلة الطفولة المبكرة، قامت الباحثتان بإعداد أداة الدراسة والمتمثلة في:

- استمارة الخبراء لتقييم النموذج المقترح لتقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة، وهي عبارة عن استمارة يستخدمها الخبراء للحكم على نموذج تقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة وتقديم ملاحظاتهم وآرائهم.

إجراءات الدراسة:

- **الجولة الأولى:** تم إرسال النموذج المقترح لعينة الدراسة وجمع آرائهم وملاحظاتهم حوله، ثم تحليل استجاباتهم وذلك من خلال حساب نسبة الموافقة على كل مؤشر من قبل أفراد العينة، ثم تحديد المؤشرات المقبولة بدون تعديل.
- **الجولة الثانية:** تم تعديل النموذج المقترح وفقاً لآراء الخبراء والأخذ باقتراحاتهم وآرائهم، ثم إرساله مرة أخرى للخبراء للحكم على ارتباط المؤشرات ووضوحها وتدرجها، بعد ذلك تم اتباع ذات المعادلة المستخدمة في الجولة الأولى لحساب نسبة الموافقة على المؤشرات في الجولة الثانية، ومن ثمّ تحديد النموذج المقترح النهائي.

أساليب تحليل البيانات

للإجابة على سؤال الدراسة وتحقيق أهدافها، تم تحليل البيانات باستخدام الأسلوب التالي:

- حساب التكرارات والنسب المئوية للوصول إلى نسبة الإجماع على كلٍّ من: انتماء المؤشر للمعيار، ووضوح صياغة المؤشر، والتدرُّج في ربط المؤشرات بالمستويات.

الإجابة على سؤال الدراسة:

- ما مُكوّنات النموذج المقترح لتقييم جودة ممارسات معلمة الطفولة المبكرة في ضوء المعايير المهنية لمعلمي رياض الأطفال بالملكة العربية السعودية؟

بعد حساب نسب المؤشرات في جولتي الدراسة الأولى والثانية واستبعاد بعض المؤشرات وإعادة صياغة بعضها وإضافة مقترحات الخبراء، تم التوصل إلى الإطار العام للنموذج المقترح:

منطلقات النموذج:

- تُعدُّ مسألة الجودة في رياض الأطفال ضرورةً يجب الالتفات لها لتحقيق تعلم شامل للطفل، ولا يتم ذلك إلا من خلال التكامل ما بين جودة المنهج، وجودة البيئة، وجودة أداء المعلمة.
- تمثل معايير معلمي رياض الأطفال أحدث الأطر المهنية التعليمية في المملكة العربية السعودية والتي يمكن الاسترشاد بها للارتقاء بممارسات المعلمات نحو الجودة.
- يعد وجود أنموذج مبني على المعايير السابق ذكرها هو بمثابة خارطة طريق تيسر للمعلمات معرفة ما يَحْتَجْنَ إلى تقديمه لتحقيق الجودة.

أهداف النموذج:

- إظهار إمكانية الاستفادة من معايير معلمي رياض الأطفال ودمجها بآراء الخبراء في مرحلة الطفولة المبكرة؛ لاستحداث نموذج يحدد ما تتطلبه الجودة في ممارسات معلمة الروضة.
- تقديم أداة تقييم لجودة ممارسات معلمة الروضة تحدد ما يجب أن تقدمه المعلمة، بوجود أمثلة توضيحية تُسهّم في تقليل نسبيّ التخمين والتفاوت التي يمكن أن تظهر بين مُقيّم وآخر استناداً لاختلاف خبراتهم.
- يقدم النموذج آلية تقييم عادلة وواضحة لكلٍّ من المعلمة والمُقيّم، ويمكن الاستفادة منه في بناء استمارات تقييم الأداء الوظيفي للمعلمات.

مكونات النموذج:

يعتمد النموذج على المجالات والمعايير الوارد ذكرها في وثيقة معايير معلمي رياض الأطفال من قبل هيئة تقويم التعليم (2020)، وذلك من خلال تنفيذها إلى مؤشرات حسبما يظهر في الجدول التالي:

عدد المؤشرات	المعيار	المجال
(٦) مؤشرات	معرفة خصائص نمو الأطفال وحاجاتهم	مجال النُّمُو والتعلُّم
(٨) مؤشرات	فهم خصائص النمو الانفعالي والاجتماعي للأطفال	
(٣) مؤشرات	معرفة خصائص النمو النفس حركي للأطفال	
(١١) مؤشراً	معرفة خصائص النمو اللغوي للأطفال	
(١١) مؤشراً	معرفة خصائص النمو المعرفي للأطفال	
(٥) مؤشرات	استخدام وسائل الكشف المبكر للتأخر النمائي ومعرفة طرق التعامل به	مجال التعليم والتعلُّم
(٤) مؤشرات	التخطيط لعمليتي التعليم والتعلم	
(٦) مؤشرات	تنفيذ الخبرات التعليمية	مجال بيئة التعلم
(٩) مؤشرات	تصميم وتجهيز بيئة التعلم	
(٦) مؤشرات	إتقان إدارة الصف والتفاعل الإيجابي	مجال التفاعل والتوجيه
(٦) مؤشرات	توجيه وضبط السلوك	
(٥) مؤشرات	تقويم نمو وتعلم الطفل	مجال التقويم
مؤشران	تقويم بيئة التعلم	
(٤) مؤشرات	تفعيل الشراكة مع الأسرة	مجال الشراكة مع الأسرة والمجتمع
مؤشران	تفعيل الشراكة مع المجتمع	
(٥) مؤشرات	تحرص على أمن وسلامة الطفل	مجال صحة وسلامة الطفل
(٥) مؤشرات	الإلمام بمعايير صحة وسلامة الطفل	
(٣) مؤشرات	التعلُّم المستمر ومواكبة الميدان	مجال التنمية المهنية
(٣) مؤشرات	تطبيق أخلاقيات وضوابط المهنة	

صينة من النموذج:

وصف الأداء		المعيار	
ممتاز ٧	جيد ١-٥	مقبول ٣-٤	غير كافٍ ١-٢
٧-١ تربط أنشطة النمو النفس حركي بمجالات النمو الأخرى ***	١-٥ توظف أنشطة متنوعة في تنمية العضلات الدقيقة	١-٣ توظف أنشطة قليلة ومتكررة في تنمية العضلات الدقيقة	١-١ لا توفر أنشطة ثابتة لتنمية العضلات الدقيقة *
	٢-٥ توظف أنشطة متنوعة في تنمية العضلات الكبيرة	٢-٣ توظف أنشطة قليلة ومتكررة في تنمية العضلات الكبيرة	١-٢ لا توفر أنشطة ثابتة لتنمية العضلات الكبيرة *
	٣-٥ توظف أنشطة تعزيز التآزر الحس حركي في تقديم المفاهيم المختلفة	٣-٣ التآزر الحس حركي في اللعب الخارجي فقط	١-٣ لا تقدم أنشطة لتعزيز التآزر الحس حركي
٧-٣ تخطط بشكل هادف لأنشطة جديدة لتعزيز التآزر الحس حركي وفق تطور الأطفال			(١) معرفة خصائص النمو النفس حركي للأطفال

أمثلة:

- * أنشطة الكتابة بالقلم، التلوين، نَظْم الحَرَز، القَص، اللصق.
- ** لعبة قذف الكرة، تقليد سير الحيوانات.
- ** تعدُّ أنشطة تجمع بين مجال النمو النفس حركي ومجال النمو الانفعالي ومجال النمو المعرفي. مثل: (إذا كنت سعيداً صَفِّقْ وأنت تفتقر ثلاث مرات).

التوصيات:

- توظيف استخدام النموذج المقترح لتقييم جودة ممارسات المعلمة في تحسين ممارسات معلمات الطفولة المبكرة.
- إجراء دراسات مستقبلية عن فاعلية استخدام التقييم الذاتي للمعلمة في تحسين جودة الممارسات.

المراجع

- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. (2003). نحو إقامة مجتمع المعرفة. الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي.
- البوهي، رأفت، المصري، إبراهيم، وماجد، أحمد، وعبدالرحيم، منى. (2018). الجودة الشاملة في التعليم. دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
- جامعة الدول العربية إدارة التربية والتعليم والبحث العلمي. (2008). الإطار الاسترشادي لمعايير أداء المعلم العربي - سياسات وبرامج - مطبعة جامعة الدول العربية.
- جامل، عبدالرحمن عبدالسلام. (2003). التعلّم الذاتي بالموديولات التعليمية.. اتجاهات معاصرة. دار المناهج للنشر والتوزيع.
- جاويش، جاويش. (2011). معايير الجودة الشاملة في رياض الأطفال. دار الكتاب الحديث.
- الجمعية الوطنية الأمريكية لتعليم الأطفال الصغار. (2009). الممارسات الملائمة تطويراً في برامج الطفولة المبكرة للأطفال من الميلاد حتى الثامنة. تم الاسترداد من https://www.naeyc.org/sites/default/files/wysiwyg/user-25239/dap_position_statement_-_arabic.pdf
- الحسين، إبراهيم بن عبد الكريم. (2007). من المدرسة التقليدية إلى مدرسة الجودة: معوقات التحول. اللقاء السنوي الرابع عشر: الجودة في التعليم العام، الرياض: الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستين) - كلية التربية - جامعة الملك سعود،
- 598 - 615. <http://search.mandumah.com/Record/34170>
- حمادات، محمد. (2007). الإدارة التربوية: وظائف وقضايا معاصرة. دار الحامد.
- خليفة، إيناس. (2016). الشامل في رياض الأطفال. دار المناهج للنشر والتوزيع.
- الدهشان، جمال علي. (2007). معايير ضمان الجودة والاعتماد في التعليم النوعي بمصر والوطن العربي. المؤتمر العلمي السنوي الثاني. المنصورة: كلية التربية النوعية.
- سعيد، بن فرحات، وعاشور، علوطي. (سبتمبر، 2018). الجودة الشاملة في التعليم. مجلة أبحاث نفسية وتربوية، الصفحات 121 - 140.

- شركة تطوير للخدمات التعليمية. (2015). معايير التعلم المبكر النمائية في المملكة العربية السعودية. تم الاسترداد من وسيلتي التعليمية:

<https://www.mta.sa/wp-content/uploads/2018/07/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%8A%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D9%83%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%85%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D8%A3>

- الصغير، أحمد حسين. 2008. معايير تقويم أداء المعلم: نموذج مقترح: دراسة ميدانية في مجتمع الإمارات. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 5(2)، 79-115.

- عبد الرحيم، نجاح زكي. (2017). الجودة الشاملة في التعليم. دار البداية.

- عبد السميع، مصطفى، وحواله، سهير. (2005). إعداد المعلم تنميته وتدريبه. دار الفكر للنشر.

- عبد المولى، أمال محمد. (2018). فاعلية برنامج تدريبي لتحسين بعض المهارات التدريسية لدى الطالبة المعلمة بجامعة الجوف وأثره على التفكير الإبداعي لطفل الروضة. مجلة دراسات الطفولة، 21(78)، 1-14.

<http://search.mandumah.com/Record/924372>

- العتيبي، منير بن مطني. (2007). واقع التعليم ما قبل الابتدائي في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض: مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج.

- عطية، محسن. (2009). الجودة الشاملة والجديد في التدريس. دار صفاء للنشر والتوزيع.

- فقوسه، منذر عامر محمد، والطلافة، فؤاد طه طالب. (2018). بناء مقياس معايير جودة المعلم في التعليم العام: معايير جائزة الملكة رانيا العبد الله للمعلم المتميز أنموذجاً (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة

مؤتة. <http://search.mandumah.com/Record/975159>

- فهمي، عاطف عدلي. (2007). معلمة الروضة. دار المسيرة للنشر والتوزيع.

- قهوجي، نهلة. (2022). مقياس تقويم الجودة في رياض الأطفال. مركز النشر العلمي. جامعة الملك عبدالعزيز.

- مجاهد، محمد. (2008). ثقافة المعايير والجودة في التعليم. الأزريطة: دار الجامعة الجديدة.

- مجدلاوي، جمانا عيسى موسى، والبطش، محمد وليد موسى. (2011). أنموذج مقترح لتقييم أداء المعلم في المدرسة الأردنية [رسالة دكتوراه غير منشورة]. الجامعة الاردنية.

<http://search.mandumah.com/Record/555494>

- المطيري، شيماء نايف عيد سهيل. (2020). الشراكة بين معلمة الروضة والأمهات في تنمية القيم الاجتماعية لطفل الروضة. مجلة كلية الآداب،

80(5)، 107-154. <http://search.mandumah.com/Record/1089688>

– المكتب الإقليمي للدول العربية. (2002). تقرير التنمية الإنسانية العربية. المكتب الإقليمي للدول العربية.
– الهوش، أبو بكر. (2018). إدارة الجودة الشاملة في المجالين التعليمي والخدمي. دار حميثرا للنشر والترجمة.
– هيئة تقويم التعليم والتدريب. (22 November, 2020). الرخصة المهنية للمعلمين والمعلمات... جودة في الأداء وتحفيز على التطوير ومؤشر للتميز. تم الاسترداد من هيئة تقويم التعليم والتدريب:

<https://etec.gov.sa/ar/Media/News/Pages/Licensing-Test-for-Teachers.aspx>

Cloney, D., Page, J., & Church, A. (2013, October). Assessing the Quality of Early Childhood Education and Care. *European Journal of Education*, 2,1-4.

Early Childhood Development Agency. (2019, September 13). Launch of Singapore Preschool Accreditation Framework (SPARK). Retrieved from Early Childhood Development Agency: [https://www.ecda.gov.sg/PressReleases/Pages/LAUNCH-OF-SINGAPORE-PRESCHOOL-ACCREDITATION-FRAMEWORK-\(SPARK\)-QUALITY-RATING-SCALE-FOR-0-6-YEARS-OLD.aspx#:~:text=What%20is%20the%20Singapore%20Preschool,holistic%20quality%20of%20the%20preschool.](https://www.ecda.gov.sg/PressReleases/Pages/LAUNCH-OF-SINGAPORE-PRESCHOOL-ACCREDITATION-FRAMEWORK-(SPARK)-QUALITY-RATING-SCALE-FOR-0-6-YEARS-OLD.aspx#:~:text=What%20is%20the%20Singapore%20Preschool,holistic%20quality%20of%20the%20preschool.)

Early Childhood Learning and Knowledge Center. (2020, December 23). Use of Classroom Assessment Scoring System (CLASS®) in Head Start. Retrieved from Early Childhood Learning and Knowledge Center: <https://eclkc.ohs.acf.hhs.gov/designation-renewal-system/article/use-classroom-assessment-scoring-system-class-head-start#:~:text=What%20is%20CLASS%C2%AE%3A%20Pre,in%20center%2Dbased%20preschool%20classrooms.&text=Scores%20of%201%2D2%20mean,teacher%2Dchil>

Harms, T., Clifford, R. M., & Cryer, D. (2004). *Early Childhood Environment Rating Scale (ECERS-R)*. New York: Teachers College Press.

Linstone, Harold & Turoff, Murray. (1975). *The Delphi Method: Techniques and Applications*.

Moore, G., & Sugiyama, T. (2007). The Children Physical Environment Rating Scale (CPERS): Reliability and Validity for Assessing the Physical Environment of Early Childhood Educational Facilities. *Children, Youth and Environments*, (4), 24 - 53.

Rentzou, K., & Slutsky, R. (2020). *Early Childhood Education and Care Quality in Europe and the USA*. New York: Taylor and Francis.

Schonfeld, H., Kiernan, G., & Walsh, T. (2004). *Making connection: A Review of international Policies, Practices, and Research Relating to Quality in Early Childhood*

Care and Education. Delhi: Centre for Early Childhood Development and Education. Retrieved from Worldcat:

Taylor, C., Ishimine, K., Cloney, D., Cleveland, G., & Thorpe, K. (2013). The Quality of Early Childhood Education and Care Services in Australia. *Australasian Journal of Early Childhood*, 2,13 - 21.

UNESCO. (2016). Education for people and planet: creating sustainable futures for all, Global education monitoring report. France: UNESCO. Retrieved from <http://gem-report-2016.unesco.org/ar/chapter/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A-%D9%84%D8%B1%D8%B5%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85-2016-%D9%85%D9%84%D8%AE%D8%B5/>

Vandell, D., Belsky , J., Burchinal , M., Vandergrift, N., & Steinberg, L. (2011, May 1). Do Effects of Early Child Care Extend to Age 15 Years? Results From the NICHD Study of Early Child Care and Youth Development. Retrieved from NCBI: <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC2938040/>

Whitebread, D., Kuvalja, M., & O'connor, A. (2015, November). Quality in Early Childhood Education: an International Review and Guide for Policy Makers. Retrieved from researchgate: https://www.researchgate.net/publication/340137080_Quality_in_Early_Childhood_Education_an_International_Review_and_Guide_for_Policy_Makers

التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي

على الطفل والأسرة في المجتمع العربي

أ. د. مدحت محمد محمود أبو النصر *

مقدمة:

نحن نعيش الآن في عصر التكنولوجيا والانفجار التقني والمعرفي والثقافي والتواصل مع الآخرين عن بُعد، ومن الضروري جداً أن يواكب الإنسان هذا التطور ومسايرته والتعايش معه... وهذا يتطلب منه أن يكتسب مهارة استخدام الحاسب الآلي Computer، والاستفادة من شبكة المعلومات الدوليّة (الإنترنت INTERNT) ووسائل أو مواقع أو شبكات التواصل الاجتماعي Social Media.

لقد أحدثت التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينيات من القرن العشرين، نقلة نوعية وثورة حقيقية في عالم الاتصال، حيث انتشرت شبكة الإنترنت في أرجاء المعمورة كافة، وربطت أجزاء هذا العالم المترامية بفضائها الواسع، ومهدت الطريق للمجتمعات كافة للتقارب والتعارف وتبادل الآراء والأفكار والرغبات، واستفاد كل مُتصفح لهذه الشبكة من الوسائل المتعددة المتاحة فيها، وأصبحت أفضل وسيلة لتحقيق التواصل بين الأفراد والجماعات والمنظمات والمجتمعات، ثم ظهرت المواقع الإلكترونيّة والمدونات الشخصية وشبكات المحادثة، التي غيرت مضمون وشكل الإعلام التقليدي، وخلقت نوعاً من التواصل بين أصحابها ومستخدميها من جهة، وبين المستخدمين أنفسهم من جهةٍ أخرى. انظر:

(Ruben & Budd: 1975؛ Don Stacks & et. al.: 1991. J. Waston: 2002).

وبكلماتٍ أخرى يمكن أن نقول إن العالم شهد في السنوات الأخيرة نوعاً من التواصل الاجتماعي بين البشر في فضاء إلكتروني افتراضي، قرّب المسافات بين الشعوب وألغى الحدود وزاوج بين الثقافات، وسُمّي هذا النوع من التواصل بين الناس بشبكات التواصل الاجتماعي (أو

* رئيس قسم المجالات بكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان (الأسبق)، مصر.

ما يُطلق عليها أحياناً بالإعلام التفاعلي Interactive Media أو الإعلام الاجتماعي أو الإعلام البديل Alternative Media وتعددت هذه الشبكات واستأثرت بجمهورٍ واسع من المستخدمين. ومن أشهر هذه الشبكات أو الوسائل: الفيس بوك وتويتر ويوتيوب وجوجل والبريد الإلكتروني ولين والواتس آب والفيبر.

لقد أصبحت شبكات أو وسائل التواصل الاجتماعي موضوعاً للبحث والدراسة نظراً لما تؤديه من خدمات وتحققه من أهداف، وأيضاً نظراً لظهور نتائج إيجابية لها وأخرى سلبية نتيجة لسوء استخدامها أحياناً. ولقد أُجريت العديد من البحوث والدراسات في هذا الموضوع سيتم عرض بعضها في البحث الحالي.

والبحث الحالي سيجادل إلقاء الضوء على التأثيرات السلبية لشبكات أو لوسائل التواصل الاجتماعي على كل من الطفل والأسرة في المجتمع العربي. وكنوع من التمهيد لرصد هذه التأثيرات، تم الحديث عن وسائل التواصل الاجتماعي من حيث التعريف والأهداف والخصائص. كذلك قام البحث بتوضيح كيف أن وسائل التواصل الاجتماعي يتم استخدامها في ارتكاب الجرائم الإلكترونية؛ وخاصةً ضد الأطفال والمراهقين والشباب. وفي نهاية البحث سيتم تقديم عدد من التوصيات والمقترحات، التي يمكن أن تسهم في تدعيم إيجابيات شبكات التواصل الاجتماعي والتغلب على سلبياتها أو مخاطرها.

ويُعدُّ البحث الحالي من الأبحاث النظرية - المكتبية Theoretical & library research، التي تعتمد في البيانات Data والمعلومات Information التي سيتم تقديمها على الأدبيات Literature المرتبطة بموضوع البحث، سواء أكانت كتباً أم أبحاثاً أم رسائل علمية أو مواقع معلوماتية على شبكة الإنترنت، سواء أكانت هذه الكتب أم الأبحاث أم الرسائل أم المواقع باللغة العربية أو الإنجليزية.

تعريف وسائل التواصل الاجتماعي:

هناك تعريفات عديدة لمفهوم وسائل التواصل الاجتماعي، نذكر منها:

1- تعريف زاهر راضي (2003): وسائل التواصل الاجتماعي هي منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به؛ ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها.

- 2- تعريف فان دجك (2006) Van Dijk: وسائل التواصل الاجتماعي أو وسائل الإعلام الاجتماعي الجديد تعبير شامل عن الأنشطة التي تضم توظيف التكنولوجيا لخدمة التفاعل الاجتماعي بين الناس لتسهيل وسرعة الاتصال فيما بينهم.
- 3- تعريف ألجر (2007) Alger: شبكات التواصل الاجتماعي هي وسيلة للتواصل الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت، من خلال استخدام الوسائط الإلكترونية لتطوير قدرات الأفراد للاتصال بالآخرين.
- 4- تعريف كابلان أندرياس وهينلين ميخائيل Kaplan Andreas M. & Haenlein Michael (2010): وسائل التواصل الاجتماعي هي مجموعة من الوسائل الإلكترونية والتي تستخدم الحاسب الآلي أو اللاب توب أو التليفون المحمول كوسيط للتواصل مع الآخرين، في شكل شبكة اجتماعية تمثل مجتمعاً افتراضياً يتم من خلاله تبادل الآراء والمعلومات والصور والأخبار...
- 5- تعريف أحمد الشوافي (2011): وسائل التواصل الاجتماعي هي وسيلة تحقق التفاعل المتبادل بين الناس وتبادل الخبرات والأفكار والمعلومات والاتجاهات عبر شبكة الإنترنت، من خلال المواقع والتطبيقات العملية لشبكة الإنترنت، مثل مواقع فيسبوك والتويتير واليوتيوب والبريد الإلكتروني...
- 6- تعريف حمزة إسماعيل أبو شنب (2013): وسائل التواصل الاجتماعي هي مصطلح يُطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات انتماء (بلد، جامعة، مدرسة، شركة،... إلخ) كل هذا يتم عن طريق خدمات التواصل المباشر؛ مثل: إرسال الرسائل، أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين، ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض.
- 7- تعريف عائشة علي عواجي (2015): وسائل التواصل الاجتماعي منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به؛ ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهوايات أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية. تُصنّف هذه المواقع ضمن مواقع الجيل الثاني للويب (ويب 2.0).

8- تعريف تيم جراهل (2015) Tim Grahl: وسائل التواصل الاجتماعي هي عبارة عن خدمات معلومات واتصالات، تسمح لمجموعة من الناس لهم خلفية مشتركة واهتمامات متشابهة من التفاعل والتواصل المتبادل معاً. ومن أشهر هذه الشبكات الفيس بوك ولينكد إن. وفي ضوء ما سبق يمكن أن نقول بأن شبكات أو وسائل التواصل الاجتماعي هي وسيلة تواصل مكتوب وشفهي ومرئي إلكترونية تستخدم شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، يلجأ إليها الناس (الذين لديهم حاسب آلي أو لاب توب أو موبايل ومشاركون في خدمة الإنترنت) وخاصةً الشباب بشكل اختياري، بدون رقابة تقريباً من السلطات الحكومية بمن فيهم الجهات الأمنية؛ للتواصل المتبادل في اتجاهين مع آخرين.

هؤلاء الناس المستخدمون لوسائل التواصل الاجتماعي لديهم اهتمامات وهوايات مشتركة هي التي جمعتهم وجعلتهم يتواصلون معاً من خلال هذه الشبكات، وذلك لتبادل الأخبار والمعلومات والآراء والصور والخبرات والمنافع والطرائف... وسُميت اجتماعية لأنها أتت من مفهوم بناء جماعات أو مجتمعات (وإن كانت افتراضية)، بهذه الطريقة يستطيع المستخدم التعرف إلى أشخاص لديهم اهتمامات مشتركة في تصفح الإنترنت، والتعرف إلى المزيد من المواقع في المجالات التي تهتم، وأخيراً مشاركة هذه المواقع مع أصدقائه.

أهداف وسائل التواصل الاجتماعي:

- لوسائل التواصل الاجتماعي أهداف عديدة، نذكر منها:
- 1- تسهيل التواصل الإلكتروني المتبادل في اتجاهين بين المستخدمين.
 - 2- تسهيل عملية تبادل الأخبار والآراء والخبرات والصور والمنافع والطرائف بين المستخدمين.
 - 3- تسهيل الحصول على البيانات والمعلومات من مواقع المعلومات المختلفة؛ لأغراض علمية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو تعليمية...
 - 4- المساهمة في نجاح الحكومة الإلكترونية E. Government والإدارة الإلكترونية E. Management والتعلم الإلكتروني E. Learning والتعليم الإلكتروني E. Education والتدريب الإلكتروني E. Training والتسويق الإلكتروني E. Marketing والبيع الإلكتروني E. Selling، أو ما يُطلق عليه أحياناً الإدارة عن بُعد والتعلم عن بعد والتعليم عن بعد والتدريب عن بعد والتسويق عن بعد والبيع عن بعد (لمزيد من التفاصيل انظر: محمد مدحت: 2016، ص: 12).

خصائص وسائل التواصل الاجتماعي:

لوسائل التواصل الاجتماعي خصائص عديدة نذكر منها:

- 1- متعددة ومتنوعة: حيث هناك العديد من وسائل التواصل الاجتماعي (مثل: الفيس بوك وتويتر والفيبر والواتس آب وجوجل بلس ولين والبريد الإلكتروني...)، والشخص يمكنه اختيار المناسب له منها وفي الوقت والمكان الذي يناسبه هو.
- 2- اختيارية: وسائل التواصل الاجتماعي هي نوعٌ من التواصل الإلكتروني الاختياري، دون أن يكون هناك أي إجبار أو إلزام على أحدٍ من التواصل مع الآخرين. فهم بمحض إرادتهم يتواصلون أو لا يتواصلون مع الآخرين أو يتوقفون عن التواصل مع الآخرين.
- 3- السرعة: حيث يمكن للمستخدم لشبكات أو وسائل التواصل الاجتماعي التواصل مع الآخرين بشكلٍ سريع، ويمكن تبادل المعلومات والأخبار والرسائل والصور والآراء والإجابات في ثوانٍ معدودة.
- 4- سهولة الاستخدام: حيث يمكن الدخول على وسائل التواصل الاجتماعي من خلال جهاز التليفون المحمول أو الجوّال أو المتحرك أو الموبايل، دون الحاجة إلى جهاز حاسب آليّ أو جهاز لاب توب Lap Top.
- 5- سهولة التواصل والتفاعل مع الآخرين: فوسائل التواصل الاجتماعي تستخدم بالإضافة للحروف وبساطة اللغة، تستخدم الرموزَ والصورَ التي تُسهّل للمستخدم التفاعل والتواصل مع الآخرين دون معوقات تُذكر (Vansoon Michael: 2010). بمعنى أن استخدام هذه الشبكات لا يتطلب بحثاً أو دراسةً فيمكن لأي شخص استخدامها بسهولة بالغة. أيضاً لا تتطلب مهارات عالية للتعرف إلى أدواتها وتطبيقاتها التي تتميز بالسهولة واليسر.
- 6- التفاعلية: فالشخص فيها كما أنه مُستقبلٍ وقارئٍ، فهو أيضاً مُرسلٍ وكاتبٍ ومشاركٍ، فهي تلغي السلبية المقيّنة في الإعلام التقليدي أو القديم (الراديو والتلفزيون والصحف الورقية والمجلات الورقية)، وتعطي حيزاً للمشاركة الفاعلة من المشاهد والقارئ. وتمتاز وسائل التواصل الاجتماعي بأنها إعلام تفاعلي لا يوجد وسيط فيه، حيث إن الجميع مُرسلٍ ومُستقبلٍ، بعكس الإعلام التقليدي أو القديم الذي هو إعلام وسيط يبدأ بإرسال مؤسّساتي إلى استقبال جماهيري (هنا سرور: 2015).
- 7- تعدد الاستعمالات: فيستخدمها الشخص العادي ليعرف الأخبار، ويستخدمها الباحث

لمعرفة البحوث والدراسات السابقة في موضوع بحثه، ويستخدمها التلميذ أو الطالب للتعلم، ويستخدمها المؤلف للحصول على معلومات تفيد في تأليف كتبه، ويستخدمها الكاتب للتواصل مع قراءه، ويستخدمها المسوق لتسويق السلع التي يُنتجها مصنعه وشركته أو لتسويق الخدمات التي تقدمها شركته أو مؤسسته أو جمعياته، ويستخدمها المُعلن للإعلان عن سلعته أو خدماته، ويستخدمها السياسي للتواصل مع الجماهير وكسب تأييدهم له في الانتخابات... وهكذا.

8- التوفير والاقتصادية: فوسائل التواصل الاجتماعي اقتصادية في الجهد والوقت والمال، فهي على سبيل المثال توفر لك الاتصال الهاتفي (المحلي أو الدولي) بالمجان بالأشخاص المهمين في حياتك، وتسهّل لك إرسال الأخبار والمعلومات والصور لهم في ثوانٍ، وتسهل على الباحث معرفة البحوث والدراسات السابقة العربية والأجنبية والمرتبطة بموضوع بحثه وهو جالس في منزله، دون أن يذهب إلى المكتبات ودون أن يسافر إلى الجامعات الأخرى في المحافظات أو المناطق الأخرى...

9- الإتاحة: تُعدُّ وسائل التواصل الاجتماعي متاحةً للجميع، للكبير وللصغير، وللناس في أي بقعة من العالم. ولا يوجد شروط أو قيود على استخدامها. أيضًا في ظل مجانية أو قلة رسوم الاشتراك والتسجيل فالشخص البسيط يستطيع امتلاك حيزٍ على شبكات التواصل الاجتماعي، فهي ليست حكرًا على الأغنياء.

10- العالمية: وسائل التواصل الاجتماعي تلغي الحواجز الجغرافية والمكانية والحدود الدولية والإقليمية والقومية، حيث يستطيع الشخص في أقصى الشمال التواصل مع شخص آخر في أقصى الجنوب وشخص في أقصى الشرق التواصل مع شخص آخر في أقصى الغرب، في بساطة وسهولة ويسر وفي نفس اللحظة (انظر: حمزة إسماعيل أبو شنب: 2013؛ مدحت أبو النصر: 2015 ب).

التأثيرات الإيجابية والسلبية لشبكات التواصل الاجتماعي:

لشبكات التواصل الاجتماعي تأثيرات إيجابية وأخرى سلبية. ولقد عبّرت بعض البحوث والدراسات عن هذا المعنى من خلال طرح هذه التساؤلات: شبكات التواصل الاجتماعي: اتصال أم انفصال؟ فُرص أم مخاطر؟ البشر أم التكنولوجيا؟. والجزء التالي سيحاول رصد بعض التأثيرات الإيجابية والسلبية لهذه الشبكات أو الوسائل.

التأثيرات الإيجابية لشبكات التواصل الاجتماعي:

لشبكات التواصل الاجتماعي تأثيرات إيجابية Positive Effects عديدة، فلقد أشارت مجدولين القاعود (2006) إلى أن شبكات أو وسائل التواصل الاجتماعي توفر مجالات متعددة للتواصل بين الأشخاص وبطرق مختلفة، منها: الكتابة النصية والصوتية والمرئية. أيضاً توفر هذه الشبكات وسائل الراحة والترفيه والتسلية والترويح عن النفس، كما أنها تعطي مجالاً للأفراد للتعبير عن آرائهم واتجاهاتهم بكل حرية وديمقراطية بعيداً عن الضغوط الاجتماعية والسياسية...

وتضيف فريدة فراولة (2006) أن شبكات التواصل الاجتماعي تحقق الانفتاح على العالم إلكترونياً عبر الشبكة الدولية للمعلومات، وتفعيل وسائل عرض المعلومات واستخدام النوافذ والصفحات، والمواقع المتاحة والتي يمكن أن تكون وسائط متاحة بين جمهور المهتمين في المجال الواحد.

كما أشارت دراسة أحمد الشوادفي (2011) إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي تحقق مستوى مرتفعاً من الوجود الاجتماعي مع زملائهم، من خلال المشاركة في المحادثات والحوارات والنقاشات وإرسال الأسئلة وتلقي الاستجابات. وأن هذه الشبكات تسهم في تبادل المعلومات والأفكار داخل بنية رقمية تتيح تبادل المعلومات في سهولة ويسر وسرعة.

وفي رسالة ماجستير لحنان بنت شعشوع (2013) عن أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونية على العلاقات الاجتماعية، دراسة ميدانية مطبقة على عينة (حجمها 150 طالبة) من طالبات جامعة الملك عبد العزيز بجدة، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها: أن من أقوى الأسباب التي تدفع الطالبات لاستخدام الفيس بوك وتويتر هي سهولة التعبير عن آرائهن واتجاهاتهن الفكرية التي لا يستطعن التعبير عنها صراحةً في المجتمع، وأن الطالبات استفدن من هذين الموقعين في تعزيز صداقاتهن القديمة والبحث عن صداقات جديدة، والتواصل مع أقاربهن البعيدين مكانياً...

وفي دراسة ميدانية لأبو عمرة ربيع (2013) توصلت إلى أن هناك تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية إيجابية لشبكات التواصل الاجتماعي، نذكر منها على سبيل المثال: المساهمة في زيادة الوعي السياسي، المساهمة في إسقاط أنظمة حكم مرفوضة شعبياً (كما حدث في مصر في ثورة 25 يناير)، الإسهام في زيادة الوعي الاقتصادي والاجتماعي، وسيلة

للتعلم والتعليم والتثقيف، تحقيق السرعة في إيصال المعلومات، وسرعة التواصل مع الآخرين مهما كانت المسافات، وتسهيل الدخول على قواعد البيانات.

وفي بحث لهنا سرور (2015) عن تأثير وسائل التواصل الإلكتروني في التطور الاجتماعي والاقتصادي، أكدت أن مواقع التواصل الاجتماعي استطاعت أن تفرض نفسها بقوة، فقد أصبحت مصدرًا مهمًا للصحفيين ووسائل الإعلام المختلفة والقنوات الفضائية، التي باتت تنقل وتهتم وتتعرف إلى اتجاهات الرأي العام والتنسيق والتشبيك مع الصحفيين والمهتمين والدارسين والكثير من المسؤولين بشأن قضايا المجتمع. وأصبحت الغالبية العظمى من المجتمع: الدوائر الرسمية وغير الرسمية، الأفراد والشركات العامة والخاصة، رجال الدين، النخب السياسية، الأكاديميون، الوزراء، والأمراء، من مستخدمي هذه المواقع.

كذلك من التأثيرات الإيجابية لشبكات أو وسائل التواصل الاجتماعي تجميع من فرقتهم الحروب والهجرة والزمن... بمعنى أننا لا نستطيع إنكار أن الكثير من العائلات تفرقت بسبب ظروف معينة سواء أكانت حروبًا أم هجرات أم كوارث... بحيث أنهم فقدوا الأمل باللقاء أو العودة والتقوا عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي. وكَم من شخصٍ التقى بأصدقاء الطفولة واسترجعوا ذكريات ظنوا أنها اندثرت مع الفراق وأحييتها لهم شبكات التواصل الاجتماعي... أخيرًا وليس بآخر، فإن شبكات التواصل الاجتماعي وسيلة جذابة للأصدقاء يتبادلون من خلالها طرفة جميلة أو أغنية أو قصيدة أو صورة، ووسيلة رائعة لتبادل اللغات والآراء، ومشاركة الأحداث والموضوعات، والتعرف إلى ثقافات أخرى (بما تشمله من عاداتٍ وتقاليد وأعراف وأسلوب حياة...).

التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي:

وبالرغم من التأثيرات الإيجابية لوسائل التواصل الاجتماعي فإنه وُجد في المقابل مجموعة من التأثيرات السلبية Negative Effects لها، نذكر منها: أن عملية التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يتم استغلالها بشكلٍ كبيرٍ في الرذيلة والفساد الأخلاقي وتخطي الحدود الدينية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية بين المستخدمين لهذه الشبكات أو الوسائل، من خلال دخولهم في مناقشات غير مرغوب فيها دينيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا وثقافيًا وفكريًا، وارتياح منتديات الحوار والدرشة والارتباطات العاطفية بغرض التسلية والتلاعب بعواطف

الآخرين؛ حيث يخفون الاسم والعمر والحالة الاجتماعية والزواجية والجنسية والديانة... (مدحت أبو النصر: 2015 ب).

لقد أثبتت البحوث والدراسات أن بعض الأطفال وبعض الشباب يقضون في المتوسط من 3-5 ساعات يومياً في تواصل مع آخرين على وسائل التواصل الاجتماعي، هذه الساعات الضائعة من المؤكد أنها تحرم الطفل والشباب من الكثير: كالراحة والنوم والتعبُّد والذاكرة والتواصل مع الأسرة... كذلك مثل هذه المواقع تُسهِّل للمراهقين وللشباب بدرجة كبيرة عملية التعارف غير الشرعي بالجنس الآخر؛ مما يسبب ذلك كثيراً من المشكلات الأخلاقية والجنسية... (انظر: زاهر راضي: 2003؛ جراح العتيبي: 2008؛ عادل بن عايض: 2010).

ويشير دافيد وول (David Wall 2002) بأن هناك مَنْ يستغل وسائل التواصل الاجتماعي في تنفيذ أنشطة إجرامية، كالسُّلب والسرقة والاحتيال، واختراق البريد الإلكتروني وإنشاء مواقع لتشويه سمعة الآخرين ونشر أفكار ومعتقدات تسيء إلى الأديان السماوية والتقاليد المجتمعية السائدة.

أيضاً تؤكد ثريا محمد سراج (2007) أن استغراق المستخدمين لوسائل التواصل الاجتماعي، وغالبيتهم من الأطفال والمراهقين وطلاب المدارس والجامعات في التعامل مع مواقع المحادثة والتحاوّر Chatting عبر الإنترنت أو مواقع التواصل الاجتماعي مثل: فيس بوك وتويتر ويوتيوب وإنستجرام والبريد الإلكتروني... يمكن أن يعطيهم خبرات ومعلومات ويكسبهم اتجاهات ليست ملائمة لمرحلتهن العمرية، أو يجعلهن عرضةً للوقوع بين براثن عضوية جماعة مجهولة الأهداف الحقيقية مما يُعد استنزافاً للوقت والجهد، كما يعرض هؤلاء الأطفال والمراهقين لاضطرابات نفسية وعزلة اجتماعية.

وفي رسالة ماجستير لجراح العتيبي (2008) عن تأثير الفيس بوك على طلبة الجامعات السعودية، وجد أن الفيس بوك له تأثيرات إيجابية وسلبية على عينة الدراسة. ومن التأثيرات السلبية إضاعة الوقت، وضعف العلاقات الاجتماعية بين الطالب وزملائه وقلة إقبال الطلبة على أنشطة رعاية الشباب بالجامعة.

وفي دراسةٍ لمحمد النوبي (2011) وجد أن وسائل التواصل الاجتماعي أحياناً تبتُّ بعض السلبيات التي لا تتوافق مع قيم المجتمع المسلم، مثل: الغزو الفكري وخصوصاً لأصحاب الفكر السطحي، وإدمان التواصل إلكترونياً مع الآخرين وخصوصاً مع الجنس الآخر.

وفي دراسة ميدانية قامت بها مريم نومار (2012) عن استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيرها في العلاقات الاجتماعية، وجدت بأن هذه المواقع قللت من الاتصال الشخصي وجهاً لوجه مع الآخرين والأصدقاء والأهل، وتؤدي تدريجياً إلى الانسحاب الملحوظ للفرد من دائرة التفاعل الاجتماعي مع المحيطين به.

وفي دراسة مسحية تم إجراؤها في العام 2012 على عينة شملت 6100 شخص خليجي من فئات عمرية مختلفة، وُجد الآتي:

1- أن 87٪ من الذين شملهم المسح يستخدمون تويتر، بينما أشار 44٪ منهم بأنهم يستخدمون الفيس بوك.

2- ذكر 41٪ من الذين شملهم المسح بأنهم يقضون ما بين 2 إلى 3 ساعات على شبكات التواصل الاجتماعي يومياً.

3- ذكر 58٪ من الذين شملهم المسح بأنهم يستفيدون منها، بينما ذكر 41٪ بأن استفادتهم غير واضحة، وأكد 1٪ منهم بأنهم لا يستفيدون شيئاً على الإطلاق من استخدامهم لهذه الشبكات.

4- أجب 85٪ بأن مخاطر هذه الشبكات تعتمد على نوعية الاستخدام الشخصي.

5- ذكر 18٪ بأنه ليس هناك مخاطر من استخدام هذه الشبكات.

6- قال 5٪ منهم بأن هناك مخاطر حقيقية وراء استخدام هذه الشبكات.

7- أظهر المسح تفوقاً واضحاً للذكور في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي مقارنةً بالإناث، حيث ذكر 71٪ من الذكور بأنهم يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي مقارنة بـ 29٪ من الإناث اللاتي شملهن المسح.

8- كما توصل المسح إلى أن الخليجيين في عينة البحث في الفئة العمرية من 30 سنة وحتى 35 سنة هم الأكثر استخداماً لشبكات التواصل الاجتماعي.

9- ذكر 96٪ من الذين شملهم المسح بأن لديهم حساباً في شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة، مثل الفيس بوك وتويتر ولينكد إن.

وفي دراسة ميدانية أخرى لأبو عمرة ربيع (2013) توصلت إلى مجموعة من التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السلبية، نذكر منها: تسريب الأفكار الهدامة بين الأطفال والمراهقين والشباب، ونشر المعلومات الجنسية الفاضحة، وانتشار أمراض نفسية لم تكن

موجودة من قبل، مثل إدمان الحاسب الآليّ والإنترنت والتوحد، إكساب الشباب قيمًا تتنافى مع قيم المجتمع، المساهمة في ضعف العلاقات الاجتماعية مع الآخرين...

وفي رسالة ماجستير لحنان بنت شعشوع (2013) عن أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونيّة على العلاقات الاجتماعية، وهي من طالبات إحدى الجامعات السعودية (كما سبقَت الإشارة إلى ذلك)، أشارت عينة الدراسة إلى أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي كان له تأثير سلبي في تقليل حجم التفاعلات مع الأسرة والجيران والأقارب، وقلة عدد ساعات الاستذكار والشكوى من بعض الآلام الجسدية...

وفي بحثٍ لأسماء مصطفى عبد الرازق (2023) وضح مخاطر وسائل التواصل الاجتماعي على الأطفال والشباب في الإمارات، وقدم مجموعة من الآليات المقترحة للحدّ من هذه المخاطر من منظور الممارسة العامة في مهنة الخدمة الاجتماعية.

ومن خلال مراجعة نتائج بعض البحوث والدراسات السابقة، وُجد أن من أبرز المظاهر السلوكية والاجتماعية لمرتابدي أو مستخدمِي شبكات التواصل الاجتماعي ما يلي:

- 1- الكذب المُفرط أثناء التفاعل والتواصل مع الآخرين.
- 2- كثرة الأخبار غير الصادقة والشائعات وانتشارها بسرعة شديدة.
- 3- العجز عن التحكم في عدد ساعات الجلوس أمام الإنترنت وإدمان عملية التواصل الاجتماعي بصورة دائمة، وهو ما يُسمّى بالاستخدام القهري للإنترنت أو إدمان الإنترنت.
- 4- ظهور نمط تفكير غير منطقي تتداخل فيه أفكار متنوعة ترتكز على مفاهيم مختلفة ليس لها أي التزام قانوني أو ديني أو خلقي.
- 5- اللامبالاة عامة والتي تؤدي إلى إهمال العلاقات الاجتماعية مع الأسرة والأصدقاء.
- 6- الانسحاب من الأنشطة الاجتماعية والأحداث الجارية.
- 7- الانجذاب لإقامة علاقات عبر مواقع التواصل الإلكتروني والتي تُعدُّ أكثر تحرُّرًا من المعايير الاجتماعية وأكثر إثارةً وأقل خطورة.
- 8- تجاهل الدراسة وانخفاض المستوى الدراسي.
- 9- ظهور لغة جديدة بين الشباب بين العربية والإنجليزية من شأنها أن تُضعف لغتنا العربية وإصاعة هويتها.
- 10- زيادة معدلات الغياب من المدرسة أو من الجامعة أو من العمل (مدحت أبو النصر: 2012).

- 11- الشعور بالانبهار أمام الإنترنت والحماس والفاعلية والجاذبية، وأنه السبيل الوحيد للخروج من الملل والتغلب على الوحدة والاكتئاب واليأس.
- 12- ظهور المشاعر السلبية عند التوقف عن استخدام مواقع التواصل الإلكتروني، كعدم الرضا والشعور بالوحدة والإحباط والقلق والتوتر والانزعاج.
- 13- ضعف الإحساس بقيمة الذات فيهرب إلى الإنترنت لينشئ مفهوم ذاتٍ مثاليًا يحل محل مفهوم ذاته الواقعي الضعيف من خلال عالم افتراضي.

التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي على الطفل والأسرة:

والجزء التالي سوف يلقي بعض الضوء على بعض التأثيرات السلبية لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي على الطفل العربي والأسرة العربية بصفة عامة وعلى الأسرة الخليجية بصفة خاصة. فلقد أوضحت العديد من البحوث والدراسات بأن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت أحد أعضاء الأسرة (بالطبع عضو افتراضي) وأن الاستخدام المكثف لهذه الشبكات وقضاء وقت طويل عليها وما بها من أمور قد تفسد الأخلاق... أدّى إلى المساهمة في تفكك الأسرة وضعف العلاقات بين الزوجين والصمت الزوجي، وضعف العلاقات بين الوالدين وضعف عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء وضعف العلاقات مع الجيران والأقارب، وإلى زيادة حالات العلاقات غير الشرعية والطلاق والخلع...

فلقد أثبتت دراسة بريطانية أن قرابة 30٪ من حالات الطلاق في العام 2011 كانت بسبب سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة الفيس بوك والواتس أب. وفي دراسة تم إجراؤها في إيطاليا وجد أن 40٪ من حالات الطلاق تُعزى إلى سوء استخدام شبكات التواصل الاجتماعي؛ نظرًا لكشفها العديد من العلاقات والأسرار في الحياة الزوجية (المصدر: مجلة التنمية الإدارية: 2015).

وفي دراسة لجونز مورجان (1998) Jones Morgan عن تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على الحوار بين الزوجين وداخل الأسرة، وجدت أن الدخول على هذه الشبكات يُقلل الإنصات والحوار بين الزوجين ويُضعف العلاقات بين الزوجين والعلاقات الأسرية ككل، بما فيها العلاقات بين الوالدين وأبنائهم.

وفي دراسة أخرى لشيما سند (2010) عن العلاقة بين إدمان الإنترنت ومشكلات العلاقات

الأسرية لدى طالبات المرحلة الثانوية، توصلت إلى أن هناك علاقةً بين إيمان استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وكُلٌّ من: المشكلات الأسرية لدى الطالبة، وضعف الاتصال بين الطالبة وأسرتها، ومحدودية قيام الطالبة بأدوارها الأسرية، وضعف مشاركتها في القرارات الأسرية... أيضاً وجدت دراسة لنادية أحمد (2011) أن أحد أسباب المشكلات الأسرية في عيِّنة الدراسة، استخدام أعضاء الأسرة الواحدة لشبكات التواصل الاجتماعي لفترات طويلة نسبياً. كذلك في دراسة لريان شارفسكا (2012) Ryan Sharaievsk عن الأسرة وتحقيق الرضا الزوجي واستخدام تكنولوجيا شبكات التواصل الاجتماعي، توصلت إلى أن استخدام أفراد الأسرة لشبكات التواصل الاجتماعي أدَّى بالفعل إلى تقليل الرضا الزوجي والاستقرار الأسري، وإلى قلة الوقت الذي يقضيه أفراد الأسرة معاً وإلى حدوث كثير من التوتر والصراع داخل الأسرة.

هذا، ولقد أشارت بحوث ودراسات عديدة تم إجراؤها على الأسرة الخليجية (انظر على سبيل المثال: معن خليل العمر: 2008؛ جراح العتيبي: 2008؛ سلوي عبد الحميد أحمد الخطيب: 2010؛ حنان شعشوع: 2013؛ مدحت أبو النصر: 2015 ج) إلى وجود استخدام مفرط وأحياناً سيئاً للتكنولوجيا الحديثة في الاتصالات والمعلومات من جانب الأسرة الخليجية؛ مما أثر وما زال يؤثر بالسلب على قوة العلاقات الأسرية بداخلها، فعلى سبيل المثال: يمتلك كل عضو في الأسرة الخليجية هاتفاً محمولاً أو أكثر (غالباً من الهواتف الذكية الحديثة الغالية الثمن)، حتى إن الأطفال في مرحلة رياض الأطفال يوجد معهم مثل هذه الهواتف، ووصول بلاغات عديدة لأقسام الشرطة ولوزارة الداخلية؛ نتيجة معاكسات واتهامات وفضائح وتشهير تمت بواسطة الاستخدام السيئ لشبكات التواصل الاجتماعي...

وسائل التواصل الاجتماعي والجرائم الإلكترونية:

الجريمة الإلكترونية Electronic Crime أو الجريمة المعلوماتية أو الجريمة السيبرانية هي: الجريمة التي تتم باستخدام جهاز الحاسب الآلي، من خلال الاتصال بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ويكون هدفها اختراق الشبكات أو تخريبها أو التحريف أو التزوير أو السرقة والاختلاس أو قرصنة وسرقة حقوق الملكية الفكرية. ويشكل السلوك الانحرافي جريمة بأركانها المادية والمعنوية ولا عبء فيها بالباعث على ارتكابها (انظر: منير فرج يوسف: 2008، 20).

أيضاً من تعريفات الجريمة الإلكترونية أنها كل نشاط غير مشروع مُوجّه لنسخ أو تغيير أو الوصول إلى المعلومات المخزونة داخل النظام، والتي تحوي على كل سلوك غير مشروع أو غير مسموح به فيما يتعلق بالمعالجات الآلية للبيانات (محمد محمود مكاوي: 2010، 27).

وعرفها كلٌّ من نسرين محسن الحسيني ومحمد حسن مرعي (2020، 22-23) بأنها كل سلوك إجرامي يتم بمساعدة الحاسبات الآلية ضد البشر أو ضد المنظمات أو ضد الدول، سواء ما يخصُّ الأموال أو المعلومات (الحسيني ومرعي: 2020، 22-23). كذلك عرفها عادل رضوان الحربي (2022، 6) بأنها أي ممارسة غير شرعية تستهدف التحايل على نظام المعالجة الآلية للبيانات بغية إتلاف المستندات المُعالَجة إلكترونياً، وذلك من خلال قرصنة الكتابة أو استخدام برامج الحاسب الآليّ الجاهزة.

ويستخدم المجرمون في الجريمة الإلكترونية وسائل التواصل الاجتماعي في تحقيق أهدافهم الإجرامية، وفي الوصول إلى ضحاياهم وفي معرفة معلومات عنهم وفي معرفة بعض أسرارهم وفي معرفة احتياجاتهم ومشكلاتهم ومعرفة علاقاتهم مع الآخرين وشكل هذه العلاقات... مما يساعد هؤلاء المجرمين في تحديد ضحاياهم والتواصل معهم والضغط عليهم وابتزازهم. ومن أكثر الفئات التي يتم اختيارها بواسطة هؤلاء المجرمين هم: الأطفال والمراهقون والشباب وخاصة الإناث منهم.

وانطلاقاً من ذلك يجب توعية مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة الفئات السابق ذكرها؛ لحمايتهم من هذه الجريمة التي بدأت زُداد مُعدَّلاتها بشكل ملحوظ في الوقت الحالي.

توصيات البحث:

1- كل شيء في الحياة له سلبيّات وإيجابيّات، ولكي نستفيد من هذا الشيء لا بد من تحصيل الإيجابيّات وتلافي السلبيّات. ومواقع التواصل الاجتماعي مثلها مثل أشياء كثيرة لها إيجابيّات وسلبيّات. وهناك مَنْ يبحث عن السلبيّات في كل ما هو جديد، ولكن هذه السلبيّات تعود إلى سوء استخدام وأخلاق الشخص وليس إلى الشيء بذاته؛ وبالتالي عليك الاستفادة من إيجابيّات وسائل التواصل الاجتماعي وعدم البحث عن سلبيّاتها حتى لا تتأثر بها أو تعاني منها أو تشتكي منها.

2- على الزوجين دور مهم في: أن يهتمَّ ببعضهما البعض وأن يتحاورا معاً وينصتا لبعضهما

البعض، وأن يُحسنا استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وألاً سيئاً استخدام هذه الشبكات، وأن يدركا بأن سوء استخدام هذه الشبكات سيؤدي إلى الصمت الزوجي، وإلى الكراهية والبغض والمقارنة، وإلى التعارف غير الشرعي مع جنسٍ آخر وإلى الانفصال العاطفي ثم الجسدي ثم الطلاق أو الخلع في النهاية...

3- على الوالدين دور مهم في: أن يكونا قدوةً لأبنائهم، وأن يُحسنا استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وأن يجلسا معاً ومع أبنائهم أكثر من دخولهم على مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، وأن يرفعا شعار الحوار الأسري فيما بينهما ومع الأبناء...

4- على الأسرة دور مهم في: التنشئة الاجتماعية السليمة والتربية الدينية الصحيحة للأبناء، وتوعية هؤلاء الأبناء بطريقة سليمة بإيجابيات وسلبيات وسائل التواصل الاجتماعي، وتوضيح المخاطر المترتبة على الاستخدام السيئ لهذه الوسائل، والمتابعة المستمرة لهم، والحرص على الحوار الإيجابي الفعال معهم، وإرشادهم بالاستخدام الصحيح للإنترنت لحمايتهم بواسطة برامج التصفح التي تسمح بتصفح الإنترنت بصورة آمنة، وتحميهم من خطر المواقع غير الملائمة والمنتشرة بشكل كبير على الإنترنت...

5- على المؤسسات الدينية دور مهم في: تعليم الناس وخاصة الأطفال والمراهقين والشباب الدين الصحيح، وإكسابهم القيم والأخلاقيات الدينية السليمة، وتوعية المجتمع بمخاطر الاستخدام المكثف وسوء استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، واستخدام الاستمالات الإقناعية (الترغيب والتخويف) في هذا الشأن، وتوضيح السلوك القويم عند التعامل مع هذه الشبكات...

6- على المدرسة والجامعة دور مهم في: توعية التلاميذ والطلاب بإيجابيات وسلبيات وسائل التواصل الاجتماعي وذلك من خلال وسائل عديدة، نذكر منها: الأنشطة الطلابية اللاصفية وجماعات النشاط المدرسي في المدارس وأنشطة رعاية الشباب في الجامعات... فعلي سبيل المثال يمكن تنظيم المحاضرات والندوات والمؤتمرات عن موضوع وسائل التواصل الاجتماعي. وعقد المسابقات عن إيجابيات وسلبيات هذه الشبكات وتوزيع الجوائز على التلاميذ والطلاب، وأهمية شغل أوقات فراغ النشء والشباب بأنشطة جذابة ومناسبة ومفيدة لهم وللمجتمع، والعمل على حماية الأطفال والمراهقين والشباب من مظاهر التقليد الأعمى والتي تتنافى مع ثقافة المجتمع العربي وقيم وأخلاقيات الدين الإسلامي الحنيف.

- 7- على جهات العمل دور مهم في: نشر ثقافة احترام وقت العمل وتوظيفه في إنجاز العمل، وليس بدخول العاملين على شبكات التواصل الاجتماعي لإضاعة واستهلاك وقت العمل، ووضع تعليمات صارمة بعدم استخدام هذه الشبكات إلا لأغراض العمل والمكتب فقط وليس في أمور شخصية أو أسرية أو تجارية أو ترفيهية، ووضع نظام لمراقبة العاملين لضمان حسن استخدام هذه الشبكات وعدم سوء استخدامها.
- 8- على مراكز رعاية الطفولة ومراكز رعاية الشباب والجمعيات الأهلية (الخيرية) دور مهم في: توعية وتدريب الأطفال والمراهقين والشباب وتزويدهم بالمهارات اللازمة لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي الاستخدام السليم والهادف.
- 9- على الحكومة دور مهم في: الاستفادة الفعالة من وسائل التواصل الاجتماعي في التواصل مع الجمهور وأصحاب المشكلات، وفي تقديم الخدمات الحكومية والإعلان عنها وشروط الحصول عليها، والتواصل مع وسائل الإعلام الجماهيرية وفي التسويق الإلكتروني للخدمات الحكومية.
- 10- على وسائل الإعلام الجماهيرية دور مهم في: توعية جمهور المستمعين والمشاهدين والقرّاء بمخاطر سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك من خلال برامج إذاعية وتلفزيونية ومقالات مكتوبة تناقش هذه المخاطر وتوضح كيفية تجنبها، وتقدم لنا نماذج سيئة ونماذج أخرى جيدة في هذا الشأن...
- 11- استخدام برامج خاصة أو ما يتم تسميته بحاجز الحماية Firewall، مثل برنامج نورتون Norton وبرنامج كاسبر سكي Casper Ski وبرنامج مكافي McAfee.. والتي تمنع المستخدمين من الدخول على مواقع الرذيلة والجنس والإرهاب والشائعات... والتي تمثل خطورة على قيم وأخلاق المستخدمين وخاصة الأطفال والمراهقين والشباب وتضرُّ بالأمن القومي للمجتمع، وإن كان من الصعوبة حصر هذه المواقع لكن التوعية بأضرار هذه المواقع هو النتيجة الفعالة.
- 12- توعية الناس والأسرة بمفهوم الجريمة الإلكترونية وأنواعها ومخاطرها وكيفية حماية أنفسهم وأبنائهم منها.
- 13- إجراء مزيدٍ من البحوث والدراسات الميدانية عن إيجابيات وسلبيات وسائل التواصل الاجتماعي، وكيفية تدعيم الأولى والتغلب على الثانية ودور كل الأطراف المعنية والمهتمة في هذا الشأن.

أخيراً وعلى الرغم ممّا تتيحه الاتصالات الإلكترونيّة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي من مزايا، فإنه يجب إدراك وفهم أنّها لا تعدو إلا أن تكون مجموعة من الشبكات أو الوسائط، وأنه لا فائدة تُرجى من منها ما لم يكن الإنسان يُجيد استعمالها ويحسن استخدامها.

مراجع البحث

أولاً: المراجع العربية:

- 1- أبو عمرة ربيع إمبابي: "تأثيرات شبكات التواصل الاجتماعي على الفرد والمجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً"، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، العدد 35، القاهرة: 2013.
- 2- أحمد الشوافي: "تصميم تعليمي مقترح لموقع إلكتروني تفاعلي في الدراسات الاجتماعية وأثره في تنمية التفكير الناقد وبعض مهارات التواصل الإلكتروني لدى تلاميذ الصف السابع من التعليم الأساسي"، مجلة كلية التربية، العدد 98، جامعة كفر الشيخ، كفر الشيخ: 2011.
- 3- أسماء مصطفى عبد الرازق: "مخاطر وسائل التواصل الاجتماعي على الشباب وآليات مقترحة للحد منها من منظور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية"، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، القاهرة: يناير 2023.
- 4- ثريا محمد سراج: سوء استخدام الإنترنت وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينة من طلاب الجامعة (دراسة سيكومترية - إكلينيكية) (الزقازيق: رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، 2007).
- 5- جراح العتيبي: تأثير الفيس بوك على طلبة الجامعات السعودية (الرياض: رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 2008).
- 6- حنان بنت شعشوع الشهري: عن أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونيّة على العلاقات الاجتماعية، دراسة ميدانية مطبقة على عينة من طالبات جامعة الملك عبد العزيز بجدة (جدة: رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة الملك عبد العزيز، 2013).
- 7- زاهر راضي: استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي (عمان: جامعة عمان الأهلية، 2003).
- 8- ساندرّا كان: المفاهيم الرئيسية في العلاقات العامة، ترجمة مدحت محمد أبو النصر (القاهرة: المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، 2014).
- 9- سلوى عبد الحميد أحمد الخطيب: التغيرات الاجتماعية وأثرها على الأسرة السعودية، الكتاب السنوي، كرسي الأميرة الصبية، المملكة العربية السعودية: 2010.
- 10- شيماء سند سعد: العلاقة بين إدمان الإنترنت ومشكلات العلاقات الأسرية لدى طالبات المرحلة الثانوية (القاهرة: رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2010).

- 11- عادل بن عايض المغذوي: ضوابط التواصل الإلكتروني من منظور إسلامي ومدى تحققها لدى طلاب التعليم الثانوي بالمملكة العربية السعودية (المدينة المنورة: 2010).
- 12- عادل رضوان الحربي: القيادة الرقمية والمستقبل (دبي: كلية محمد بن راشد، 2020).
- 13- عفاف عبد الله وعبد الرحمن جعفر: "تأثيرات الإنترنت في علاقات الشباب الاجتماعية والأسرية"، المؤتمر العلمي الأول الأسرة والإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، الجيزة: 15-17 فبراير 2009.
- 14- فريدة فراولة: "التواصل الإلكتروني في دراسة من واقع الحياة الإلكترونية"، مجلة أمواج إسكندرية، قصر ثقافة، الإسكندرية: 2006.
- 15- قمة رواد التواصل الاجتماعي العرب: تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي (التقرير الأول: 2015).
- 16- كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية: تقرير الإعلام الاجتماعي (دبي: برنامج الحوكمة والابتكار، 2013).
- 17- كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية: تقرير الإعلام الاجتماعي (دبي: برنامج الحوكمة والابتكار، 2014).
- 18- مجدولين القاعد: تصميم موقع إلكتروني لتعلم اللغة العربية لتلاميذ الصف الثالث الابتدائي وقياس فاعليته في تعلم القراءة والكتابة (إربد، الأردن: رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك، 2006).
- 19- محمد النوبي: "إدمان الإنترنت ودوافع استخدامه وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي لدى طلاب الجامعة الموهوبين المصريين والسعوديين (دراسة عبر ثقافية)"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 152، القاهرة: 2011.
- 20- محمد محمود مكايي: الجوانب الأخلاقية والاجتماعية لجرائم المعلوماتية وجرائم الكمبيوتر والإنترنت (المنصورة: المكتبة العصرية، 2010).
- 21- محمد مدحت محمد: الحكومة الإلكترونية (القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2016).
- 22- مدحت محمد أبو النصر: إدارة الوقت (القاهرة: المجموعة العربية للنشر والتدريب، 2012).
- 23- مدحت محمد أبو النصر: إدارة الذات (القاهرة: المجموعة العربية للنشر والتدريب، 2013).
- 24- مدحت محمد أبو النصر: مهارات الاتصال الفعال مع الآخرين (القاهرة: المجموعة العربية للنشر والتدريب، ط 3، 2015).
- 25- مدحت محمد أبو النصر: المدخل إلى علم اجتماع الاتصال والإعلام (المنصورة: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، 2015 ب).
- 26- مدحت محمد أبو النصر: "استشراف مستقبل الأسرة السعودية"، ملتقى جمعيات روابط الزواج والأسرة بالمملكة العربية السعودية، المركز الدولي للأبحاث والدراسات - مداد، الدمام: أبريل 2015 ج.
- 27- مدحت محمد أبو النصر: علم اجتماع الاتصال والإعلام (المنصورة: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، 2016).
- 28- مدحت محمد أبو النصر: "مفهوم وأهداف وخصائص شبكات التواصل الاجتماعي"، مؤتمر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الإسلام، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: أكتوبر 2016.

- 29- مريم نريمان نومان: استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيرها على العلاقات الاجتماعية (الجزائر: رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج خضر، 2012).
- 30- معن خليل العمر: "صيرورة تغيير الأسرة السعودية"، ندوة الأسرة السعودية والتغيرات المعاصرة، الرياض: 5-7 جمادى الآخرة 1429هـ، 12-10 مايو 2008.
- 31- معهد الإدارة العامة: " وسائل التواصل الاجتماعي وتشبثت الأسر"، مجلة التنمية الإدارية، العدد 126، الرياض: جمادى الأول 1436 هـ، يونيو 2015.
- 32- منير فرج يوسف: الجرائم المعلوماتية على شبكة الإنترنت (الاسكندرية: دار المطبوعات الجامعية، 2008).
- 33- نادية أحمد عمارة: العلاج الأسري في خدمة الفرد للتخفيف من مشكلات العلاقات الأسرية الناتجة عن استخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (الفيوم: رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم، 2011).
- 34- نرمين زكريا خضر: "الأثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لموقع الشبكات الاجتماعية"، المؤتمر العلمي الأول الأسرة والإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، الجيزة: 15-17 فبراير 2009.
- 35- نسرين محسن الحسيني ومحمد حسن مرعي: الجرائم الإلكترونية الواقعة على الأموال، دراسة مقارنة (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2020).
- 36- هبة أحمد عبد اللطيف: "تنمية شعور الطلاب لمجتمعهم باستخدام المجتمعات الافتراضية كوحدة عمل لطريقة تنظيم المجتمع"، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، العدد 35، القاهرة: أكتوبر 2013.
- 37- هناء سرور: وسائل التواصل الاجتماعي وإثراء المحتوى القومي للتنمية الاقتصادية العربية الشاملة، جامعة الدول العربية، القاهرة: 2015.
- 38- هيام على حامد: "انعكاسات الجماعات الافتراضية على إحداث مشكلة الاغتراب الزوجي"، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، العدد 35، القاهرة: أكتوبر 2013.
- 39- ياسر عبد الفتاح القصاص: "فاعلية مواقع التواصل الاجتماعي في تنشيط شباب الثورة في الانتخابات البرلمانية"، المؤتمر العلمي الخامس والعشرين للخدمة الاجتماعية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، القاهرة: مارس 2012.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1- Abraham Maslow: " A Theory of Human Motivation", Psychological Review, Vol. 50, 1943.
- 2- B.D. Ruben & R.W. Budd: Human Communication Handbook (N.Y.: Hayden, 1975).
- 3- Don W. Stacks & et. al.: An Introduction to Communication Theory (N.Y.: Harvourt Brace Jovanofich College Publications, 1991).
- 4- G. A. Miller: Language and Communication (N.Y.: Mc Grow Hill, 2002).

اضطراب بيكا لدى الأطفال وتشخيصه وطرق علاجه

أ. د. هدى جمال محمد *

مقدمة:

تُعدُّ مرحلة الطفولة من أهمِّ مراحل الفرد، حيث توضع البذور الأولى لشخصيته، التي من خلالها نستطيع فهم الاضطرابات النفسية التي يعاني منها في مرحلة الرُّشد، وتتعدد الاضطرابات النفسية التي تصيب الأطفال في مرحلة الطفولة أكثر منها لدى الكبار، ومن ضمن هذه الاضطرابات التي تبدو لغير المتخصِّصين غريبة في مظاهرها وأعراضها هو ما يُعرف باضطراب بيكا عند الأطفال.

وقد لا يعرف الكثيرون عن اضطرابات الأكل عند الأطفال الصغار، فثمة اضطرابات تكون عند الأطفال الصغار، وقد تكون عند الكبار ولكنها نادرة بالنسبة إلى الكبار، ومن هذه الاضطرابات ما يُعرف بـ "البيكا Pica"، وهو أن يقوم الطفل بأكل مواد غير قابلة للأكل، وغير قابلة للهضم، وتكون هذه المواد غير مفيدة لنمو الطفل في المجتمع الذي يعيش فيه، ويكون هذا السلوك الغذائي غير مقبول اجتماعياً أو ثقافياً. هذا الاضطراب يصيب الأطفال الصغار بصورة أكثر بكثير من الكبار، ويمكن أن يحدث في الأشخاص الذين يعانون التخلف العقلي (Retardation Mental) ويأكل الأطفال المصابون بهذا الاضطراب، وكذلك الكبار أكلات غير مقبولة مثل أكل التراب أو الطين، وبعضهم يأكل موادَّ صلبة قد تسبب له أضراراً كبيرة في الجهاز الهضمي، ولكنهم لا يرتدعون عن القيام بأكل هذه المواد غير القابلة للأكل والهضم، وقد تم رصد حالات لنساء حوامل قُمن بأكل مثل هذه المواد الضارة، وغير المقبول أكلها وتسبب أضراراً جسدية للشخص. فإن هذه الحالات تُسمَّى (بيكا Pica). (صموئيل تامر، 2015).

واضطراب بيكا Pica Disorder هو اضطراب غذائي، ونوع من أنواع اضطرابات الأكل التي تظهر غالباً عند الأطفال وخاصة الذين يعانون إعاقات ذهنية، ويستمر طويلاً مع الأطفال الذين يعانون إعاقات شديدة في النمو، حيث يجعل المصاب به يتناول موادَّ ضارَّة ولا تحتوي على

* أستاذ علم النفس الإكلينيكي المساعد - كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس، مصر.

أية قيمة غذائية، حيث تمثل خطراً جسيماً على صحتهم، التي تسبب الكثير من حالات التسمم التي تؤدي بحياتهم (Rashide & Davies, 2010).

إن البيكا اسم مُقتبس من اللغة اللاتينية ويعني اسم طائر يشتهر بقدرته على أكل أي شيء بغض النظر عن طبيعة تلك المادة، كما يُشار أيضاً أن البيكا يرجع إلى طائر العَقَق الذي يميل إلى أكل أطعمة غير غذائية. وقد عُرف هذا الاضطراب على مرّ العصور، حيث يعود تاريخه إلى 1800 قبل الميلاد؛ وخاصةً في بلاد تتناول أطعمة غير غذائية لأغراض طبية. وقد ظهر في الولايات المتحدة كنوع من الاحتفالات الدينية والمعتقدات للتخلص من السحر، وما زالت هذه المعتقدات موجودة حتى الآن في أمريكا الجنوبية، حيث يقومون ببلع أكياس الطين الأبيض التي يحصلون عليها من السوبر ماركت، ويظهر ذلك أيضاً في ثقافة بعض الشعوب مثل الهند التي يأكل فيها النساء الحوامل بعض الأطعمة الغريبة؛ اعتقاداً منهن بإرضاء الآلهة ليُنجبن وليداً صحيحاً بديلاً خالياً من الأمراض. (McHale & Mishori, 2014, 63).

ويُعرف اضطراب بيكا على أنه "الرغبة الشديدة في تناول مواد أخرى غير المواد الغذائية، بما في ذلك الطين والشعر والبراز والرصاص والبلاستيك والجِلَّة والأظفار والفحم والطباشير والإبر، وأعقاب السجائر (Ashworth, Martin, & Hirdes, 2008, 176). كما عرّفه (Carter, 2009, 143) بأنه اضطراب في الأكل يصحبه ابتلاع مواد غير صالحة للأكل، مثل أكل الطلاء، والرمال، والبراز، والطين؛ مما يسبب التسمم وانسداد الأمعاء والالتهابات البكتيرية ونقص الغذاء.

تشخيص اضطراب بيكا:

إذا تم الاشتباه في أن شخصاً ما يعاني هذا المرض، فالتقييم الطبي ضروري لمعرفة فيما إذا كان هناك فقر دم، انسداد معوي، أو تسمم ناتج عن المواد المتناولة. إذا وُجدت هذه الأعراض، فإن الطبيب سيبدأ التقييم عن طريق أخذ تاريخ طبي كامل من المريض. وقد يقوم الطبيب بإجراء اختبارات مُعيّنة مثل الاختبارات الجسدية باستخدام الـ X-ray، اختبارات الدم للتأكد من وجود الأنيميا والبحث عن السموم، ومواد أخرى في الدم، ويتفقد أيضاً الانسدادات التي قد تتكوّن في المجرى المعوي. كما يقوم الطبيب أيضاً بتحرّي وجود بعض الأمراض الأخرى التي قد تظهر بسبب تناول مواد مُلوّنة بالبكتيريا وكائنات أخرى، كما أنه قد تتم مراجعة عادات الشخص

الغذائية. قبل تشخيص المريض بمرض بيكا، يقوم الطبيب بدراسة وجود أمراض أخرى مثل التخلف العقلي، أو اضطرابات نمو، أو مرض الوسواس القهري، والتي قد تكون سبباً وراء هذا السلوك الغريب. هذا النمط السلوكي يجب أن يستمر لمدة شهر على الأقل لتشخيص الشخص المصاب بمرض بيكا.

كما أن الكشف المبكر عن سلوكيات البيكا يساعد في الحد من الأضرار التي قد تصيب الإنسان نتيجة هذا السلوك؛ لذا وجب التعرف إلى علامات وأعراض البيكا. (صموئيل تامر، 2015: جاد الرب، وغادة كامل، 2017).

وطبقاً لتشخيص الدليل الإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM-5) قد تمثلت أعراضها في الآتي:

- 1) تناول مواد غير غذائية لمدة لا تقل عن شهر، وذلك بعد أن يكون عمر الفرد يفوق الـ 18 شهراً حتى يكون قد تجاوز المرحلة الفمّية، التي تتميز بأن الطفل يقوم باستكشاف جميع الأشياء من خلال الفم.
- 2) الطعام الذي يتناوله الفرد يكون متناسباً مع المرحلة العمرية التي يمرُّ بها.
- 3) سلوك الأكل ليس جزءاً من معتقدات ثقافية أو اجتماعية.
- 4) في حالة حدوث السلوك في سياق اضطراب عقلي أو طبي كالصّام والتوحد والحمل... وغيرها. (DSM- 5 2013).

أنواع اضطراب البيكا:

يظهر اضطراب بيكا بعدة أشكال مختلفة من السلوك وفقاً لنوع المواد التي يتناولها المريض، وهو يُصنّف كالتالي:

- أكل البراز: وهو أكل البراز أو الفضلات الحيويّة.
- أكل التراب: وهو الأكل من الطين، والتربة مثلاً أو أي مواد ترابيّة مثل الطباشير، والتربة.
- الليسوفاجيا Lithophagia: هو شكل آخر من أشكال أكل التراب، ويتضمن أحياناً تناول الحصى، وقطع من الطوب، والحجارة، ويظهر عموماً في الأطفال.
- أكل الزجاج: ويتمثل في ابتلاع الأجسام الزجاجية.
- المكوفيليا Mucophilia: يتضمّن استهلاك اللافقاريّات والأسماك للمُخاط.

- أكل الجليد: هذا شكلٌ آخر من أشكال بيكا يشمل الاستهلاك المفرط لمُكَبَّات الثلج أو مشروبات مُتَلَّجة أو أكل الجليد منفرداً.
- أكل لحوم البشر الذاتي: وهذا النوع من بيكا يشمل ممارسة أكل الذات أو لحوم الآخرين.
- أكل الشعر: يتميز هذا النوع بأكل الشعر، ويبدأ المريض في أكل شَعْره، أو شعر آخر.
- أكل الخشب: وهذا النوع من المرضى يقومون بأكل الأشياء المصنوعة من الخشب، أو أقلام رصاص، ورق، لحاء الخشب. (Folse, Glassman., & Miller 2014).

أسباب الإصابة باضطراب بيكا:

- إن أسباب الإصابة بالبيكا غير محددة بشكل دقيق ولكن يوجد بعض الظروف التي تزيد من خطر الإصابة بها، هي:
- نقص التغذية، مثل نقص معدن الحديد، أو معدن الزنك، الذي قد يؤدي إلى رغبة شديدة في الطعام إلا أن المريض يقوم بأكل عناصر غير غذائية أيضاً.
- اتباع نظام غذائي: الأشخاص الذين يتبعون نظاماً غذائياً في محاولة منهم لتخفيف الجوع، من خلال تناول مواد غير غذائية للحصول على الشعور بالامتلاء.
- سوء التغذية: وخاصةً في البلدان المتأخرة، حيث ينتشر مع الفقر أن الناس يقومون بأكل التراب والطين لسدّ الجوع.
- العوامل الثقافية: في الأسر، والأديان، أو الجماعات التي تتناول مواد غير غذائية طبقاً لثقافتهم.
- إهمال الوالدين، وعدم وجود رقابة، أو الحرمان من الطعام - وغالباً ما تظهر على الأطفال الذين يعيشون في الفقر.
- المشاكل النمائية، مثل التخلف العقلي والتوحد والإعاقات النمائية الأخرى، أو تشوهات في المخ... وغيرها من الإعاقات. Glazer,2008.
- كما استطاع العلماء تصنيف أسباب اضطراب بيكا إلى عدة عوامل، منها:
- أ- العوامل الغذائية:
- النظريات الغذائية هي الأكثر شيوعاً فهي تفسر البيكا بأنها نقص معين في معادن الجسم مثل الحديد والزنك.

ب- العوامل البيولوجية:

وتشمل الأسباب البيولوجية ميلاً وراثياً لتطوير أشكال مختلفة من اضطرابات في الأكل، ويتم تبديل العوامل الجينية بعوامل بيئية تؤدي إلى تغيير في تسلسل الحمض النووي الأساسي. بحيث يتحكم في سلوكيات الأكل من خلال الغدتين النخامية والكظرية؛ وذلك لأنهما المسؤولتان عن إفراز الهرمونات المختلفة بداخل الجسم.

ج- العوامل الحسية:

أكدت نظريات الحسية والفسولوجية وجود ارتباط كبير بين حاستي الشم والتذوق وسلوكيات البيكا؛ حيث إنه عند وجود اضطراب في حاستي الشم والتذوق لا يستطيع الفرد التمييز بين طعم وروائح الأشياء التي يقوم بتناولها؛ وبالتالي يُصاب بالبيكا.

د- العوامل النفسية:

ويشمل هذا النهج الضغط النفسي الذي يتعرض له الفرد فيقوم بإظهار سلوكيات البيكا كنوع من أنواع التفريغ النفسي، وأيضاً الأشخاص المصابون بضعف الثقة في النفس يكونون من المعرضين بشكل كبير لإظهار سلوك البيكا.

هـ- العوامل الاجتماعية والثقافية:

ويشمل هذا النهج التجارب الشخصية المؤلمة مثل الإهمال في مرحلة الطفولة، والاعتداء الجنسي أو اللفظي، والترهيب، والعزلة الاجتماعية، والتي يكون لها تأثير ضار على الصحة الجسدية والعاطفية للفرد. (Ferrerri amm, & Wier, 2006).

النظريات التي فسرت اضطراب البيكا:

اختلفت وجهة نظر المدارس المختلفة حول تفسير اضطراب البيكا والأسباب التي تكمن وراءه، ومن هذه النظريات:

١- المدرسة السلوكية:

يرى السلوكيون أن هذا الاضطراب ناتج عن خلل في عملية التدريب في الصغر؛ مما يؤثر على الدماغ ويسبب حالة مزمنة من الاضطراب الوظيفي في عمله، ويضع السلوكيون قاعدة الخطأ في التفاعلات الشرطية التي تسبب هذا الاضطراب في القشرة الدماغية، كما أن اضطراب البيكا ما هو إلا عادات خطأ تكوّنت تدريجياً من سلاسل معينة من الأفعال المنعكسة الشرطية، وأنه

لعلاج هذه الحالات الشاذة يجب إطفاء هذه الأفعال الشرطية المرصية وتكوين أفعال شرطية جديدة تحل محل العادات الخطأ. (Karen, Starosta, & Adelman, 2006, 136). وتشير كل من (أشواق صبر، رافد صباح، 2017) إلى أن اضطراب البيكا إنما هو سلوك مُتعلّم، ومع مرور الزمن تتحول العادات السلوكية إلى التزامات يتمسك بها الفرد بوصفها أنماطاً مرصية منذ الطفولة، ويكون التعرف إلى الأعراض التي تظهر في سلوك عصابي من البيئة ومن مراحل نموه، ولاسيما مرحلة الطفولة، وبهذا فإن المنحنى السلوكي ينظر إلى اضطراب البيكا على إنه عادات غير توافقيّة.

2- نظرية ماسلو:

ترى هذه الطريقة أن الإنسان يُولد مُزوّدًا بعدد من الحاجات بشكل فطري، والتي تُعدُّ محركاً لسلوكه، وهذه الحاجات الغريزية هي في العادة مورثة، أما السلوكيات التي يسعى الشخص لإشباعها فهي مُتعلّمة ومُكتسبة من بيئته، ويتأثر بعوامل أخرى. وقد وضع ماسلو هذه الحاجات في شكل بناء هرمي يستند في قاعدته إلى الحاجات الفسيولوجية صعوداً إلى حاجات الأمن والسلامة، وحاجات الانتماء والحب، والحاجة إلى الاحترام والتقدير، والحاجة إلى تحقيق الذات التي هي في قمة الهرم. (عطا الله الخالدي، ودلال العلمي 2009، 14).

وحاجات الإنسان كثيرة يصعب حصرها، كما أنها متداخلة ومتشابكة، وأن تصنيفها يساعد على تنسيق المعلومات؛ مما يُسهّل ويساعد على الاستفادة منها في واقع الحياة. (أحمد الكنج، 2010، 31).

3- نظرية الأنظمة العائلية:

تُرجع هذه النظرية اضطراب البيكا إلى العلاقات داخل الأسرة والمشكلات الاجتماعية واختلاف العلاقات الأسرية، والمشكلات الخاصة بالأبناء، والإدراك المشوّه للجسم. (عطا الله الخالدي، ودلال العلمي 2009، 14).

كما تشير الدراسات السيكولوجية إلى أن الإناث ذوات فقدان الشهية العصبي يُعانين اضطراباتٍ أسريةً شديدة، فضلاً عن سوء العلاقة بين الأبوين، وارتفاع معدلات القلق لدى الأمهات وزيادة الاكتئاب لدى الآباء، إلى جانب صرامة الأنماط السلوكية من قبل الوالدين وجمودها (Patton, Selzer, Coffey & Wolfe, 1999).

خصائص الأطفال ذوي اضطراب البيكا:

تشير دراسة (Swamy & Dewang, 2011) إلى أن الأشخاص الذين يعانون هذا الاضطراب لديهم عجز في النموّ وصعوبات في التواصل الاجتماعي، فهو منفصل عن غيره من الآخرين، كما يعانون قصوراً سلوكياً في طرق الاستجابة للآخرين. وتضيف نتائج دراسة Gulia & Yadav 2007، أن ذوي هذا الاضطراب يعانون بطناً في الأنشطة الفكرية واللفظية التي أُعطيت لهم، كما يتصفون بالسلوكيات المتكررة، والسلوكيات الضارة لأنفسهم نتيجة البحث عن هذه المأكولات الغريبة؛ مما يعرضهم لمخاطر. حيث إن تناول المواد غير الغذائية تعرضهم إلى اضطرابات غذائية، وإمساك، وانسداد في المجرى الهضمي كانسداد الأمعاء، كما يعانون الإصابة بالبكتيريا، والطفيليات التي تضر الكلى والكبد، وأيضاً الإصابة بمجموعة من اضطرابات النموّ ممّا قد يؤثر على نموهم بالشكل الطبيعي (Baker, 2005, 271).

طرق علاج اضطراب بيكا:

غالباً ما يختفي اضطراب بيكا تلقائياً خاصةً عند الأطفال، والنساء الحوامل، لكنه قد يستمر لسنوات إذا لم يُعالج خاصةً عند الأشخاص الذين يعانون تخلفاً عقلياً، أو في النمو. لا يوجد علاج طبي محدد لبيكا، لكن يُنصح بمقاربة متعددة الاختصاصات لعلاج فعّال، تشمل علماء نفس، وإخصائين اجتماعيين، وأطباء. وتُعدّ حالياً الاستراتيجيات السلوكية هي الأكثر فعاليةً لعلاج بيكا، مع تصحيح النقص الغذائي. (Clarke, 2009).

النموذج الطبي:

وقد ثبت نجاح العلاج من بيكا مع التدخلات الطبيّة المُصمّمة لعلاج الحالات المرتبطة بها، وأن علاج سلوك البيكا يكمن في حل مشكلة التسمّم بالرصاص وإزالة المعادن الثقيلة. وقد عمل كُلاً من (Lask, B. & Bryant-Waugh, 1995) على التصميم التجريبي B-A-B باستخدام الفيتامينات، والمعادن حتى تتوازن جميعها داخل الجسم؛ وذلك للتخلص من الآثار السلبية للبيكا داخل جسم الطفل.

النموذج المعرفي:

وقد ذكرت Blinder Barton 2008 أنه يُشترط للتخلص من سلوك البيكا أن يكون لدى

الطفل إدراك، ومعرفة بتصنيف المواد الغذائية والمواد غير الغذائية ليتمكن من التخلص من هذه السلوكيات.

النموذج السلوكي:

وكثيراً ما ذُكرت معالجات باستخدام تقنيات تحليل السلوك وقد تناولت البيكا من خلال العقاب بأنواعه، ومعدات الحماية. (Ashworth, Martin, & Hirdes, 2008, 176). إن علاج اضطراب بيكا يجب أن يكون علاجاً متكاملًا، يتضمن الجوانب الطبية، والنفسية، والبيولوجية، والغذائية؛ لذا يُنصح بتداخل هذه الأنواع المختلفة من العلاجات وصولاً إلى علاج هذا الاضطراب بشكلٍ فعّال.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- 1- أحمد الكنج (2010)، الحاجات النفسية وعلاقتها بالتوافق الشخصي والاجتماعي والتحصيل الدراسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق.
- 2- أشواق صبر، رافد صباح (2017). الوَحْم الشاذ لدى أطفال التوحد، عدد خاص بأبحاث ندوة اضطراب التوحد، التشخيص، والعلاج، الكتاب السنوي لمركز أبحاث الطفولة والأمومة، جامعة ديالى.
- 3- جاد الرب، وغادة كامل (2017)، أثر استخدام برنامج تدريبي لتنمية بعض سلوكيات الأمان والسلامة لدى أطفال الروضة ذوي اضطراب البيكا. مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد، 87، رابطة التربويين العرب، ص. 221-276.
- 4- صموئيل تامر (2015). أثر برنامج علاجي لتنمية مهارات الشم والتذوق لدى أطفال التأخر العام والتوحد ذوي اضطراب بيكا، مجلة التربية المعاصرة، (252)، 201، (99)، 32.
- 5- عطا الله الخالدي، دلال العلمي (2009). الصحة النفسية وعلاقتها بالتكيف والتوافق، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 6- Ashworth, M., Martin, L&Hirdes., (2008), Prevalence and correlates of Pica among adults with intellectual disability in institutions, Journal of mental health research in intellectual disabilities, 1(3), 176-190.
- 7- Barker, . D, (2005), Tooth Wear as a Result of Pica. BDI, p, 99.
- 8- Barton, J&Blinder, M., (2008), An Update on Pica: Prevalence, Contributing Causes. And Treatment, Psychiatric times, .May, 25(6)

- 9- Carter, S., (2009), Treatment of Pica using a Pica exchange procedure with increasing response effort, *Education and training in developmental disabilities*, (44), (1), 143-147.
- 10- Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders, DSM-5 Arlington Va American Psychiatric, Press 2013.
- 11- Ferreri, S., Tamm, L., & Wier, K., (2006), Using food aversion to decrease severe pica by child with autism , *Behavior modification*, 30, 456 - 471.
- 12- Folse, G., Glassman., & Miller, C., (2014), *Serving the patient with special needs*, Available from www.adha.org
- 13- Glazer, J., (2008), Eating disorders among male athletes, *Curr sports med*, p332.
- 14- Gulia, J&Yaday, S., (2007), Complications of Pica: Case Report and Review of Literature .*The Internet Journal of Head and Neck Surgery*, 2, (2), 6, ISSN: 1937-819X.
- 15- Karen, L., Starosta, K., & Adelman, B., (2006), Reducing Pica by teaching children to exchange inedible items for edibles, . *Behavior modification*, 30 (2), 135 - 158.
- 16- Lask, B & Bryant-Waugh, R., (1995), Annotation: Eating disorders in children , *Journal of Child Psychology and Psychiatry*, p. 36.
- 17- McHale, R., & Mishori, C., (2014), Pica: an age – old eating disorder that’s often missed, *J. Fam Pract*, p. 63.
- 18- Patton, G., Selzer, R., Coffey, C., & Wolfe, R. (1999), Onset of adolescence eating disorders :population based cohort study over 3 years .*PMC, US, National Library of Medicine National Institutes of Health*, 318 (7189):756-768.
- 19- Rashide, F. & Davies. L., (2010), Magnetized intragastric foreign body collection and autism: AN advice for careers and literature review, *autism: The International Journal of research and practice*, 14 (2), 139-145
- 20- Swamy, N., & Dewang, D., (2006). Pica disorder (Geophagia): a case report .*International Journal of Dental Clinics*, 3(4), 70-71.

عوامل الشعور بالسعادة لدى الأطفال

أ. د. راندا مصطفى الديب *

تمهيد

إن تربية الأطفال وتنشئتهم التنشئة الصحيحة هي من أهم الواجبات التي يقابلها الوالدان، وهي أمر صعب جداً، فإن الخيط الرفيع الذي يفصل بين القسوة والتوجيه أو الحرمان والعتاء هو أمر غير معروف، وليس له نظريات علمية دقيقة تُطبَّق في كل الحالات لتأتي لنا دائماً بنفس النتائج، فقد قيل سابقاً إن العَصَا لمن عَصَى، وقيل إن العصا هي خير مُرَبٍّ، ولكن هل هذا صحيح؟ إن العلم يقول عكس ذلك فالعصا قد تؤدي إلى الانفلات والعناد، وقد تؤدي إلى الانكماش والتقوقع، وهكذا نجد الوالدين في حيرة من الأمر في التربية. ويكمن سرُّ أهمية التربية للصغار في أنها تقع في سنِّ التكوين الشخصيِّ عقلياً وجسمياً، وبهذا فإن التربية في هذا العمر ترسم علاماتها على حياة الطفل حتى كبره وشيخوخته؛ فنحن نجد أن بعض الدراسات تقول: ثبت أن الانطوائيين أو المتسلطين أو المتهورين كانوا قد تعرضوا لتربية خطأ في صغرهم.

الاهتمام بالأطفال من ضمن المعايير التي يُقاس بها مدى تقدم المجتمعات؛ إذ إن الاهتمام بتلك المرحلة في أي مجتمع، هو في الواقع اهتمام بمستقبل هذا المجتمع (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 3، 2006)، كما أنها مرحلة ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية والمفاهيم النفسية، بحيث يتعرف الطفل إلى نفسه وعلاقاته بالآخرين ممَّن هم خارج أسرته (الديب، راندا، 32، 2018).

فكان يرى شتاينر أننا إذا أردنا تربية أطفالنا، ليصبحوا بالغين أحراراً، فيجب أن نبدأ تعليمهم قبل سنِّ السابعة، في بيئةٍ يستطيعون فيها محاكاة الأنشطة الإنسانية ذات الأهمية والقيمة؛ وإذا أردنا إعدادهم ليكونوا بالغين ممارسين للعدالة مع الآخرين، لا بد أن نضمن وجود

* أستاذ أصول تربية الطفل بكلية التربية - جامعة طنطا - مصر.

سلطة طبيعية وحقيقية تقف أمامهم فيما بين سن السابعة والرابعة عشرة؛ إذا أردنا لأطفالنا أن يصبحوا بالغين يتخذون قراراتهم الاقتصادية والمادية على أساس مبادئ المجتمع وحب الناس، واجب علينا أن نعلمهم في مراهقتهم بالحب، ونوجههم صوب المثل العليا (Steiner, 1997, xviii).

ولماذا يفعل الأطفال دوماً أموراً يجب ألا يفعلوها ويقومون بأشياء غير مسموح عملها: عناد - شجار - جدال - استفزاز - مضايقة - فوضى؛ أي أنهم يبديون عموماً وكأنهم يريدون مضايقة الأم والأب... ولماذا يبدي بعض الأطفال يستمتعون في الواقع بالانخراط في المشاكل؟ كما أنك تسأل ما السر وراء لعب الأطفال؟ فهم يلعبون لسبب واحد فقط: لديهم "حاجات غير مُشبعة،" غير أنك قد تسأل: (أيّة حاجات لدى أطفالنا لم يتم إشباعها؟ فأنا أطمعهم.. وأكسوهم.. وأشتري لهم اللعب)... حسناً ولكن هناك بعض الحاجات الإضافية - وتتوافر لحسن الحظ بثمن زهيد جداً - التي تتجاوز الحاجات الأساسية المذكورة، وهذه الحاجات الغامضة تُعدُّ أساسية ليس فقط لإسعاد الأطفال وإنما للإبقاء على الحياة نفسها، وربما توضح القصة التالية هذا الأمر بشكل أفضل (بيدولف، ستيف، 45-48، 1999).

في عام 1945م، انتهت الحرب العالمية الثانية مُخلِّفةً وراءها الخراب في أوروبا.. وكان من بين المشكلات الإنسانية العديدة التي يجب معالجتها مشكلة العناية بالآلاف الأيتام الذين فقدوا آبائهم إما نتيجة الموت أو الانفصال الدائم والحرمان، أرسلت سويسرا التي بقيت خارج ساحة الحرب بعثةً صحيةً للبدء في معالجة بعض هذه المشكلات، وقد عُهد إلى أحد الأطباء بإجراء بحث للاطلاع على أفضل طريقة لرعاية الأطفال الأيتام، تنقل الطبيب في أرجاء أوروبا وزار عدة أنماط من مراكز الرعاية للتعرف إلى أنجح أسلوب في الرعاية.

شاهد عدة أنماط كان بعضها على طرف نقيض من الآخر.. ففي بعض الأماكن، أُقيمت مستشفيات ميدانية أمريكية وُضِعَ الأطفال فيها في أسرةً أنيقة، وفي أجنحة صحية؛ بحيث كانوا يحصلون كل أربع ساعات على وجبة من الحليب المُعدُّ بعناية تقدمه لهم ممرضات على أعلى درجة من النظافة.

وفي المقابل كان باقي الأطفال في قرية تحت رعاية القرويين، وهنا كان الأطفال يتعرعون بين ذراعي نساء القرية محاطين بالأطفال والكلاب والماعز، ويتغذون بحليب الماعز وطعام أهل القرية في القدر على نار هادئة.

لجأ الطبيب السويسري إلى طريقة بسيطة للمقارنة بين الأشكال المختلفة من الرعاية، لم يكن بحاجة إلى قياس وزن الأطفال ولا حتى للبحث عن الابتسامات والانسجام، بل لجأ إلى أبسط أنواع الإحصاء، وهو معدل الوفيات في وقتٍ انتشرت فيه الأنفلونزا. أما ما اكتشفه فكان مفاجأة!!

نجح أطفال القرى في البقاء في قيد الحياة أكثر من أقرانهم الذين يتلقون الرعاية العلمية والطبية في المستشفيات، في وقتٍ اجتاحت الأوبئة أوروبا وكثرت الوفيات بين الناس هناك. لقد اكتشف الطبيب أمراً عرفته الزوجات المسنات منذ عهدٍ بعيدٍ غير أن أحداً لم يكن في الحقيقة يستمع إليه.. اكتشف أن الأطفال الصغار يحتاجون إلى «الحب» لكي يبقوا في قيد الحياة.

لقد كان لدى أطفال المستشفيات الميدانية كل شيءٍ عدا العاطفة والإثارة. وكان لدى أطفال القرى كثيرٌ من [الضمّ.. والعناق.. والهزّ والأشياء المثيرة التي يرونها]، علاوة على الرعاية الأساسية المعقولة مما يجعلهم ينجحون في البقاء في قيد الحياة.

وكتب الطبيب التقرير عن أفضل طريقة لرعاية الأيتام. بالطبع لم يستخدم الطبيب كلمة «حب».. كلمات كهذه تزج العلماء ولكنه عناها بوضوح. فالنقاط المهمة التي ذكرها كانت:

- ملامسة الجلد للجلد مراتٍ عديدةً في اليوم ومن شخصين خاصين أو ثلاثة.
- حركات لطيفة فيها شيءٌ من القوة مثل الهزّ فوق الرُكبة والتنقلُ محمولاً وما شابه ذلك.
- التواصل بالعيون والابتسام والمحيط الغني بالألوان والناضج بالحياة، علاوة على الأصوات كالغناء والمحادثّة وما شابه ذلك.

لقد كان اكتشافاً مهماً تم تدوينه للمرّة الأولى، فالأطفال يحتاجون للاحتكاك البشري والعاطفة، يحب الأطفال الصغار الملامسة والضم وكذلك الأطفال الأكبر سناً لكنهم يهتمون باختيار أولئك الذين يحضنونهم؛ فهذا الذي يسبب لهم السعادة وليس فقط الغذاء والدفع والنظافة، فإذا لم يحصلوا على ذلك يسهل التسبّب في موتهم.

وتقلُّ كمية الملامسة (الملامسة المادية - الجسدية) التي يتلقاها الأطفال في حياتهم مع مرور الوقت..

فيظهر أن كمية الملامسة تنخفض عند:

- تنخفض عند انتهاء فترة الرضاعة.
- ترتفع وتنخفض تبعاً لدرجة السعادة الزوجية.
- تنخفض عند ولادة طفل جديد (حيث يُوزَع الحنان بين أكثر من طفل).
- تنخفض في سنِّ المراهقة.

هناك إلى جانب الملامسة الجسدية طرق أخرى للحصول على السعادة ومشاعر طيبة من الآخرين، وهي تتمثل في استخدام "الكلمات اللفظية". فالأطفال يحتاجون إلى التقدير ولفت النظر، بل ويفضلوا أيضاً أن يلتقوا شيئاً من الثناء الصادق، فهم يرغبون في المشاركة بالأحداث، وفي أن يُستمع إلى أفكارهم بل والإعجاب بهم.

فنحن نعتني بحاجات أطفالنا الجسمانية، فإذا اكتفينا بهذا يظل أطفالنا يفتقدون أشياء أخرى، فهم لديهم أيضاً حاجات نفسية وهي حاجات بسيطة لكنها أساسية ومهمة. يحتاج الطفل إلى إثارة من النوع البشري، ففي كل يوم يجب أن يحصل على غذاء من الكلام، وعلى شيء من العواطف والمدح حتى يكون سعيداً. وننفرغ لتقديم هذا بشكل تام وليس من وراء جريدة أو أثناء الانشغال في المطبخ أو مشاهدة التلفزيون؛ فإن الأمر لن يستغرق طويلاً ليصبح أطفالنا سعداء. وهذا ما يريده كل الآباء لأبنائهم أن يكونوا سعداء و متمكنين في علاقاتهم مع الآخرين؛ ليتمكنوا في المستقبل من الإنتاج والعطاء.

هذه السطور التالية تحدثك عما يجري داخل نفوس الأطفال «المزعجين» وكيف أن السلوك «السيئ» هو في الواقع نتيجة قوى جيدة (صحية) انحرفت عن الصراط المستقيم. وسيكون باستطاعتك ليس فقط أن تفهم سبب سوء سلوك الأطفال، وإنما سيصبح باستطاعتك أيضاً أن تقوم بمنع ذلك السلوك وتحويله لتصبح أنت وأطفالك أكثر سعادة.

مفهوم السعادة

هي الحصول على أكبر قدر ممكن من المتعة. وفي وجدان كل أم..... أمنية أن يعيش طفلها سعيداً، حتى وإن كانت هي لم تَذُق طعم السعادة في حياتها، وتخطئ كثير من الأمهات حين يتصورن أن سعادة الطفل في العناية بملبسه ونظافته وتهيئة الوسائل المادية للترفيه عنه؛ إن الحاجات الأساسية للطفل هي الحاجات الروحية والنفسية وهي المؤثر الأساسي على نفسية الطفل ومقياس سعادته.

ولأهمية الفرحة لدى الصغار نشرت مجلة (بيكي بادريس) الإسبانية تقريراً تحدثت فيه عن الفرحة واستمراره في حياة صغارنا. وذكر التقرير أنه حتى يشعر الطفل بالسعادة يجب على الآباء إظهار المودة والحب لأطفالهم في حياتهم اليومية، يجب أن يشعر الطفل بالحب والعاطفة من والديه، ويجب أن تكون هذه المودة المذكورة معتادة ومتكررة؛ لأنه لا يوجد شيء أعظم بالنسبة إلى الطفل من أن يشعر بأنه محبوب في أي وقت من اليوم.

يعدُّ شتاينر/ فالدورف السعادة هي الشعور بالمرح والسرور، إحدى القوى الظاهرة للأطفال في بيئتهم؛ وهم يحتاجون إلى مُعلمٍ يُظهر السعادة والمرح في تصرفاته. والأطفال الذين يتمتعون بمثل هذه الأجواء من الحب، والدفء، والأشخاص الجديرون بالحاكاة، يعيشون في البيئة الملائمة (الديب، راندا، 28، 2018). كما يجب الحذر من أي تصرف، أو قول يجري في حضور الأطفال، مما لا يجب للأطفال محاكاته؛ فقدرة الأطفال على المحاكاة قوية، ويمكن أن تلمح في طريقة رسمهم للحروف، حتى قبل أن يفهموها؛ فالمحاكاة تتعلق بالجسد المادي، بينما تأتي المعاني مع الجسد الأثيري، وهذه لا يجب تعليمها، إلا عند تبديل الأسنان؛ وأي تعلم مرتبط بالحديث في هذه المرحلة، يجب أن يكون من خلال المحاكاة، عبر الاستماع، بدون قواعد لغة، ولا تعليم غير طبيعي، مع تبين أهمية أغاني الأطفال، ذات الانطباعات والإيقاعات الجميلة، كوسيلة للتعلم، حيث يكون جمال الصوت، أكثر قيمةً من المعاني؛ وكذلك الحال بالنسبة إلى الحركات الراقصة التي تؤثر بقوة على بناء الأعضاء الجسدية؛ ولهذا، لا يجب إهمالها.

(Wilson, Marguerite Anne Fillion ,2014, 211)

ولسعادة طفلنا يجب:

- إعداده ليكون لديه الأدوات الكافية للتقليل من اللحظات المؤلمة.
- إعداده ليكون لديه الأدوات للتعزيز قدر الإمكان من اللحظات السعيدة.
- دعي طفلك يعيش الإحساس بالأمان بعيداً عن مخاطر التهديد.. وكثير من الأمهات تفقد طفلها هذا الشعور بتهديدات قد تراها بسيطة، مثل قولها: إذا فعلت كذا وكذا فلن أحبك.. أو إن كنت كذا لن أكلّمك؛ فالقيم والفضائل لا تنمو في جو متوتر مُهدد، بل لا بد من إشعار الطفل بالأمان.
- ابتعدي عن النقد الزائد واللوم المستمر لأنه يُولد الارتباك في شخصية الطفل، ويجرّه إلى العناد والسلبية والشعور أنه فاشل ولا يصلح لشيء، وبدلاً من ذلك وضّحي له أخطأه بأسلوب من المحبة والاحترام، مثل أنت طفل محبوب وطيب ولا أتصور أن يصدر منك ذلك.

- أشعريه بعبك ولا يكفي أن تحببه بأعماقك.. بل أظهره له المحبة بالكلمة الطيبة والاحتضان والتقبيل، فهذا يجعله يحب نفسه ويحب الآخرين، يقول "روت فينهوفن": "الطفل المرغوب فيه طفل سعيد".

قدم شتاينر/ فالدورف بعض الأفكار التربوية حيث ركز على المحاكاة، والمثال، فعن طريقهما يتعلم الأطفال، ويدخلون في علاقات مع بيئاتهم، ولا سيما في مرحلة الطفولة السابقة لتغيير الأسنان؛ فالأطفال يحاكون ما يحدث في بيئاتهم المادية بكل ما يحدث فيها، وأثناء عملية المحاكاة هذه تتشكل أعضاؤهم المادية، بالصورة الدائمة التي ستبقى عليها، حيث يؤثر ما يدركونه بحواسهم على قواهم الداخلية، بما في ذلك السلوكيات الأخلاقية وغير الأخلاقية مما يراه الأطفال؛ فإذا شاهد الطفل في عمر ما قبل السابعة، تصرفات غيبية، مثلاً، يفترض دماغه أن الغباء هو ما يجب أن يمارسه في حياته القادمة. وقد يسيء الكبار فهم الصغار في بعض تصرفاتهم كالأم التي تتهم طفلها بالسرقة، بينما هو لا يفعل سوى محاكاتها في أخذ النقود من الدولار ليشتري لنفسه ما يريد (التيتون، أمينة، 2012: 93-94).

ومن عوامل الشعور بالسعادة لدى الأطفال:

- 1- تربية أبناء أصحاء وسعداء تحتاج منك أن تكون شخصاً صحيحاً وسعيداً.
- 2- التربية مشاركة وكلا الطرفين (الوالدين) بحاجة لعون الآخر وبجاجة للمساعدة المطلقة والمعرفة والاستشارة.
- 3- التربية مسئولية كبيرة جداً تقع على عاتق الآباء، والأبناء ليسوا بملكية خاصة لنا.. فكل مرحلة يحتاج فيها الطفل ليقف على قدميه ويساعد ذاته ولكن مع مراقبة الآباء عن بُعد.
- 4- مهمة التربية لا تقتصر على الأسرة بل تمتد لتشمل خبرة الأجداد والأصدقاء؛ أي تحتاج لتعاون المجتمع الحقيقي وأنت من تكون هذا التعاون.
- 5- أن نترك الأطفال ينعمون بنوع من الحرية ولأن نظل دائمياً الانشغال بهم؛ فالطفل يهمله أن يعيش ويرى أن لديه والدين سعيدين وليس والدين منهكي القوى متوترى الأعصاب، فالمطلوب من الوالدين هو الحزم المقرون بالمحبة والحنان دون قمع أو إذلال.
- 6- فترة الطفولة هي من أجمل مراحل عمر الإنسان.. فلا تحرم الطفل منها.. بل علمه كيف يستمتع بها..... لأن طفولة ناجحة = مراهقة ناجحة وحياة ناجحة؛ وهذا لا يعني بالضرورة أن تكون الطفولة سعادة مطلقة بل أن تحاول أن تصنع توازناً صحيحاً حقيقياً.

- 7- مما يُسهّل عملية التربية هو مقدار التواصُل الفكري والوجداني بين الآباء والأبناء. ومن هنا فنحن بحاجة للإلمام بأفضل طرق التواصُل مع الأبناء.
- 8- قانون التواصُل يفرض عليك أن تنصتي جيداً لما يقوله الطفل ويوفر عليك مجهود إعطائهم دروساً مستمرة وتحذيرات وإرشادات في كل شيء، فأنصتي واستوعبي وعلّقي علي ما سمعتِ لتساعدي طفلك على التعبير عن مشاعره وبذلك يمكنك حل مشاكله.
- 9- للوالدين أقول: (امنح نفسك فرصة لتكوّن صورةً مشرقةً وواضحةً عن الطفل السعيد الذي تريده.. وارسم خطة وحدد الأهداف وردد دائماً (يجب أن يكون ابني طفلاً سعيداً)).
- 10- لا تحرم نفسك من الاستمتاع بالأبوة أو الأمومة فهي فرصة قد لا تعود..... فابذل قصارى جهدك لتحصد النتائج الرائعة في المستقبل.
- 11- اندمجي في حياة طفلك وتعرفي إلى أصدقائه وإلى الأماكن التي يحب الذهاب إليها، واعقدي صداقاتٍ مع أولياء أمور أصدقائه، وشجّعي ابنك على الحديث عن مدرسته، وعن مغامراته وعن أصدقائه وذلك أثناء تجمّع العائلة.
- 12- الحوار البناء والإنصات يساعدك على فهم أطفالك أكثر، ويمنحك الفرصة للتفكير بشكل إيجابي أكبر.
- 13- عندما نتعلم كيف نروّض الضغوطات التي تواجهنا في الحياة، فذلك ينعكس إيجابياً على فكر الطفل ويكسبه المزيد من السعادة.
- 14- غرس التفكير السليم في عقل الطفل، ومتى ما كان عقل الطفل يفكر، سهل على الوالدين توجيهه والعناية به، ويرى الدكتور "ستيف بيدولف" - وهو عالم نفس شهير - "إن المشكلة تكمن في طريقة تعبيرنا؛ حيث إن الكلمات الإيجابية تصنع أطفالاً مقتدرين: يتعلم الأطفال كيف يوجهون وينظمون أنفسهم ذاتياً من طريقة كلامنا في توجيههم وتنظيمهم؛ ولذا فمن المُجدي أن يتم ذلك بشكل إيجابي.. وهذه أمثلة على نظريته في طريقة التعبير في الكلام مع أطفالنا:
- فلو أردت أن تنصَحَ ابنك بأن لا يتشاجر مع زملائه في المدرسة، فخير جملة" تقول له: العب مع زملائك الذين تحبهم ويحبونك، بدلاً من الإشارة إلى النزاعات والخناقات مع زملائه.
- ولو كان الابن فوق شجرة وتخشى عليه من السقوط فلا تقل له: "لا تسقط من الشجرة"، فأنت هنا توحى إليه بعملية السقوط وهي ليست في باله عندما طلع الشجرة ليلعب، ولكن

كيف تتعامل مع هذا الوضع الذي ترى فيه الابن متعلقاً بشجرة عالية، إن التعبير السليم هنا هو "غرس فكرة سليمة في رأسه" بأن تقول له: تمسك جيداً بالشجرة؛ فالهدف من كلتا الجملتين واحد، وهو تحذير الطفل من السقوط، ولكن الأولى توحى للطفل بفكرة السقوط بينما الثانية توحى له بالتمسك بالشجرة.

– ويقول أيضاً إن نصيحة الوالدين للطفل بقولهما له – لا تجر أمام السيارات – ليس مثل قولهم: ابق بجانبى على الرصيف!! كلتا الجملتين هي نصيحة للطفل للتحذير من مخاطر السيارات والطريق، ولكن الأخيرة توجه الطفل للتوجيه السليم، بينما الجملة الأولى غامضة عليه.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- التيتون، أمينة جمعة جاسم (2012): ثلاثية فلسفة شتاينر/ فالدورف (التفكير، والشعور، الإدارة) مدخل لتعليم بديل، مستقبل التربية العربية، مج 19، ع80، سبتمبر 2012، 65-124.
- الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم (2019): مفتاح دار السعادة، مراجعة: محمد أجمل الإصلاحي – سليمان بن عبد الله العمير، طبعة ثالثة، دار عطاءات العلم، الرياض.
- الديب، راندا مصطفى (2018): فلسفة شتاينر/ فالدورف في تربية الأطفال Waldorf/ Steiner (1861-1925)، ورقة عمل مقدمة إلى المنتدى الدولي للطفولة المبكرة (تحديات وآمال)، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية – جامعة عين شمس بالاشتراك مع مؤسسة مصر للتعليم والتنمية، 28 - 29 أبريل.
- رؤية مستقبلية لتحقيق الجودة في مرحلة رياض الأطفال، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر مركز ضمان الجودة الدولي الأول لجامعة المنوفية، في الفترة من 9-10/9/2018
- بيدولف، ستيف (1999): "سر سعادة الأطفال" دليل الآباء"، ترجمة إياد ملحم، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
- شابيرو، ف. د، لورانس إ. (2004): كيف تنشئ طفلاً يتمتع بذكاء عاطفي، ط 3، مكتبة جرير، السعودية.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (2006): رياض الأطفال في مصر الحاضر والمستقبل، المؤتمر الخامس لوزراء التعليم العرب بعنوان: "التربية المبكرة للطفل في عالم متغير"، جامعة الدول العربية، القاهرة، 10-11 سبتمبر.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Wilson, Marguerite Anne Fillion (2014): Constructing Childhood And Teacher Authority In A Waldorf Daycare, Binghamton, NY, USA.

- Steiner, Rudolf, (1997):Education as a force for social change,translated by Nancy Parsons Whittaker, Anthroposophic Press, New York.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية:

<http://www.yallayaarab.biz/vb/imgcache/16235.imgcach>

<http://www.aladwaa.nl/modules.php?name=News&file=article&sid>

<https://gate.ahram.org.eg/News/2961491.aspx>

<https://l.facebook.com/l.php?u=https%3A%2F%2Fkenoozarabia.com%2F2022%2F12%2F22%2F%25D9%2585%25D9%2581%25D8%25A7%>

شعر الطفل في منطقة الخليج العربي

(قراءة في دوريات الطفل)

السيد عبد العزيز نجم *

تؤكد الدراسات أن الطفل يحمل من الأفكار والمعلومات والآراء ما يماثل مرحلة من مراحل الإنجاز الفكري والعلمي، وربما الفلسفي لرحلة الإنسان على الأرض؛ أي ربما يحمل من المعلومات ما يفوق معلومات فيلسوف إغريقي قديم.. قد يرجع ذلك إلى كمّ المعلومات المنتظمة أو المنظمة حول شتى الظواهر والمدركات من حوله.

رؤية عامة..

لكل أمة مصدر مهم للمؤرخ والأخلاقي والميثولوجي والاجتماعي.. وعن طريقها يمكن معرفة الكثير عن أخلاق الأمم وعاداتها. وقد لوحظ أن الطفل نال الكثير من المنتج التراثي. الأمثال الشعبية في العالم العربي تتشابه في هذا المجال. ويمكن متابعة أحد جوانب الكشف عن موضع الطفل في الحياة الاجتماعية العربية، ليكن حول "مكانة الطفل في الأسرة": ففي البدء يكون الطفل ملتصقاً بالأم للرضاعة والعناية وغيرها.. لذا قالوا في الأمثال الشعبية عمّن فقد أمّه من الأطفال: "اللي ما لوش أمّ حاله يغمّ"؛ أي أن من فقد أمه وهو طفل يصبح في حالة سيئة مثيرة للحنن والغم. هناك العديد من الجوانب عالجتها الأمثال مع الطفل، منها: عنف الوالدين مع الطفل.. التدليل المفرط.. الإهمال في التربية.. الخلافات المستمرة بين الأبوين... إلخ.

رؤية تاريخية..

اهتم القدماء والشعراء منهم بالطفل، وقد عرفوا الأدب الموجّه للصغار سواء في اللاتينية أو

* روائي وناقد ونائب رئيس اتحاد كتّاب الإنترنت العرب سابقاً، مصر.

العربية أو غيرها من اللغات. وربما أهم ما تميز به هذا اللون من الأدب هو: الحرص على سرد المواعظ التعليمية، إبراز القيم والتعاليم الأخلاقية والدينية. ربما من أشهر تلك النماذج: مواعظ لقمان، حكايات أيسوب، وحكايات بتاح حوتب (المصري القديم).. وغيرها. وربما المأخذ الشائع الآن حول تلك الأعمال، فضلاً عن المباشرة، هو مخاطبة الطفل وكأنه رجل صغير أو سيدة صغيرة (وإن ندر مخاطبة الأنتى الطفل وحدها).

وقفة مع الشعرية العربية..

الشعرية العربية منذ جاهليتها وحتى الآن تنتج للطفل. ففي مُعلِّقة "عمرو بن كلثوم" مفاخرًا، ومزديراً أو محتقراً "عمرو بن هند" لأنه أهان أمه:

"ألا أبلغ بني الطَّمَّاحِ عِنا
إذا ما الملكُ سامَ الناسَ خَسَفًا
ملأنا البرَّ حتى ضاقَ عِنا
إذا بلغَ الفطامَ لنا صبِيَّ
وُدْعِمِيَّ.. فكيف وجدتمونا
أبينَا أن نقرَّ الذلَّ فينا
وماء البحر نملؤه سفينا
تخرُّ له الجبابرُ ساجدينَا"

كما عرف العرب الشعر الموجه للطفل خلال مراحل عمره، منها التي تتغنى بها الأم لولدها الذَّكَر (ومكانته معروفة عند العرب): "يا حبِّذا روحه وملمسه/ أصلح شيء ظلّه وأكيسه
الله يرعاه لي ويحرسه"

كما غنَّت الأم للبنات قائلة:

"كريمة يحبُّها أبوها / مليحة العينين عذباً فوها
لا تُحسن السبَّ وإن سبُّوها"

وقد شارك كبار شعراء العربية قديماً في الكتابة للطفل، حتى إن "امريء القيس" كتب عن لعبة "الرُّحْلُوقَة" أو "الأرْجُوحَة" .. يقول: "لَمَنْ رُحْلُوقَةٌ زَلُّ / بها العينان تنهلُ
ينادي الآخر.. الأَل / ألا حلوا.. ألا حلوا"

وتتنوع الأغراض والتوجُّهات نحو الطفل في ذاك التراث الثريّ.

كما وجد "الطفل" الموقع المناسب من الاهتمام إبَّان ذروة ونضج الحضارة العربية الإسلامية. ما ألفه "ابن الجزار" الذي يُعد أول مُنجز علمي في مجال الثقافة الصحية للطفل "سياسة الصبيان وتدبيرهم"، الذي قال فيه: "إن معرفة سياسة الصبيان وتدبير صحتهم باب عظيم الخطر

جليل القدر، ولم أرَ لأحد من الأوائل المتقدمين المتطبين كتاباً كاملاً فيه".
أما الطبيب الفيلسوف "ابن سينا"، فقد أنجز للطفل جزءاً مهماً في كتابه الشهير في الطب المسمّى بـ "القانون" .. كما كتب "الرازي" رسالة علمية مفصلة في أمراض الأطفال والعناية بهم.. ثم كتب "القرطبي" في موضوع "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" .. أما "الطبري" فقد أفرد في كتابه "كناشة المعالجة البقرائية" مقالاً في طب الأطفال..
وفي مجال التربية والرعاية الاجتماعية للطفل في أكثر من كتاب، مثل "فاتحة العلوم"، و"أيها الولد"، و"إحياء علوم الدين" .. لقد عدَّ الغزالي الطفل جزءاً من نفس أبيه، يُحفظ ويصان كما عدّه أمانة ومسئولية أمام الله تعالى. وقرر أن النفس تُخلق ناقصة وإنما تكمل بالتركيب وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم. حيث أنه يقرر أن سلوك الخلق قابل للتغيير والتعديل.
ويحدد ابن سينا بُعداً آخر لتثقيف الطفل وتربيته وتهذيبه وهو الاستعداد والرغبة. ويتوسع في تحديد بدايات تثقيف وتربية وتهذيب الطفل ويتبعها بحسب مراحل نمو الطفل من الطفولة المبكرة والوسطى والمتأخرة.

القرن الجديد والطفل..

غالباً ما يتصف الطفل بصفات خاصة لكل مرحلة سنّية: قبل السادسة.. حتى التاسعة، .. حتى الثانية عشرة، .. حتى الثامنة عشرة. ولكل مرحلة خصائصها النفسية والتربوية. وعلى شاعر أو كاتب الطفل مراعاة ذلك، حيث الطفل قبل السادسة يتصف بالأناية واستخدام كلمة "أنا" مع ضمير المتكلم غالباً.. وهكذا لكل مرحلة خصائصها.
شهد الوطن العربي منذ أواخر القرن الميلادي السابق (القرن العشرين)، طفرةً غير مسبوقة في مجال الاهتمام بالطفل على المستوى المؤسسي العام. كما تعددت وسائل التعامل مع الطفل العربي مؤخراً، وهو ما ارتبط بالتقدم التكنولوجي لوسائل الاتصال والإعلام؛ وبالتالي لم تعدّ الجدّة ثم الأم والأب وحدهم مصدر التلقين، ولا حتى المدرسة كمؤسسة تربوية تعليمية. ها هو ذا التلفزيون، الإنترنت وشبكتة السحرية، الفيديو، ولن نغفل الدوريات والكتب والمدرسة.
بدايةً لا يمكن إلا أن نعترف بالممكن ونخاطب الصغير كإنسان قادر على "الاختيار" وليس تابعاً لأفكارنا جبراً. فحبس بعض الوسائل الإعلامية الجديدة عن الصغار (كما يتبع بعض الآباء) لا يزيد الطفل إلا عناداً.

لتأتي معاملة الآباء للصغار كخطوة عملية وإيجابية لتحقيق الهدف.. ألا نعامل الصغير على أنه رجل أو أنسة بل على قدر عقولهم؛ حتى يعيش الطفل طفولته، ولكل مرحلة طفولة خصائصها.. أن تظل معاملة البنت أكثر رقةً وأقل خشونةً من معاملة الولد، مع بقاء تحميلهما نفس القدر من المسؤولية.. مبدأ الثواب والعقاب هو المفتاح السحري للتعامل الإيجابي مع الطفل، وهو ما وافقته الأديان السماوية.. القدوة العملية من الوالدين هي البديل العملي عن التلقين المباشر لمفاهيم القيم العليا التي نرجو غلبتها في السلوك الخاص والعام، وهي وسيلة تنمية الوازع الضميري عند الصغار.. إذا كانت الملكات الخاصة والمواهب هبة سماوية يودعها الخالق في الإنسان، فلا يبقى سوى التنقيب عنها باعتبارها جوهر "التربية" وهدفها.

ومع التفاصيل الجزئية الكثيرة التي يمكن أن نتبادلها فيما يمكن أن يُقال للصغير.. فالوصفة السحرية هي أن يقلّ كلام الأبوين في التلقين، ويكثرُ الفعل سواءً بالسلوك المباشر منها أمام الطفل، أو في التعامل مع الطفل. كما لا يمكن إغفال أدب الطفل (والشعر منه) الذي يُنتجه الطفل نفسه.. هو المرآة التي نطل منها نحن الكبار على عالم الصغار، وهو المتنفّس الشرعي لكمّ المشاعر والأفكار بل وخبرات الطفولة التي يجب ألا نستهن بها.

وإذا كانت القيم العامة مثل: القيم الدينية الإيمانية، القدوة الصالحة، التعاون، الأمانة، الطاعة، الوفاء، الصداقة، التواضع، الجمال، التفكير المنطقي.. وغيرها من الأمور الواجب مراعاتها، فهي أكثر أهميةً في التناولات الأدبية التي تخاطب الطفل.

وقفة مع مصطلح "أدب الطفل"

تساءل الكاتب "بيتر بروك": هل أدب الطفل هو ما نكتبه لهم أم هو ما يقرءونه؟ السؤال طريف وذكي، بل مثير للعديد من الأسئلة.. البعض يكتب للطفل وما هو للطفل؟!، الأطفال يقرءون للكبار أحياناً؟، أما وقد تعددت وسائل الاتصال ووسائط المعرفة والفن والأدب بحيث تداخلت معاً في أوعية جديدة يصعب وصفها أدباً فقط أو معرفة فقط، أو حتى فناً من الفنون المحددة. ونظراً لانتشار وشيوع تلك الوسائط الآن مثل: الأسطوانات الرقمية، وشرائط الفيديو، بل ومواقع الطفل بالشبكة الإلكترونية (الإنترنت).. كلها وغيرها امتزج مع مفاهيم المعلوماتية في التعليم المستديم والمعرفة المتجددة والمعلومات التي يلزم معها البحث عن طريقة/ طرق للحصول عليها واستخلاص المعارف منها وبها، بعيداً عن الأوعية الجاهزة والتلقين المباشر.

الطريف المدهش أنه حتى عام 1975م لم يكن لأدب الطفل تعريف، بل لم يكن الطفل العربي قد نال الاعتراف بأحقيته في أدب يخصه ويخاطبه، وهو ما اتضح في مؤتمر اتحاد الكُتَّاب العرب في الجزائر في 1975م، وقد أقرَّ بعضهم أن ما يُكتب للطفل ليس أكثر من "تعليم" و"تربية". وربما شاع لفترة (السبعينيات من القرن العشرين) استخدام مصطلح "أدب الأجيال الحديثة"، وكأن "أدب الطفل" نقيصة أو تقليل من شأن ما كُتِبَ ومُنْ كُتِبَ؟

وقد قدم ثلاثة فرسان في الأدب العربي ثلاث محاولات لتعريف أدب الأطفال:

يقول الكاتب أحمد نجيب/ مصر:

".. يجب أن تخضع الكتابة للطفل لثلاث مجموعات من الاعتبارات الرئيسية: الاعتبار التربوي، الاعتبار الفني العام الخاص بجنس الوسيط الأدبي، والفني الخاص بفنية المنتج الفني نفسه.. شعراً أو قصة... إلخ."

وهي مقولات عامة، فالاعتبار التربوي لم ينتبه إلى بيئة الطفل وثقافة مجتمعه، والاعتبار الفني بدا كنوع من تبسيط الجنس الأدبي المعروف عند الكبار حتى يكتب للصغار، كما اهتم في كتابه بشرح أوزان الشعر وتفضيل البحر "الكامل"، بينما من الأجدى تعريف كاتب الطفل بتلك الأوزان من خلال ملامتها للطفل من حيث الخيال والإيقاع والتركيب، وهي العناصر المؤثرة في الطفل عند سماع الشعر.

يقول الكاتب "هادي نعمان الهيثي/ العراق":

".. إن أدب الطفل فرعٌ من فروع الأدب، وذو خصائص تميزه عن أدب "الكبار". أما موضوعه فهو عرض للحياة من خلال تصوير وتعبير متميزين".
واضح أنه سار على طريق سابقه "أحمد نجيب"، ثم عدَّ الجانب التربوي هو جوهر موضوع أدب الأطفال.

أما الكاتب "عبدالرزاق جعفر/ سوريا"، فقال:

".. الأدب هو تعبير عن الأفكار والأخيلة والعواطف بكلام فصيح وأسلوب متين جميل ويخضع لسُنن الذوق السليم".

تعريف معجمي وتعليمي، وربما يصلح لأي أدب، وقد اكتفى بالوصف اللغوي فقط.

وقد ناقش الكاتب "عبد التواب يوسف/ مصر" هذه القضية في إحدى دراساته، إلا أنه

طلب من القارئ الرجوع إلى أعمال كُتَّاب كبار في مجال أدب الطفل، ممَّن حصلوا على جائزة "أندرسون العالمية" (مثلاً) للتعرف إلى قامتهم التي يطالون بها "بلزك ونجيب محفوظ". كما نكرر ما رددته الكاتبة الأمريكية "مادلين لنجل" رئيسة اتحاد الكُتَّاب والحاصلة على جائزة "نيويري" الخاصة بأدب الطفل (أثناء زيارة لها لمصر منذ قرابة ثلاثة عقود): "أنا أكتب أدباً فقط، من يريد قراءته أهلاً به، ومن لم يُرد، فلا مشاكل!" أما بعد: قد يكون مصطلح "ثقافة الطفل" أجدى للحديث ونحن نقصد الحديث عن "أدب الطفل"؛ نظراً لتعدد المعارف والوسائط والاحتياجات الجديدة للطفل بما يتناسب ومرحلته السَّنيَّة والبيئة الثقافية الجديدة في العالم كله.

أدب/ ثقافة الطفل في منطقة الخليج:

لا شك أن أدب الطفل في الخليج والجزيرة العربية تأثر بمتغيرات ومعطيات القرن الجديد، من حيث الشكل والمضمون، ومن الضروري الإشارة إلى رواج الفيديو وألعابه ومغامرات مضمون أفلامه، والمسرح المدرسي تحديداً، وتوافر أجهزة الكمبيوتر بل وهناك مواقع للطفل ساعية للتجدد وجادة.. مما أضاف إلى "أدب الطفل" زخماً جديداً، أخذاً في التطور والتكثيف.. (مع الوضع في الاعتبار أن أدب الطفل يتضمن فيما يتضمن ثقافة الطفل والمعرفة العامة التي تُقدم له، ربما على العكس من الأدب للكبار).

والآن كيف تبدو صورة التفاعل التبادلي بين الطفل في الخليج والجزيرة العربية مع معطيات القرن الجديد.. ليكن السؤال حول "أدب الطفل" وبشائر الجديد في القرن الآن؟! نظراً للتقدم الهائل في وسائل الإعلام والاتصال، وفي تكنولوجيا المعلومات، بل وفي جوهر العملية التعليمية ومصادر المعرفة والثقافة للطفل، بات من الواجب النظر إلى تلك المصادر أولاً، ثم البحث عن إجابة لأية أسئلة طرحها على أنفسنا الآن.

أولاً: الوسائط الورقية.. وهي تتضمن؛ الكتب بمختلف أنواعها وتوجهاتها، الدوريات أو المجلات الأسبوعية ونصف الشهرية والشهرية، كراسات التلوين. ثانياً: الوسائط غير الورقية.. وهي التي تتعلق بالطرق المختلفة للاتصال (بشكل مباشر كالتخاطب، أو غير مباشر كالأقراص الضوئية أو المدمجة أو CD). وهي تتضمن.. النصوص المحفوظة لكل أشكال أدب الكلمة أو النص الكتابي TEXT،

والصوت من موسيقا وغناء وكلام، والصورة الفوتوغرافية أو المتحركة من أفلام ورسومات
GRAPHICS ورسوم متحركة ANIMATION.

بالتالي، فالوسائط الورقية وغير الورقية، تمارسها المؤسسات التالية: الأسرة - المدرسة -
الحياة اليومية في المجتمع - المؤسسات الثقافية والإعلامية.. من خلال الوسائل: أندية ومراكز
الثقافة - المتاحف والمعارض - المكتبات العامة والمدرسية - الرحلات والمعسكرات الترفيهية -
التلفزيون والفيديو - الإذاعة والشرائط - المجالات والدوريات - الكتب المطبوعة - مسرح
العرائس والمسرح البشري - السينما.

ولما كانت تلك الوقفة السريعة غير صالحة لمعالجة كل جوانب أدب/ ثقافة الطفل، من حيث
الوسيط والمادة المقدمة. ليس أجدى من التوقف أمام "المجلات والدوريات الورقية المطبوعة"، من
حيث هي نموذج أو موضوع للتأمل في جانب الوسائط المستخدمة. كما نتوقف أمام "الشعر" من
حيث هو نموذج للإبداع والمعطى الذهني في جانب المحتوى المعرفي المقدم للطفل (من خلال تلك
المجلات).. في الخليج والجزيرة العربية.

لقد رصدت الباحثة "نجلاء علام" عدد المجلات الخاصة بالطفل في الخليج والجزيرة
العربية، في موضوع "تطور مجلات الأطفال في مصر والعالم العربي.. منذ نشأتها حتى عام
2000 ميلادية" أغلب تلك المجلات.

- مجلة "سعد" - عام الإصدار 1969م - أسبوعية - من الكويت - عن دار الرأي العام.
- مجلة "حسن" - الإصدار 1974م - أسبوعية - السعودية - "مؤسسة عكاظ للصحافة
والنشر".

- مجلة "أطفال اليمامة" - الإصدار 1974م - أسبوعية - السعودية - ملحق مجلة اليمامة".
- مجلة "البراعم" - الإصدار 1974م - نصف شهرية - من سلطنة عمان - ملحق مجلة
الأسرة.

- مجلة "براعم الإيمان" - عام الإصدار 1976م - شهرية - من الكويت - ملحق مجلة
"الوعي الاسلامي" عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

- مجلة "زهرات وزهور" - الإصدار 1978م - أسبوعية - من قطر - ملحق مجلة الجوهرة.
- مجلة "ماجد" - الإصدار 1979م - أسبوعية - الإمارات - من الإمارات - مؤسسة
الاتحاد.

- مجلة "افتح يا سمسم" - عام الإصدار 1980م - شهرية - من الكويت - المجموعة المتحدة للإنتاج بالاشتراك مع مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك في الخليج العربي.
- مجلة "الشبل" - الإصدار 1982م - شهرية - من السعودية - عبدالرحمن بن سليمان الرويشد.
- مجلة "العربي الصغير" - الإصدار 1986م - شهرية - الكويت - وزارة الإعلام بدولة الكويت.
- مجلة "باسم" - الإصدار 1987م - أسبوعية - السعودية - الشركة السعودية للأبحاث والتسويق المحدودة.
- مجلة "حمد وسحر" - الإصدار 1987م - أسبوعية - قطر - وزارة التربية والتعليم القطرية.
- مجلة "مشاعل" - الإصدار 1987م - شهرية - قطر - الشركة القطرية للصحافة والطباعة والنشر.
- كما صدرت مجلة "وضّاح" عن دولة "اليمن" .. وغير موضح عام الإصدار أو جهة النشر.

ملاحظات عامة حول الحصر السابق:

- 1- عدد من المجلات غير الشائعة وغير المتوافرة خارج حدود بلدان الخليج والجزيرة العربية لم تُرصد، مثل مجلة "أنس" التي تصدر في السعودية عن إحدى الجمعيات الخيرية.
- 2- عدد من المجلات التي تُصدرها مؤسسة "العربية للصحافة والإعلام"، وهي "ميكي"، "إجازة مع ميكي"، "لوني تونز"، "توم وجيري"، "سكوبي دو"، "ميني"، فضلاً عن "أطفال اليوم" و"فتيات" .. لم تُرصد أيضاً.
- و"ملحق" راشد ونورة" عام 2001م، عن جريدة الراية القطرية (في أربع صفحات).
- 3- تلاحظ أن أولى المجلات في الخليج العربي هي مجلة "سعد" عن دولة الكويت صدرت عام 1969م، وآخرها (حسب ما أمكن حصره) مجلة "ميني" و"إجازة مع ميكي" في 1998م (في دولة الإمارات)، و"ملحق" راشد ونورة" 2001م (في دولة قطر).
- 4- باستثناء المجلات المترجمة، أو تلك التي تكفي بالنقل عن مجلات غير عربية، تتسم معظم الإصدارات في الخليج والجزيرة العربية.. بالانتماء العربي والطموح من أجل الإجابة.

- 5- استفادت معظم تلك المجلات بتكنولوجيا الطباعة والإخراج الجيد، في الأعداد التي أمكن الحصول عليها خارج منطقة الخليج والجزيرة.
- 6- تنقسم اهتمامات تلك المجلات إلى قسمين أساسيين.. إما مجلة طفل شاملة، أو مجلة طفل يغلب عليها الجانب الديني.
- 7- ليس بين تلك المجلات مجلات متخصصة (كما في العالم العربي)، بينما عُرِفَت المجلات المتخصصة في العلوم والرياضيات (مثلاً) التي تخاطب الطفل (في أوروبا).
- 8- معظم تلك المجلات لم تلتزم بالفترة السنوية أو المرحلة العمرية، بل غالباً تسعى لتغطية كل المراحل.. ومنها ما يعلن ذلك صراحةً "مجلة الأولاد والبنات لكل الأعمار".
- 9- لا زالت الأسماء الذكورية هي الغالبة على أغلب المجلات بالخليج والجزيرة.
- 10- لا توجد مجلة للمرحلة السنوية قبل المدرسة، وندرة وجود مواد تفيد تلك المرحلة في معظم المجلات، وإن ظهرت في السنوات الأخيرة بعض المواد المناسبة في صفحة أو أقل.

قراءة مقارنة لأوسع المجلات انتشاراً:

(العربي الصغير/ دولة الكويت - ماجد/ دولة الإمارات العربية - براعم الإيمان/ دولة الكويت - باسم/ المملكة العربية السعودية - سعد/ الكويت).

أولاً: سمات عامة

- لم تحدد المرحلة العمرية للطفل المخاطب.
- بعضها بدون شعار وبعضها الآخر يحمل شعاراً عاماً.
- ليس بينها مجلة متخصصة في العلوم أو الرياضيات أو غيره، مجلات ثقافة طفل عامة.
- متفاوتة في عدد الصفحات.. أكبرها مجلة ماجد، وأقلها عدداً "براعم الإيمان".
- تبدو أغلب تلك المجلات متقاربة في الحجم ومتماثلة.. هناك مجلات ذات حجم مختلف (أصغر)، وهي "أطفالنا اليوم" الصادرة عن العربية للصحافة والإعلام بدولة الإمارات.
- جودة الطباعة والجوانب الفنية في إنتاج مجلة طفل متماسكة وجذابة شكلاً.. من حيث نوع الورق وفصل الألوان وجاذبية الرسومات، و"ماجد" أسهل الأوراق قابليةً للتمزق.
- كلها تصدر مستقلة باسمها، إلا براعم الإيمان ملحق لمجلة (الوعي الإسلامي).
- العربي الصغير وسعد بداخلها "هدية"، إلا أن هدية "العربي الصغير" ذات نفع أكبر، وليست "بوستر" أو ما شابه في إطار الجذب التجاري.

- "ماجد" و"سعد" و"براعم الإيمان" تستخدم ورقاً مصقولاً، مما يعكس الضوء، ويعدُّ غير مناسب للطفل صحياً.
- تتفاوت المجالات في عرض المادة الثقافية للطفل، وإن بدت تسعى لتغطية الجوانب الدينية والعلمية والأدبية، والمعرفية.. من حيث الكمّ، وبكارة الأفكار والمعلومات، وطريقة العرض. إلا أنها تتفاوت في بكاره المعلومات وعرض الحديث منها.
- تغطي المجالات الأشكال الصحفية (في أغلبها).. القصة المصورة (الأستربس) - الأدب النثري والشعري والمكتوب - تعدُّ توجهات الألعاب والتسالي للطفل - توافر الصورة والرسومات المشاركة للمعلومة أو التي تُبرز الموضوع.
- لا تتضمن إعلانات تجارية أو تتضمن إعلانات مناسبة للقارئ (الطفل)، على العكس من بعض المجالات الأخرى.
- تهتم بالموهب وتنميتها بدرجات متفاوتة.. تبدو "ماجد" و"العربي الصغير" أنشطها.
- الاهتمام بالهوايات، مسعى مشترك، إلا أن "ماجد" أكثر المجالات اهتماماً بتنوع تلك الهوايات وعرضها.
- مشاركة الأطفال في تحرير المجلة وعرض المعلومات وصور الأطفال.. حيث يبدو القارئ/الطفل أكثر إيجابية.. متوافرة، إلا أن "ماجد" أكثرها حثاً للقارئ بالمشاركة.
- تعلن عن المسابقات الجاذبة للقارئ الطفل، أكثرها مبالغة في قيمة الجوائز وحجمها مجلة "باسم".. بينما الهدف من تلك المسابقات هو الحث على البحث عن المعلومة، والإحساس بالنجاح مع المنافسة الشريفة.
- المعرفة المعلوماتية أو التكنولوجية الخاصة بالكمبيوتر والثورة الرقمية، غير موجودة، إلا من "العربي الصغير" و"ماجد" أقل منها.. خصوصاً الأعداد في السنة الأخيرة 2005م. (مع ذلك يُعدُّ المتاح أقل من المرغوب، حيث إن التطبيقات في مجال تكنولوجيا المعلومات متنوعة: تنمية المهارات الأساسية من قراءة وكتابة ورسم وتلوين.. تنمية الأنشطة الترفيهية والتعريف بها.. زيادة المعارف.. المساعدة في تعلم اللغات وغيرها.. المساعدة في تعلم وسائل الحصول على المعلومات في المجالات المختلفة).. ويمكن معاونة الأطفال على التعرف إلى المواقع وطريقة الاستفادة منها وكيف.

- عدم توافر الألغاز العلمية (مع اعتبار شكل الألغاز من أهم المواد الشائعة للطفل).. كما لا توجد فكرة استكمال الأعمال الأدبية أو القصص، والتي تُعد من أهم المحفزات على التفوق الأدبي خصوصاً لمن يملك الموهبة.. وبالعوم لا توجد مسابقات أدبية بسيطة كلون من النشاطات بالمجلة، أو مسابقة عامة أدبية/ فنية تنظمها الدورية.
- اللغة المستخدمة تخاطب مرحلة واحدة من العمر، على الرغم من أن تصميم كل تلك المجالات عام للطفل.. ربما يبدو التميز في المراحل السنية في مجال الرسم والتلوين.
- توافر ثنائية الكاتب والفنان الرسام غير مشتركة بينهم، إلا أنها متوافرة في العربي الصغير وماجد.. ووفرة تلك الثنائية في مجال أدب الطفل مثمر وإيجابي.
- أغلبها يلتزم باللغة العربية البسيطة في السرد والحوارات في القصص المصورة (الحوار).

ثانياً: سمات خاصة

يلزم الإشارة هنا إلى خصوصية مجلة "العربي الصغير" و"ماجد" في البحث عن شخصيات غير مكررة ومبتكرة ترتبط بالمجلة، وترتبط القارئ/ الطفل بها. كما أنها بهديتها المتميزة (ملحق منفصل في كُتَيْب) المتنوع في موضوعاته بين العلم والقصة والتراث والفنون الشعبية وغيرها، يُعد مجلة مُصغرة متخصصة في موضوعه، وهي ميزة إيجابية. لعل مجلة "العربي الصغير" أكثر مجلات الخليج والجزيرة اهتماماً بجوانب التراث العربي والإنساني (العلمي والمعرفي).

ثم تميزت مجلة "ماجد" بشكل لافت في قدرتها على مشاركة القارئ/ الطفل بفاعلية داخل مواد المجلة.. بالمسابقات المتنوعة، وعرض الهويات المختلفة، والتعريف بالأطفال المتميزين، فضلاً عن تحرير بعض مواد العدد بقلم الطفل ونشر صور الصغار.

وأخيراً، لعل مجلة "براعم الإيمان" وحدها نشرت النص المسرحي للطفل بين كل المجالات في الخليج والجزيرة، وربما في الوطن العربي.. وكذلك مجلة "أطفالنا اليوم" تهتم بالخط العربي وتعليمه؛ أي شرح قواعده وفنونه للصغار داخل المجلة.. (تلاحظ محدودية التناول الآن في مواد العقيدة مباشرة، دون إعطاء الطفل جانباً فنياً من خلال القيمة العقائدية.. بمعنى تناول قيمة الأمانة مثلاً، وعرضها مباشرة.. مع عدم عرضها من خلال قصة أو سيناريو أو غيره.. ما جعل المجلة أقل قبولاً عند الصغار).

اختبار جنس أدبي (الشعر) داخل المجالات..

أولاً: صورة المنجز الشعري (سوف نطلع على عينة عشوائية من تلك الدوريات: العربي الصغير، ماجد، أطفالنا اليوم، براعم الإيمان، سعد، زيد، باسم):

أ- من حيث كم الشعر المنشور..

- 1- مجلات تنشر الشعر المنتج للطفل بصفة منتظمة (براعم الإيمان - سعد - زيد).
 - 2- مجلات تنشر الشعر المنتج للطفل بصفة غير منتظمة (العربي الصغير - أطفالنا اليوم).
 - 3- مجلات تنشر الشعر المنتج للطفل على فترات متباعدة (باسم - ماجد).
- ب- من حيث الموضوعات..

- 1- غلبة الموضوعات الدينية.. (براعم الإيمان - سعد - زيد).
 - 2- موضوعات متنوعة.. (بقية الدوريات).
- ج- من حيث الشعر الذي ينتجه الطفل..

- 1- يوجد بمعدل مناسب.. (ولا دورية).
- 2- يوجد أحياناً.. (العربي الصغير - ماجد - براعم الإيمان - أطفالنا اليوم).
- 3- يوجد نادراً.. (باسم - زيد).

ثانياً: صورة المنجز الشعري في كتاب

- 1- اختفاء سلاسل تنشر شعر الطفل، ليس في الخليج والجزيرة وحدها، بل في العالم العربي مثل (سلسلة الشعر - دائرة ثقافة الأطفال - العراق.. والتي حُجبت عن الإصدار منذ سنوات).
- 2- غلبة النشر الشعري في مجال أدب الطفل خارج المؤسسات الثقافية الرسمية، وما نُشر منها ضئيل العدد ويجهد خاص من الشعراء أنفسهم.

ثالثاً: وسائل النشر الأخرى

- (الإذاعة والتلفزيون والمسرح والصحف والدوريات المختلفة للكبار وشبكة الإنترنت..)
- يُعد المسرح التعليمي بالمدارس ببعض بلدان الخليج والجزيرة العربية هو أكثرها توظيفاً لشعر الأطفال.
 - الكثير من الصحف والدوريات في أغلب بلدان الخليج والجزيرة العربية تخلو من شعر الأطفال.. وإن تلاحظ نشر شعر الأطفال بأقلامهم في بعض صحف سلطنة عُمان.

- لا توجد برامج ترعى شعر الأطفال (خصوصاً) ببرامج التلفزيون عموماً.. وإن وُجد ضمن فقرات البرامج الخاصة بالطفل أحياناً.

- أما شبكة الإنترنت فهي أكثر وسائل النشر لشعر الأطفال حالياً، ويؤخذ عليها أنها تنشر بلا مراجعة ولا توجد ضوابط حاكمة للجودة أو حتى للمواصفات الفنية الواجب مراعاتها في الشعر لأدب الطفل.

- نماذج شعرية متنوعة وقراءة سريعة: (النماذج التالية اختيرت من بعض دوريات الطفل والكتب فقط، مع الوضع في الاعتبار أنها تمثل أغلب الاتجاهات الشعرية..): قصيدة "ماذا قالوا" للشاعر "فاضل الكعبي" ورسوم "فائزة نوار" بمجلة "أطفالنا اليوم".

قال الدب..

ماذا قال؟

يا أصحابي.. يا أطفال..

انتبهوا.. قد عاد البرد

منه التفوا بالأصواف

كونوا مثلي

فروي عندي

مثل السد..

يحفظ لي حتى الأطراف..

قال البلبل..

ماذا قال؟

كبر السنبل

يا أطفال

والشاطر يحصد ما يزرع

فلنحصده

كي تتجمع

في البيدر حبّات الحنطة

يأتي الطير

يأكل مسروراً بالخير..

الوزة تأكل والبطّة

كُلُّ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعُ"

القصيدة دالّةٌ وجميلةٌ فنيّاً، تحمل من المعاني الإنسانية الكثير بلا افتعال، ومن الصور الاجتماعية الواجبة؛ ما يجعلها قريبة إلى نفس وعقل الطفل. لعل المأخذ الوحيد "أن استخدم الشاعر مثاله من خارج البيئّة الخاصة بطفل الخليج، فالدُّبُّ حيوان المناطق الباردة، بينما القط له مثل الدب (الفرو) الواقى وقريب من البيئّة التي يطالعها الطفل الخليجي يومياً.

قصيدة "رسول الله" للشاعر "محمد الحسناوي" (مجلة براعم الإيمان)

"رسول الله حياك إله زان مسعاك

رضينا ما رضيت لنا وأحبينا سجاياك

.....

ألم تجمع قبائلنا على التوحيد والدين

فأرسلنا حضارتنا من الأوراس للصين

.....

حفظنا هديك الباني بتقديرٍ وإتقانٍ

فلم نكذب ولم نسرق ولم نحنت بأيمانٍ

.....

حديثك مُشرقٌ عذب بيان ساحر يربو

هتفت فأصغت الدنيا ولولا الحب ما لبُّوا

.....

رسول الله صلينا وحجينا وزكينا

عسى نلقاك مسروراً بما صمنا وأدينا

.....

نحب بحبك الناسا نصوغ الخير نبراسا

نُسالَم من يُسالَمنا وندفع الشر من خاسا"

الموضوع الديني المباشر الذي تناوله الشاعر، لم يزد فيه عن جملة إيقاعات ثم وقفات للمديح

لولا الشطرتان الأخيرتان، لبدت القصيدة ذاتية قاصرة عن جوهر حب الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ومع ذلك فهذا اللون الشعري (وهو اللون الديني) يعاني قصوراً واضحاً، لولا بعض الدوريات المتخصصة، ومنها ملحق مجلة "الوعي الإسلامي" للأطفال، "براعم الإيمان" للصغار. ثلاث قصائد "ألوان وقوافي" للشاعر "د. فاروق مواسي"، ورسوم "روني سعيد" (العربي الصغير):

- الأولى.. قصيدة "دراجتي تجوب قرיתי"

دراجتي في نزهتي	أركبها في فرحة
أحبها لأنني	أجوب فيها قرיתי
وقرיתי حقولها	كأنها في الجنة
وقرיתי جميلة	مرسومة كاللوحه
أطوف يوماً بها	من حارةٍ لحارة
ركبت أبغى حاجتي	وباحتاً عن رُفقتي
دراجتي أنيقة	وسيرها في خفة
لكنني محاذر	ألا تكون وقعتي

فالخوف كل الخوف من مخاطر "السيارة".

- الثانية.. قصيدة "السائق"

"يا سائقاً مهلاً فإني
أخشى الحوادث
لطفاً بنا
لا تؤذنا!
سُقْ بانتباه
سُقْ بفنّ"

- الثالثة.. قصيدة "طاقة زهر"

"إضمامة الزهر
يا رونقاً يجري

ألوانك الحب
يهفو لك القلب
يا نفحة العطر
في روعة الفجر
ببهجة تسري
شوقاً مدى الدهر"

يلاحظ القارئ أن القصائد الثلاث لشاعر واحد، وقد استخدم فيها ضمير المتكلم "الطفل"؛ أي كلها على لسان طفل. أما الموضوع فهو عصري وجمالي، لاستخدام "السيارة" كوسيلة عصرية ومخاطبتها.. لتلافي شرورها، ولتوظيفها في كشف الجمال الذي في القرية.

كما يلاحظ المتابع أن الطفل المتحدث لن يزيد عمره على عشر سنوات، فقد أجاد الشاعر في اختيار الموضوع، وفي وسيلة التعبير الفنية، وقد حقق مقولات الدراسات التربوية والنفسية في مخاطبة الطفل.. الذي هو ليس طفلاً واحداً، ولكل مرحلة سنيّة خصائصها التي يتخاطب بها الطفل، والتي يجب أن يخاطبه بها الكبار من خلال أعمالهم الفنية.

كما تبدو تلك الباقة الشعرية على قدر متميز على جانب آخر مهم في موضوع أدب الطفل عموماً، والشعر المنشور بالدوريات خصوصاً. فقد حرصت على تسجيل اسم الفنان الذي عبّر عن تلك الأشعار بالريشة، فالرسومات من جوهر النشر المناسب للشعر وخصوصاً "شعر الأطفال" .. كما جاءت الرسومات مناسبة للموضوع وللقارئ الطفل على حدّ سواء، من حيث الألوان المستخدمة، وبساطة معالجة الموضوع، ودون الإخلال بالمعنى.

وقد أُشير أخيراً، إلى أن سبب قلّة نشر الأشعار بالعربي الصغير، قد يرجع إلى قلة الجيد المناسب منه للنشر. فشعر الأطفال له خصائصه الفنية، منها البساطة والإحاطة بالخصائص العمرية، ثم التناول الفني بحسب رؤية الشاعر التي قد تختلف من شاعرٍ إلى آخر.

.. ليس كل ما كُتب في الشعر للطفل غنائياً، منه الدرامي، وإن كان أقل من حيث الكمّ، على مستوى جيد، حتى يدهش المرء أحياناً ويتساءل: لماذا نقصر في حق أنفسنا، وحق أطفالنا؟ - درامية "المتنبي والأطفال" للشاعر "سليمان العيسى"، رسوم "فارس خضر" والإخراج الفني للكتاب "شريف الراس" .. (دار ثقافة الأطفال - العراق)، لعل أهمية هذا النموذج أنها عن

كتاب في سلسلة خُصصت لشعر الأطفال.. كما أن أهميتها ترجع إلى تناول غير معتاد في شعر الطفل؛ وتأكيداً لأهمية توافر سلسلة خاصة بالإنتاج الشعري للطفل (النموذج من العراق). يقع الشكل الحواري الدرامي في كتاب، ليس على شكل المسرحية أو التمثيلية، لكنه يعتمد على الحوار الشعري ونمو الأحداث التي ترصد رحلة حياة الشاعر العربي الكبير. فكانت جملة اللقطات أو الفصول: "اللقاء الأول بين المتنبّي والأطفال"، "المتنبّي في حديقة الأطفال"، "المتنبّي يحكي طفولته للأطفال"، "المتنبّي في بيت رافع"، "المتنبّي في مسرح الطلائع"، "المتنبّي يسافر إلى حلب بالطائرة"، "رسالة من المتنبّي إلى رافع"، "المتنبّي يعقد مؤتمراً صحفياً"، "المتنبّي يتلقى رسالة من رافع"، "المتنبّي في مصر"، "المتنبّي يعود إلى بغداد".

يقول الشاعر في فصله الأول: "اللقاء الأول...."

"أبو الطيب المتنبّي، على ظهر حصانه الأبيض، في ساحة من ساحات بغداد.. تحيط به جمهرة من الأولاد الصغار... فيترجّل عن ظهر جواده، ثم يقترب منهم، وهو يُنشد بصوت هادئ وَقُور: "في عصر الفضاء / أتٍ للغناء / أتٍ يا أطفال / أتٍ فوق حصاني الأبيض.....
الأولاد يحيطون به مبتهجين هاتفين: يا مرحباً بالفارس النبيل / على الحصان الجميل.
جوقة من أصوات فحمة مجهولة تشارك الأولاد الغناء، وكأنها قد عرفت سر الفارس القادم.
يا مرحباً بالصوت / يجتاز سور الموت / ويترك الزمان / كأنه ما كان / ويأتي إلينا / بكل حرارة رمل الجزيرة / يأتي إلينا / ويلقي كلاماً جميلاً علينا.
الأولاد متحمسون: يا مرحباً بالفارس النبيل! / ماذا يُسمى الفارس النبيل؟
المتنبّي يهز برأسه مستغرباً: ألم تقرُّوني؟ / ألم تحفظوني؟ / ألم تسمعوا في الأعالي رنيني؟

يرتفع صوته قلبياً في نبرة زهو وخيلاء، والخيلاء يا أطفال: تعني الكبرياء والاعتزاز بالنفس. وكان المتنبّي معروفاً بخيلائه.. أنا ساكب النار في كل قلب / أنا زارع الشمس في كل درب / أنا المتنبّي.

.. وهكذا تتابع الحوار في عدة مشاهد بأسلوب شائق وجميل وجذاب أيضاً.

أهم ما يميز به هذا العمل، أنه تجاوز التناول التقليدي، وطرق باباً غير مطروق بكثرة وغير شائع في أدب الأطفال عموماً وشعر الأطفال خصوصاً، على أهميته وقيمته الجمالية والتربوية.. ألا وهو الشعر الدرامي للطفل في المسرح.

: قصيدة "لو عاد الديناصور.."، للشاعر "مصطفى غنيم" من مجلة "سعد"

كان الديناصور
يمرُحُ في غابات الأرض سعيداً
منذ عصور
يأكل حين يجوع الأشجار
يمتصُّ مياه الأنهار
يرقصُ في الوديان
ويلعبُ كالأطفال
بأحجار وصخور
كان الديناصور
....

أتمنى لو عاد الديناصور
ويكون صغيراً
ووديعاً كالقط
كي ألعب معه
بالكرة وبالخيط"

هكذا خلق خيال الشاعر ورافق خيال الطفل، وأضاف فكرة أو معلومة، وشارك الطفل في رحلة إلى التاريخ السحيق وفي البيئة التي لم يَرَهُ الصغير ولن يرى.
: قصيدة "أنا عصفورة جميلة"، بقلم الشاعرة الصغيرة "نورا عبدالعزيز" (مجلة براعم الإيمان)،
لعلها تعبر عن الوجه الآخر من الصورة الشعرية، صورة الشعر المكتوب بقلم الصغار أنفسهم.

"أنا عصفورة جميلة أحب الحرية
لي ريش طويل أرفرف وأطير
أحزن يوم تحبسني في قفص جميل
ويومها لن أغني والناس ستغضب مني
أنا عصفورة جميلة أحب الحرية"
البساطة والتلقائية مع دلالة المعنى وجماله.

خاتمة:

مع بدايات القرن الجديد تداخل الحديث حول التكنولوجيات الجديدة والثقافة، وأصبح القول بصناعة الثقافة، مقولة تقليدية، تشخذ لها الدول والمؤسسات كل طاقتها. وقد أصبح للطفل مكانته المتميزة، حتى ترادف معنى مصطلح "التربية" بمعنى مصطلح "التنمية".

اتسم الإبداع الفني والخطّي (الكتابي) في القرن الجديد بعدد من الملامح، أهمها: الطابع الذهني، حيث إعمال الذهن، ونهاية القارئ السلبي، المطلوب هو القارئ الإيجابي المشارك. والطفل من أهم فئات القراء.. والطابع التفاعلي، وهو الذي ينتج عن مشاركة القارئ، حتى إنه الآن يتدخل المستمع في تعديل الإيقاع الموسيقي، والمشاهد في تغيير "باليئة" ألوان الفنان التشكيلي.. ثم الطابع المزجي والطابع غير الخطّي.. وكلها في حاجة إلى متذوق جديد، وقادر على تلك المتغيرات الجوهرية، وليس هذا المنذوق إلا "الطفل". وهو بالضبط ما تعتمد عليه الكثير من مواقع الطفل على شبكة الإنترنت، حيث الطفل مشارك في الألعاب والتصميمات الجمالية، والتلوين، بل وفي تصميم المنازل والمباني!

من أين نبدأ؟

على الشاعر/ كاتب الأطفال الغوص في أعماق الخصائص الفسيولوجية والنفسية للطفل، خلال المراحل العمرية المختلفة.. وذلك بفهم القواعد التربوية للطفل.

أما التناول التالي فلا مدخل له سوى "اللغة" التي هي سلاح الشاعر/ الكاتب وبما يتلاءم مع الموضوع وعمر الطفل (وخصوصاً الحصيلة اللغوية، أو كمّ المفردات، وتنوعها أو ملامحها). الهدف النهائي للشاعر/ الكاتب: أن يوصل معلومةً ما.. إبراز السلوك القويم.. كشف الحقائق التاريخية لزيادة الانتماء.. التعريف بكل الفنون وربما كل العناصر التي يراها الطفل (في مرحلة ما) ولا يدرى قيمتها.. ثم تقديم كل ما سبق في إطار روح دينية متسامحة مع القيم الدينية العليا؛ كل ذلك في إطار مقبول ومُشوّق. وفي المقابل يجب البعد عن النصّح والإرشاد المباشر، والبعد عن التجهّم والقوالب الجافة.

ملاحظة أخيرة.. لم أجد سوى عدد قليل جداً من القصائد التي كتبها الطفل نفسه. أليس الأمر مثيراً للتساؤل، كيف سنكتشف المواهب؟!

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب..

- السيد نجم - "طفل القرن الحادي والعشرين.. " - دار الوفاء للطباعة والنشر - 2014م.
 - سليمان العيسى - "المتنبي والأطفال" - السلسلة الشعرية / دار ثقافة الأطفال - 2006م.
 - شاكر عبد الحميد - "الاكتشاف وتنمية المواهب" - الهيئة المصرية لقصور الثقافة - 2013م.
 - الفيصل سمر رويحي - أدب الأطفال وثقافتهم - قراءة نقدية - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، موقع اتحاد الكتاب العرب - 2002م.
 - الهيئتي، هادي نعمان - «مارس ثقافة الأطفال» - "عالم المعرفة"، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، العدد 123 - 1988م.
 - صفاء عبد المنعم - "أغاني وألعاب شعبية للأطفال" - "الدراسات الشعبية" - هيئة قصور الثقافة - 2003م.
 - لطفي حسين سليم - "الطفل في التراث الشعبي" - "الدراسات الشعبية" - هيئة قصور الثقافة - مصر - 2003م.
 - مطبوعات "مركز تنمية الكتاب العربي" - الأعداد الخاصة بحلقات البحث ومؤتمرات الطفل - التابع للهيئة المصرية للكتاب (بدون).
 - نجلاء علام - "تطور مجالات الأطفال في مصر والعالم العربي" - الهيئة المصرية للكتاب - عام 2011م.
 - وهب أحمد رومية - "شعرنا القديم والنقد الجديد" - "عالم المعرفة" / المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت - 2005م.
- ثانياً: الدوريات المشار إليها، عينة عشوائية من:
- (أطفالنا اليوم - باسم - براعم الإيمان - زيد - سعد - العربي الصغير - ماجد).

ملف العدد

كارثية التغيرات المناخية على حقوق الأطفال ومستقبلهم
أ.د. جمال شفيق أحمد

ورقة تحليلية حول مكافحة عمل الأطفال والقضاء الفوري على أسوأ
أشكال عمل الأطفال
إبراهيم شعبان

كارثية التغيرات المناخية على حقوق الأطفال ومستقبلهم

أ. د. جمال شفيق أحمد *

أولاً: المقدمة

خلق الله - سبحانه وتعالى - الكون، وجعل كل شيء فيه يسير وفق حكمته بقدرٍ وميزان، ووضع فيه القوانين والسُنن والنواميس وأوكل الإنسان خليفةً في الأرض؛ ليعمرها وليحافظ على هذا التوازن، ونبّه عن عواقب اختلال التدابير والتوازنات الربّانية.

ولقد أوصت الأديان والشرائع السماوية كافة، بأن يحافظ الإنسان على البيئية، ويحميها من كل ما من شأنه أن يلوّثها أو يتسبب في خرابها وتدميرها؛ ولذلك فإنه لا يستطيع أي مخلوق أن يخرق هذا التوازن إلا الإنسان؛ بسبب فساده في الأرض، كما يقول - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (سورة: الروم، الآية: 41).

وفي المسيحية هناك ما يقارب المائة آية في الكتاب المقدّس، تتناول حماية البيئية، وتؤكد المحافظة عليها، بل وتجرّم أيضاً الاعتداء عليها، منها: (الله سيُدمّر الذين يدمرون الأرض) (رؤيا 11:18).

ومع هذا: لم تتحلّ النفس البشرية عن طبيعتها وأطماعها وانحرافاتنا، فعلى الرغم من التطور الملحوظ والسريع في مجالات العلوم والمعرفة كافةً والتقدم التكنولوجي غير المسبوق، فإننا لا نستطيع أن نغفل في الوقت نفسه التحديات المُدمّرة التي تواجه البشرية، وتمثل التحديّ الأكبر لها خلال القرن الحالي.

فلقد أصبحت كارثة التغيرات المناخية تمثل عدم قدرة تحمّل كوكب الأرض على استيعاب الأنشطة البشرية وتجاوزها؛ بسبب ردود أفعال نظام الأرض، والتي تشمل مجموعة متنوّعة من

* أستاذ علم النفس الإكلينيكي بكلية الدراسات العليا للطفولة، وأمين لجنة قطاع الطفولة بالمجلس الأعلى للجامعات، مصر.

الأبعاد في نظام الأرض، مثل تتغير المناخ وفقدان التنوع البيولوجي والتلوث الكيميائي وتلوث الهواء وتحمض المحيطات ونضوب طبقة الأوزون وإزالة الغابات، والتغيرات الأخرى في استخدام الأراضي واستهلاك المياه العذبة.

ومن هنا: فإن الأخطار والصدمات والضغوط المناخية، تترك آثاراً مدمرةً على صحة الأطفال بالذات في العالم أجمع، ومع خرق هذه الحدود، يتم أيضاً كسر التوازن الطبيعي الدقيق الذي طالما اعتمدت عليه الحضارة الإنسانية في النمو والازدهار، ولم يعد بإمكان أطفال العالم الاعتماد على هذه الظروف، وعليهم أن يشقوا طريقهم في عالمٍ سيصبح أكثر خطورةً بكثيرٍ وأشد ضبابية في السنوات المقبلة.

وعلى الرغم من أن الأطفال هم الفئة الأقل مسؤولية عن تغير المناخ، فإنهم يتحملون العبء الأكبر؛ حيث إن تغير المناخ يشكل تهديداً مباشراً لقدرة الأطفال على البقاء، فما زالت أجسادهم وأجهزة المناعة لديهم في طور النمو؛ مما يتركهم أكثر احتماليةً للإصابة بالأمراض والملوثات البيئية، ويكون الضرر الذي يحدث أثناء مرحلة الطفولة المبكرة، دائماً ومنتشراً، مع استمرار التداعيات الصحية طيلة الحياة.

وبناءً على كل ما سبق عرضه وبيانه: فإنه قد اتضح بجلاء، أن أزمة المناخ على كوكب الأرض قد أصبحت تشكل أكبر تهديدٍ لبقاء النوع البشري، حيث أنها تهدد بالفعل حقوق الإنسان بصفة عامة في جميع أنحاء العالم، كما أنها تمثل أزمة في حقوق الأطفال بصفة خاصة.

ثانياً: مخاطر التغيرات المناخية

بعد أكثر من قرن ونصف القرن من التصنيع وإزالة الغابات والزراعة الواسعة النطاق، ارتفعت كمية الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي إلى مستويات قياسية لم تشهدها الكرة الأرضية منذ (ثلاثة) ملايين عام، وبينما تنمو الاقتصادات ومستويات المعيشة لبعض سكان الأرض فإن مستوى تراكم انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري (الغازات الدفيئة) أخذ في الارتفاع أيضاً؛ كذلك الحال بالنسبة إلى المستوى التراكمي من الغازات المسببة للاحتباس الحراري (انبعاثات الغازات الدفيئة).

وهناك بعض الروابط العلمية الأساسية في هذا المجال كما يلي:

- أنه توجد علاقة مباشرة بين تركيز الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي للأرض بمتوسط درجات الحرارة العالمية على الأرض.

- أن تركيز الغازات الدفيئة أخذ في الازدياد المُتَّرد جنباً إلى جنب مع درجات الحرارة العالمية منذ عهد الثورة الصناعية.
- أن حرق الوقود الأحفوري ناتج عن الغازات الدفيئة المتوافرة بكثرة وثاني أكسيد الكربون، تستأثر بقرابة (ثلث) الغازات الدفيئة.

وبناءً على ذلك: فإن تغير المناخ قد أصبح أكبر تهديدٍ للصحة يواجه البشرية، وقد خلصت الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ في تقريرها الصادر في سبتمبر (2022)، إلى أن تفادي الآثار الكارثية على الصحة ودرء حدوث حالات الملايين من الوفيات مرتبطة بتغير المناخ، وعلى الرغم من أنه لا أحد يسلّم من هذه المخاطر، فإن أول الأشخاص الذين تتضرر صحتهم على نحو أسوأ نتيجة للأزمة المناخية، هم الأقل إسهاماً في أسبابها، وأولئك الأقل قدرةً على حماية أنفسهم وأسْرهم من تلك الأضرار، وهم سكان البلدان والمجتمعات المنخفضة الدُّخْل والمحرومة. كما تهدد أزمة المناخ بنسف التقدم الذي أُحرز على مدى الأعوام الخمسين الأخيرة في مجالات التنمية والصحة العالمية والحد من الفقر، وأيضاً بزيادة توسيع أوجه التفاوت في أوساط الفئات السكانية وفيما بينها، وهي تؤثر تأثيراً سلبياً على تحقيق التغطية الصحية الشاملة بطرق شتى، منها زيادة تعقيد الأعباء الحالية للأمراض ومُفاقمة الحواجز القائمة أمام إتاحة الخدمات الصحية، وغالباً في الأوقات التي تشتدُّ فيها الحاجة إلى ذلك، ولما كان معظم أفقر الناس لا يستطيعون الحصول على خدمات التأمين الصحي، فإن الصدمات والضغطات الصحية تدفع بالفعل نحو (100) مليون فرد إلى براثن الفقر كل عام، مع تفاقم هذا الاتجاه؛ نتيجة لتأثيرات تغير المناخ.

ولقد حذر الأمين العام للأمم المتحدة في نوفمبر (2022) من أن تأثيرات المناخ على جميع أنحاء العالم، لم تحدث منذ (500) عام، مُشدداً على أن الانبعاثات في أعلى مستوياتها على الإطلاق.

وحسب تقديرات أحدث إحصاءات منظمة الصحة العالمية في نوفمبر (2022)، فإن تغير المناخ سيتسبب في حدوث قرابة (250.000) حالة وفاة سنوياً، بسبب سوء التغذية والأمراض فيما بين عامي (2030 - 2050)، حيث باتت تأثيرات التغير المناخي على الصحة معروفة ومُؤكدة، وذلك بسبب تدهور متطلبات الصحة من جودة الهواء والماء والأمن الغذائي والمأوى، حيث أدّى الاحتراز العالمي، إلى زيادة الأمراض والوفيات الناجمة عن الأمراض القلبية والتنفسية والحساسية، بسبب

ارتفاع درجات الحرارة وتلوث الهواء وارتفاع نسبة الاضطرابات النفسية؛ بسبب الهجرة البيئية، وتدمير الخدمات الصحية الضرورية الناتجة عن ارتفاع مستوى سطح البحر. كما يؤدي التغير المناخي إلى انتشار الأمراض المعدية، حيث بدأت كثيرٌ من الأمراض الفتاكة الشديدة، تظهر نتيجة تغير درجات الحرارة؛ مما يؤدي إلى انتشارها، وذلك بسبب نقص المياه وتدهور توعيتها وتغير الرطوبة، وبسبب الفارق الموسمي في درجة الحرارة. هذا: وتتضمن الأمراض المتأثرة بتغير المناخ، أشد الأمراض فتكاً في العالم، ومنها: الملاريا والبلهارسيا والالتهابات البكتيرية والتفيلية المختلفة. كما يؤدي التغير المناخي إلى زيادة ظهور أمراض حيوانية جديدة معدية للبشر، منها فيروس النيل الغربي وطاعون الأحصنة.

وفي السياق نفسه: صدر تقرير عن منظمة العفو الدولية في نوفمبر (2022) بخصوص الآثار المساوية والتكلفة البشرية لتغير المناخ، أوضح فيه أن ملايين من البشر في جميع أنحاء الكرة الأرضية، يعانون بالفعل من التأثيرات المفجعة لكوارث الطقس الشديدة، التي يُفاقمها تغير المناخ، بدءاً من الجفاف الذي يدوم لفتراتٍ طويلة، وصولاً إلى الأعاصير المدارية المدمرة، وما تسببه درجات الحر الشديدة في موجات حرّ قاتلة، وحرائق الغابات، والفيضانات الشديدة، كما أن الدمار الذي يسببه التغير وما سيستمر في حدوثه، هو بمثابة إنذار خطير للبشرية.

(أ) مخاطر التغيرات المناخية على الأطفال بصفة خاصة

اتفقت وأكدت نتائج الدراسات المختلفة التي تصدّت لدراسة الآثار السلبية لتغير المناخ، أنه توجد آثار سيئة وحادة للغاية على الصحة العامة للأطفال، حيث بدأت تظهر عليهم دلائل إكلينيكية تشير إلى مدى تأثرهم بشكل أكبر من غيرهم بعواقب التغير المناخي وتلوث الهواء؛ إذ إنهما يؤثران على نمو الدماغ لدى الأطفال بشكل كبير في السنوات العشرين الأخيرة. كما أظهرت نتائج الدراسات أيضاً، أن تغير المناخ وتلوث الهواء يتسببان في أضرار جسيمة لصحة الأطفال ونمو عقولهم، حتى وأثناء وجودهم داخل رَحِم الأم، كما أوضحت النتائج أيضاً كيف يؤدي نزوح العائلات المرتبط بالمناخ إلى تعطيل تعليم الأطفال، إضافةً إلى مشاكل الصحة العقلية، مثل اضطراب ما بعد الصدمة والقلق والاكتئاب لدى الأطفال، وغالباً ما تستمر هذه الحالات المرصية؛ مما تؤثر على الصحة ووظائف المخ لديهم في مرحلة البلوغ.

كذلك تضيف النتائج إلى قائمة الأضرار واسعة الانتشار، والمرتبطة بتغير المناخ وتلوث الهواء بالحرارة، مشكلاتٍ صحيَّةٍ أخرى، مثل: الولادة المبكرة وانخفاض وزن الطفل عند الولادة، والرُّبُو، وغيرها من أمراض الجهاز التنفسي، وذلك كله نتيجة المواد الكيميائية السامة والضغوط التي تتعرض لها الأمُّ الحامل، والتي يمكن أن تنتقل إلى الجنين ودماغه.

ولعله: مما يزيد المشكلة تعقيداً، أن الأطفال يفتقرون أيضاً إلى آليات الدفاع البيولوجي، والتي تعمل بكامل طاقتها لدى البالغين، مثل أنظمة الإنزيمات المعقدة، التي تزيل السموم من الملوِّثات الضارة وتُصلح تلف الحمض النوويِّ.

ولقد صدر تقرير في سبتمبر (2022) لليونيسيف لرصد مؤشر مخاطر المناخ لدى الأطفال، وهو أول تحليل شامل للمخاطر المناخية والبيئية من منظور الطفل. حيث ظهر أن (مليار) طفل من الأطفال الذين يعيشون في بلدان عالية الخطورة، أنهم يتعرضون لأشدَّ المخاطر والصدمات والضغوط.

وأكد تقرير اليونيسيف أن أزمة المناخ عرَّضت بالفعل بشكلٍ أكبر، كل طفل تقريباً، في كل قارَّةٍ لمخاطر مناخية متكررة وأكثر شدةً وتدميرًا، من موجات الحرِّ والجفاف، إلى الأعاصير والفيضانات، إلى تلوث الهواء إلى الأمراض المحمولة بالنواقل. وأضاف التقرير، أنه بالنسبة إلى بعض الأطفال، فإن أزمة المناخ هي أكبر من مجرد خطر متزايد، إنها حقيقة تهدد الحياة، والتأثير على هؤلاء الأطفال وعائلاتهم ومستقبلهم وبالتالي على مجتمعاتهم، وأنه يوجد الآن هناك (مليار) طفل من الأطفال، الأكثر ضعفاً في العالم مُعرَّضين للخطر، وغداً، إذا فشل العالم في التحرك، فسيصبح كل أطفال العالم عُرضة للخطر؛ ولذلك فإن الدليل لا يقبل الشك في أن (أزمة المناخ هي أزمة أطفال).

ولقد تزامن تقرير اليونيسيف الصادر في سبتمبر (2022) مع تقرير تاريخي صادر عن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، أكد فيه بأن أزمة المناخ ليست تهديداً مستقبلياً، بل إنها هنا وتتسارع، وتستمر في التأثير على كل أطفال العالم بطرق مُدمِّرة وبشكل متزايد.

وفي تقرير صادر عن اليونيسيف في أكتوبر (2022) بعنوان: أطفال العالم في ميزان التغيرات المناخية ويجب حمايتهم، ذكر أن التغيرات المناخية قد باتت تهديداً مباشراً للبشر عموماً، والأطفال بشكلٍ خاص، على الرغم من أنهم الفئة الأقلُّ مسؤولية عن تغير المناخ، فإنهم يتحملون العبء والمردود الأكبر لتأثيراته، وأن الظواهر الجوية كالاعاصير وموجات الحرِّ، تزداد

في شدتها، وهي تهدد حياة الأطفال، وتدمر أجهزتهم المناعية، كما تتسبب الفيضانات بإضعاف مرافق المياه والصرف؛ مما يسبب انتشار الأمراض، مثل الكوليرا؛ وبالتالي تمثل خطراً داهماً على الأطفال بصفة خاصة.

كما أشار التقرير إلى أن الأطفال هم الأكثر عرضة للأمراض التي ستزداد نتيجة للتغيرات المناخية، كالملاiria وحمى الضنك، إضافةً إلى أن الأطفال الأقل من خمس سنوات يتحملون نحو (90%) من عبء الإصابة بهذه الأمراض، أيضاً فإن مسببات تلوث الهواء تعد في حد ذاتها العامل الرئيس لتغير المناخ، حيث يعيش نحو مليوني طفل في مناطق، تتجاوز فيها مستويات التلوث المعايير المحددة من منظمة الصحة العالمية؛ مما يجبرهم على تنفس هواء سامٍ يعرض صحتهم للخطر، كما يموت أكثر من (نصف) مليون طفل في سنٍ أقل من (5) سنوات سنوياً؛ بسبب تلوث الهواء، كما سيعاني العدد الأكبر منهم من أضرار دائمة تلحق وتؤدي بنمو الرئتين والدماغ. ويظل في الوقت نفسه (التهاب الرئة) من الأمراض المسببة (للوفاة) بين الأطفال، حيث يؤدي بحياة ما يصل إلى (2400) طفل يومياً، كما ترتبط وفيات الأطفال ارتباطاً قوياً بنقص التغذية، ونقص المياه النظيفة والصرف الصحي، وتلوث الهواء، ونقص إمكانية الحصول على الرعاية الصحية، وجميع هذه التحديات سوف تتفاقم بصورة فادحة من جراء تغير المناخ، وأنه من المتوقع أن يعيش قرابة (600) مليون طفل في مناطق يتجاوز الطلب على المياه فيها كمية الموارد المتوفرة، وبدون القيام بإجراءات حالياً، سيؤدي تغير المناخ إلى تفاقم انعدام المساواة التي يواجهها الأطفال أصلاً، وستعاني أجيال المستقبل من الكثير من الأزمات والكوارث الحقيقية الصعبة والخطيرة.

(ب) أبعاد مخاطر التغيرات المناخية على الأطفال في مصر

من المعروف والمسلم به، أن مصر جزء من العالم أجمع، وجزء من منطقة الشرق الأوسط، وجزء من قارة أفريقيا، وجزء من دول الوطن العربي؛ وبالتالي فإن كل ما ينطبق على هذه المناطق الدولية أو الإقليمية أو المحلية ينطبق بالضرورة على مصر بصفة الانتساب إليهم وكونها جزءاً منهم في الوقت نفسه.

إلا أننا نريد في هذا العرض المحدد أن نلقي بمزيدٍ من الضوء والتفصيل على مصر بالذات، حتى تكون هناك خريطة ومحددة الأبعاد لمخاطر المناخ وحتى تكون الصورة واضحة بكل معالمها الدقيقة أمام الجهات المعنية والمتخصصة، ومتخذة القرار في هذا الشأن الحيوي المصيري لكل أطفالنا في مصر.

فقد حذرت منظمة اليونيسيف التابعة للأمم المتحدة عام (2018) من الخطر المباشر للأحداث المناخية القاسية على الأطفال ومستقبلهم، واستشهدت المنظمة الدولية بالفيضانات والجفاف وموجات الحرّ الشديدة في شتى أنحاء العالم، التي من شأنها التأثير المباشر على المياه ومصادرها، مع الوضع في الاعتبار تلك التخريبات التي تحدثها في أنظمة توزيع المياه وإمداداتها وشبكات الصرف الصحي في البلدان الفقيرة، وهو ما يُعرض ملايين الأطفال في منطقة الشرق الأوسط بالذات للخطر، حيث إنهم من بين الفئات الأكثر ضعفاً أمام التغيرات المناخية، والذين ستحوّل السيول والفيضانات دونَ ذهابهم إلى المدارس لأيام.

كما ورد عن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ في تقريرها الصادر في يونيو (2022)، أنه قد تم تصنيف (مصر) على أنها واحدة من (خمس) دول بالمنطقة العربية، من أصل (عشر) دول على مستوى العالم، وهي: جيبوتي، مصر، العراق، المغرب، الصومال، أكثر الدول تعرضاً للآثار السلبية نتيجة التغيرات المناخية، سواء المعاناة من ارتفاع مستوى سطح البحر أو غرق أجزاء من الدلتا، وما يعكسه ذلك من أضرار جسيمة اجتماعية واقتصادية وبيئية.

وأصدرت أيضاً منظمة اليونيسيف أحدث تقرير لها في أكتوبر (2022) بعنوان: مؤشر المخاطر المناخية على الأطفال في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ بهدف أن يسلط المؤشر الضوء على مدى تأثر الأطفال الذين يعيشون في العديد من بلدان المنطقة بتأثر تغير المناخ، مع التركيز بشكل خاص على (مصر).

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن مؤشر مخاطر المناخ على الأطفال، يُعدُّ مُتعدد المعطيات، حيث يعتمد على نموذج (متعدد الصدمات)، يسجل تعرُّض الأطفال لصدمات وضغوط مناخية وبيئية متعددة، ويغطي المؤشر مختلف القطاعات المتعلقة برعاية الأطفال، مع التركيز على الجوانب التي يمكن أن تُسهم في حرمان الأطفال، في سياق الصدمات والضغوط البيئية المتعلقة بالمناخ.

وقد ركّز التقرير على تأثير تغير المناخ على الأطفال والأسر في (مصر) مقارنةً ببقية المنطقة، حيث كشف أنه فيما يتعلق بالتعرُّض للصدمات المناخية والبيئية، أن مصر تقع في (فئة المخاطر الشديدة للغاية)، حيث حصلت على درجة (7,3) من أصل (10) درجات، وهي تمثل بذلك أعلى نسبة مخاطر في منطقة الشرق الأوسط، وهي الدولة العربية الوحيدة التي تقع في فئة (المخاطر العالية للغاية).

كما ذكر تقرير اليونسيف أن (مصر) تتعرض بشدة للصدمات المناخية والبيئية، منها على سبيل المثال: أنه يتعرض ما يُقدر بنحو (5,3) مليون طفل لموجات الحرّ وارتفاع درجات الحرارة في مصر بمقدار (0,53) درجة مئوية لكل عقد خلال الثلاثين عاماً الماضية، كما أن مصر تحتل المرتبة الأولى من بين ثلاث دول في المنطقة، من حيث وجود أربعة أخطار لديها من أصل سبعة أخطار. بحسب التقرير أيضاً: فقد سجّلت (مصر) أعلى درجة في المنطقة العربية على درجة مؤشّر المخاطر المناخية على الأطفال ببلوغ درجة مؤشرها (7,3)، في حين حصلت دول العراق والمغرب واليمن والسودان على درجات تتراوح ما بين (7) - (6,9) درجات؛ أي أن هذه الدول أقل بقليل من فئة (المخاطر العالية للغاية)، ولا تزال في فئة (المخاطر العالية)، بينما سجلت جميع البلدان الأخرى درجات تتراوح ما بين (3,8) - (5,4)، وهي بذلك تندرج في فئة (المخاطر المتوسطة من الركييزة الأولى) من مؤشر أخطار المناخ العالمي للأطفال.

ولعلّه بعد هذا العرض الموجز لمخاطر التغيّرات المناخية على الأطفال، سواءً على المستوى العالمي أو الإقليمي أو المحلي، فقد تبين أن كوكب الأرض لم يعد آمناً على الجميع وفي كل الأعمار بلا استثناء، فالكل سيدفع ثمن التغيرات المناخية، ولكن تزداد قسوتها وشدة أضرارها على الأطفال بالذات، والذين هم لم يكونوا أبداً سبباً في التلوّث البيئي والتغيّر المناخي الذي صنعه الأجداد لهم، ويجدون أنفسهم أمام مرارة التحديّ والمواجهة.

ومن هنا فإن: أزمة المناخ قد عرضت بشكل أكبر بالفعل كل طفل تقريباً في كل قارة لمخاطر مناخية متكررة، وأكثر شدة وتدميراً؛ وبالتالي فإن أزمة المناخ بالنسبة إلى الأطفال، هي أكثر من مجرد خطر متزايد، إنها حقيقة تهدد الحياة وتؤثر على هؤلاء الأطفال وأسرهم وحقوقهم ومستقبلهم.

ثالثاً: انتهاك حقوق الأطفال ومستقبلهم بسبب التغيرات المناخية

أعلنت مُفوضيّة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان في تقريرها الصادر عام (2022) أن أزمة المناخ قد أصبحت أكبر تهديد لبقاء النوع البشري، حيث إنها تهدد بالفعل حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم.

كما أوضح التقرير أنه فيما يخص (الأطفال) بالذات، فإن اتفاقية حقوق الطفل تنصّ على الاعتراف بالكرامة الأصيلة لجميع أفراد الأسرة البشرية، وحقوقهم المتساوية وغير القابلة

للتصرف، وهو أساس الحرية والعدالة والسلام في العالم، وترسي الاتفاقية حقوق الطفل بصفتها حقوقاً إنسانية عالمية غير قابلة للتصرف، وقد حظيت هذه الاتفاقية بأكبر قسط من التصديق في العالم بين صكوك حقوق الإنسان، ووصفت لجنة حقوق الطفل، بشأن حق الطفل في التمتع بأعلى مستوى من الصحة، مشيرةً إلى أن تغير المناخ يُعدُّ من أكبر التهديدات التي تترىص بصحة الطفل، حيث يتأثر الأطفال بتغير المناخ بشكل غير متناسب، بسبب عملية التمثيل الغذائي الفريدة لديهم، فضلاً عن احتياجاتهم الفسيولوجية، واحتياجات نمائهم، كما أن الأطفال هم أكثر الفئات قاطبةً عُرضةً للأضرار البيئية، هذا إضافة إلى إن تغير المناخ وفقدان التنوع البيولوجي يندران بحدوث آثار طويلة الأجل تهدد حياة الأطفال على مدى السنوات المقبلة، وعلى وجه الخصوص، قد يؤثر تغير المناخ تأثيراً خطيراً على تمتع الأطفال بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية، والحصول على التعليم والغذاء الكافي اللائق ومياه الشرب المأمونة والصرف الصحي، وغالباً ما يتحمل الأطفال في البلدان النامية وطأة أسوأ آثار هذا التغير.

وخلص تقرير المفوضية إلى أنه فيما يخصُّ بحث العلاقة بين تغير المناخ والتمتع الكامل والفعال بحقوق الطفل، فإن جميع الأطفال على كوكب الأرض مُعرَّضون لتلك المخاطر بشكل استثنائي لآثار تغير المناخ السلبية، وأن أصغرهم سناً، هم أشدهم تعرضاً لتلك المخاطر. ولقد تزامن مع تقرير مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، صدور تقرير آخر صادر عن منظمة العفو الدولية في نوفمبر (2022)، أوضح فيه أن حقوق الإنسان ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتغير المناخ، بسبب تأثيره ليس على البيئة فحسب، بل على رفاهيته أيضاً، وستستمر آثاره في الازدياد والتردي على مرور الزمن، وستسبب بالتخريب للأجيال الحالية والمستقبلية؛ ولهذا قد يكون تقاعس المسؤولين عن اتخاذ إجراءات لمواجهة تغير المناخ في ظل وجود أدلة علمية دامغة، هو أفدح انتهاك لحقوق الإنسان لمختلف الأجيال في التاريخ وخاصة الأطفال، حيث أنه يمكن الإشارة إلى انتهاكات حقوق الأطفال ومستقبلهم على النحو التالي:

(1) انتهاك الحق في الحياة:

تغير المناخ يهدد حياة وسلامة المليارات من البشر على هذا الكوكب، وتتوقع منظمة الصحة العالمية، أن يؤدي تغير المناخ بحياة (250,000) شخص في السنة، ما بين عامي (2030 – 2050) ومعظمهم من الأطفال.

(2) انتهاك الحق في الصحة:

وفقاً للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، فإن الآثار الصحية الرئيسية لتغير المناخ ستشتمل على زيادة مخاطر الإصابة والمرض والوفاة؛ بسبب موجات الحرّ والحرائق الأكثر حدة، وزيادة مخاطر نقص التغذية لانخفاض إنتاج الأغذية في المناطق الفقيرة، وزيادة مخاطر الأمراض التي تنقلها الأغذية والمياه، والأمراض المنقولة عن طريق النواقل، وأن الأشخاص وخاصة الأطفال الذين يتعرضون لأحداث صادمة نفسياً، كالكوارث الطبيعية التي يُفاقمها تغير المناخ، يمكن أن يعانون اضطرابات إجهاد ما بعد الصدمة.

(3) انتهاك الحق في السكن:

إن الأحداث المناخية شديدة القساوة، المرتبطة بتغير المناخ، مثل الفيضانات وحرائق الغابات، تدمر منازل البشر وتُهجرهم، كما يمكن للجفاف أن يؤدي إلى تغييرات ضارة كبيرة في البيئة؛ وخاصةً على الأطفال، بينما يهدد ارتفاع مستويات مياه البحار منازل الملايين من البشر في المناطق المنخفضة في أرجاء العالم كافةً بالتدمير والفناء.

(4) انتهاك الحق في المياه والصرف الصحي:

هناك مجموعة كبيرة من العوامل الخاصة بتغير المناخ، مثل ذوبان الثلوج والجليد، وانخفاض معدل هطول الأمطار، وارتفاع درجات الحرارة، وارتفاع مستويات مياه البحار، تُظهر أن تغير المناخ يؤثر في جودة وكمية الموارد المائية، وهناك حالياً قرابة (785) مليون شخص معظمهم من الأطفال، لا يتمكنون من الحصول على مصدر المياه أو الصرف الصحي، يكون على الأرجح آمناً، وأن تغير المناخ سيجعل هذا الأمر أسوأ بكثير مما سبق.

ولعلنا لا نستطيع عند هذه النقطة بالذات: أن نغفل العرض الموجز للتقرير الصادر عن منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف)، والذي صدر في أغسطس (2021) بعنوان: (أزمة المناخ أزمة في حقوق الأطفال: تبني مؤشر مخاطر المناخ على الأطفال)، حيث إن هذا التقرير قد تناول بصورة شاملة ودقيقة، حصراً لآثار وتداعيات التغيرات المناخية على الأطفال حول العالم. وقد أوضح التقرير في بدايته، أن أزمة المناخ تمثل بصفة عامة تحدياً أساسياً أمام حقوق الإنسان وحقوق (الأطفال) في هذا الجيل، وهي تُخلّف آثاراً مُدمرة على صحة الأطفال في العالم أجمع؛ إن فهم أين وكيف يصبح الأطفال معرضين بشدة لمخاطر هذه الأزمة عامل مهم جداً في مواجهتها، ويسمح مؤشر مخاطر المناخ على الأطفال بتكوين أول وجهة نظر شاملة عن تعرض

(الأطفال) وهشاشتهم أمام آثار تغير المناخ، تساعد في ترتيب أولويات العمل لدعم الفئات الأكثر عرضة للخطر وضمان أن يرث أطفال اليوم كوكباً صالحاً للعيش.

ولقد عرض التقرير بيانات إحصائية عالية الدقة، قَدِّم من خلالها أدلة عالمية جديدة على عدد الأطفال الذين يتعرضون حالياً لمجموعة متنوعة من المخاطر والصدمات والضغوط المناخية والبيئية التي تنتهك حقوقهم، وذلك على النحو التالي:

(1) يوجد (820) مليون طفل (أكثر من ثلث أطفال العالم) مُهدِّدون بشدة حالياً بسبب موجات الحرّ، وقد يزداد هذا الوضع سوءاً مع ارتفاع متوسط درجات الحرارة العالمية، ومع أنماط الطقس التي تصبح أكثر تقلباً، وكان عام (2020) الأكثر حرارةً منذ بدء تسجيل درجات الحرارة.

(2) يوجد (400) مليون طفل (واحد من كل ستة أطفال في العالم) يتعرضون بشدة حالياً للأعاصير، ويُرجَّح أن يزداد هذا الوضع سوءاً مع زيادة وتيرة حدوث الأعاصير الشديدة، وزيادة كثافة هطول الأمطار، والتحوُّل في أنماط الأعاصير بصفة عامة.

(3) يوجد (330) مليون طفل (واحد من كل سبعة أطفال في العالم) يتعرضون بشدة حالياً لفيضانات الأنهار، ويُرجَّح أن يزداد هذا الوضع سوءاً مع ذوبان الأنهار الجليدية، وازدياد هطول الأمطار بسبب ارتفاع محتوى الماء في الغلاف الجوي نتيجة ارتفاع متوسط درجات الحرارة.

(4) يوجد (240) مليون طفل (واحد من كل عشرة أطفال في العالم) يتعرضون بشدة حالياً للفيضانات البحرية، ويُرجَّح أن يزداد هذا الوضع سوءاً مع استمرار مستوى سطح البحر في الارتفاع، والذي تتضاعف أضراره بشكل كبير عندما تقترن بهبوب العواصف.

(5) يوجد (920) مليون طفل (أكثر من ثلث أطفال العالم) مهددون بشدة حالياً بندرة المياه، ويرجح أن يزداد هذا الوضع سوءاً لأن تغير المناخ يزيد تواتر حالات الجفاف وشدها والإجهاد المائي والتقلُّبات الموسمية وبين سنة وأخرى؛ فيزداد الطلب والمنافسة على المياه، ويقود ذلك إلى نضوب مواردها المتوافرة.

(6) يوجد (600) مليون طفل (أكثر من رُبُع أطفال العالم) معرضون بشدة حالياً للأمراض المنقولة، كالمالريا وحمى الضنك وأمراض أخرى، ويُرجَّح أن يزداد هذا الوضع سوءاً مع

انتشار ارتفاع درجات الحرارة والظروف المناخية الملائمة للبعوض وغيره من ناقلات هذه الأمراض.

(7) يوجد مليارا طفل (نحو 90٪ من أطفال العالم) معرضون بشدة حالياً لتلوث الهواء بمعدلات عالية، ويرجح أن يزداد هذا الوضع سوءاً، ما لم ينخفض احتراق الوقود الأحفوري في الهواء.

(8) يوجد (815) مليون طفل (أكثر من ثلث أطفال العالم) معرضون بشدة حالياً للتلوث بالرصاص؛ نتيجة تلوث الهواء والمياه والتربة والغذاء. ويُرجَّح أن يزداد هذا الوضع سوءاً، دون زيادة الإنتاج المسئول والاستهلاك المسئول، وإعادة تدوير المنتجات التي تحتوي على مادة الرصاص.

ولقد انتهى هذا التقرير:

إلى أنه من الجوانب المقلقة جداً في هذه المخاطر والصدمات والضغوط المناخية والبيئية، أنها تتداخل فيما بينها، حيث أنها لا تحدث بمعزل عن بعضها، فحالات الجفاف والفيضانات والطقس السيئ؛ وكذلك الضغوط البيئية الأخرى، يُفاقم كل منها المخاطر الأخرى، وهي لا تقاوم بعضها البعض فحسب، بل يمكن أيضاً أن تُهمِّش بعض شرائح المجتمع وتزيد اللامساواة، كما أنها تتفاعل مع المخاطر الاجتماعية والسياسية والصحية الأخرى، مثل كوفيد (19)، ويؤدي تداخل الأخطار في النهاية، إلى جعل أجزاء معينة من العالم أماكن أشدَّ خطورةً ومحفوفةً بالمخاطر على الأطفال، وهذا ما يُضعف بشدة إمكاناتهم المستقبلية.

كما إن افتقار الأطفال إلى الخدمات الأساسية، في مجالات الصحة والتغذية والتعليم والحماية الاجتماعية وغيرها، يجعلهم أكثر تضرراً من غيرهم، حيث إن المخاطر المناخية والبيئية لا تؤثر سلباً على وصول الأطفال إلى الخدمات الأساسية فحسب، بل إن غياب هذه الخدمات، يُضعف أيضاً من قدرتهم على المواجهة والتكيف؛ مما يزيد من شدة تعرُّضهم لتلك المخاطر، وهكذا تنشأ حلقة مُفرِّغة تدفع الأطفال الأكثر ضعفاً نحو الفقر، وفي الوقت نفسه تزيد من خطر تعرضهم لأسوأ آثار تغير المناخ، وأكثرها خطورةً على حياتهم.

وفي حقيقة الأمر: فإنه لا يمكن تناول آثار قضية التغيرات المناخية على انتهاك حقوق الأطفال ومستقبلهم، دون أن نتطرق إلى فئة مهمة جداً منهم، وهي (فئة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة) بالذات.

ذلك: أن تغير المناخ له تأثير غير متناسب على (الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة)، سواءً بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث إنه من المؤكد أن تواجه تلك الفئة من الأطفال، تأثيرات أكبر وأشد خطورة عند مقارنتهم بالأطفال العاديين الذين ليس لديهم أي إعاقات؛ لأنه عادةً ما تكون هذه الفئة من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة يعيشون في معظم الأحوال في حالة فقر شديدة، وحتى بدون آثار تغير المناخ؛ وبالتالي فإن هذه الفئة من الأطفال، لديهم فرص أقل في الحصول على الرعاية الصحية؛ بسبب عوامل كثيرة مختلفة، منها الوصمات الاجتماعية والإقصاء والفقر والافتقار إلى برامج الرعاية الصحية المعينة التي تناسب إعاقاتهم بصفة خاصة.

وفي هذا الصدد: أعلن المجلس القومي لشؤون الإعاقة في مصر في أكتوبر (2022) أن ذوي الإعاقة جزءٌ من المجتمع، وكلنا نعيش في مجتمع واحد، كما أن نسبة الفقر لدى ذوي الإعاقة، تكون أعلى، وهم الأكثر عرضةً لأزماتٍ مناخيةٍ عن الأصحاء وخاصةً فئة الأطفال.

هذا: إضافةً إلى أن التغير المناخي، يؤدي إلى ظواهر بيئية مختلفة غير تقليدية من أبرزها الأعاصير، فماذا لو حدث إعصار وأمطار شديدة، فكيف إذن يتعامل ذوو الإعاقات في مثل هذه الكوارث المحدقة؛ لذلك فإنه يجب أن يوضع في الحسبان ضمان التدابير التي تناسب ذوي الإعاقة لمواجهة تلك الكوارث، وفي ضوء ذلك، فإن أي عمل مناخي يجب أن يصون كرامة الأشخاص ذوي الإعاقة، بدلاً من أن يُعزز معهم الظلم الاجتماعي والتهميش.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام ونحن في نهاية تناولنا لنقطة انتهاك حقوق الأطفال ومستقبلهم بسبب التغيرات المناخية، فإنه لا بُدَّ من الإشادة والتثمين لتلك الجهود الإقليمية والمحلية التي تناولت بكل جدية واهتمام، تلك التي قام بها المجلس العربي للطفولة والتنمية بإطلاق حملة إلكترونية بعنوان: (أزمة المناخ وحقوق الطفل)، تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن طلال بن عبد العزيز آل سعود - رئيس المجلس العربي للطفولة والتنمية ورئيس برنامج الخليج العربي للتنمية (أجفند)، وذلك عبر حساباته على مواقع التواصل الاجتماعي في سبتمبر (2022)، حيث أعلن سموه: "علينا أن ندرك أن العمل المناخي الفعال أصبح التزاماً أخلاقياً مشتركاً من الجميع، وعلى الأطراف التنموية كافة، تحمّل مسؤولياتها، إذا أردنا بكل جدية ومسؤولية، الإبقاء على كوكبنا صالحاً للعيش المستدام لنا وللأجيال المقبلة".

وقد صرّح أمين عام المجلس العربي للطفولة والتنمية، أن هذه الحملة تأتي في إطار الجهود التي سيقوم بها المجلس في مجال مواجهة تأثيرات التغيرات المناخية على (حقوق الأطفال)، حيث

أكدت التقارير الدولية والإقليمية، أن نحو (مليار) طفل من الأطفال (أي ما يمثل قرابة نصف أطفال العالم)، يتعرّضون لأشد المخاطر والصدمات والضغط، من خلال تأثيرات موجات الحرّ والجفاف والأعاصير والفيضانات ومن تلوث الهواء إلى الأمراض المنقولة بالهواء؛ الأمر الذي جعل أزمة المناخ حقيقة تهدد حياة (الأطفال) وأسرههم؛ وبالتالي كل المجتمعات، وانطلاقاً من دور المجلس وإدراكاً لخطورة أزمة التغير المناخي، التي صارت تشكل أزمة في حقوق الطفل، باعتبار أن الطفل أول ضحاياها وأشد المتأثرين بها، استمرت جهوده وفق توجّه استراتيجي يقوم على التوعية ونشر المعرفة وبناء الشراكات بشأن الحد من تأثيرات تلك الأزمة، وفي هذا الإطار جاء موضوع تقويم المجلس العربي للطفولة والتنمية للعام (2023) حول موضوع التغير المناخي، ليحمل مجموعة من الرسائل التوعوية والإرشادات التي يمكن للجميع الأخذ بها؛ سعياً نحو الحدّ من تلك التأثيرات أو التخفيف منها والتكيّف معها .

وتأتي هذه الحملة تحقيقاً لدور المجلس العربي للطفولة والتنمية تجاه (تنمية وحماية حقوق الطفل العربي)، ومواكبة التحركات الدولية من خلال انعقاد قمة (COP27) التي استضافتها مصر في نوفمبر (2022)، ولتؤكد التداعيات الخطيرة للتغيرات المناخية على الجميع، وفي مقدمتهم الطفل، وأن الدعوة عامة لكل القائمين على الطفل والإعلاميين للتعاون الفاعل؛ سعياً للتحرك من أجل الحد من تلك التداعيات، لإنقاذ مستقبلنا جميعاً. ولقد تم إدراج موضوع الأطفال والمناخ ضمن خطة المجلس العربي للطفولة والتنمية القادمة حتى عام (2025)؛ إدراكاً لخطورة التغيرات المناخية على فرص تنمية المجتمعات العربية بشكل عام، وتنمية الطفل وكفالة حقوقه بشكل خاص.

رابعاً: استراتيجيات الحماية وسبل المواجهة

هناك العديد من الخطط والتوصيات المقترحة لاستراتيجية الحماية وآلية التعامل مع مخاطر التغيرات المناخية على الأطفال وسبل المواجهة قدر الإمكان. وبطبيعة الحال: فإنه لا يوجد طرف معين أو محدد مشارك بدوره أو بمفرده للتقليل من الآثار المترتبة على تلك التغيرات، فتلك مسؤولية كل البشر الذين يعيشون على سطح الكرة الأرضية. وعلى الرغم من أن العرض العلمي المنظم لهذه الخطط يستلزم عرضها منفصلةً عن بعضها، فإننا نشير ونؤكد أن كل الخطط والمسئوليات والجهود هي متعاونة ومتشاركة ومتفاعلة مع بعضها في الوقت نفسه، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي.

وسوف يتم فيما يلي عرض تلك التوصيات من خلال ثلاثة مستويات متكاملة ومرتبطة ومتناسقة مع بعضها، كما يلي:

(أ) على مستوى الصعيد العالمي:

(1) ضرورة قيام الدول الصناعية الكبرى، والمسئولة في الأساس عن تدمير البيئة العالمية وخرابها، بتعويض الدول النامية والفقيرة والصغرى، عمّا أصابها من آثار كارثية، رغم إنهم غير مسئولين عنها نهائياً.

(2) وضع الأطفال في بؤرة التصدي المناخي، وإلزام كل الدول بضمان أن يكون التكيف الذي يركز على الطفل، هو حجر الزاوية في جمع خطط وبرامج المناخ.

(3) اتخاذ تدابير وإجراءات طمّوحة للحدّ من آثار تغير المناخ السلبية على الأطفال في المستقبل إلى أدنى مستوى ممكن.

(4) التخطيط لكل إجراءات التكيف التي تضمن حماية الأطفال الأشد تعرضاً لمخاطر آثار تغير المناخ.

(5) مراعاة ضرورة وأهمية مشاركة الأطفال واحترام أفكارهم وآرائهم بما يخص اتخاذ قرارات مناخية؛ لتحقيق مصلحتهم الفضلى كما يعربون عنها بأنفسهم.

(6) تنفيذ الخطط العاجلة للتقليل من التلوث الكربوني والاستعداد لعواقب الاحتباس الحراري المتوقعة.

(7) تفعيل دور التوعية العالمية بالآثار والعواقب الناتجة عن التغيرات المناخية وأثرها على الأطفال بشكل خاص.

(8) ضرورة التوصل إلى حلول مناخية تشمل أكبر عدد من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة على مستوى العالم، ووضع أفكارهم وحقوقهم ووجهات نظرهم بشكلٍ جادٍ في الحُسبان والتنفيذ.

(ب) على مستوى الدول والجهات المعنية فيها:

(1) ضرورة تعميم الوعي والثقافة البيئية بتأثيرات التغيرات المناخية على الأطفال وحقوقهم؛ لأنهم يمثلون الجيل المُستهدف من التنمية المستدامة.

(2) تخطيط وتنفيذ برامج الحد من الانبعاثات والتلوث البيئي.

- (3) تجهيز المدن من خلال التنمية المقاومة للمناخ، مع التركيز بشكل كبير على البرامج الأكثر فاعلية لحماية حياة الأطفال المعرضين للخطر.
- (4) تركيز الإمدادات والموارد لسد حاجات الأطفال الأكثر تهميشاً وفقراً في المجتمع.
- (5) توفير اللقاحات والأطعم الطيبة المجهزة في العشوائيات والمناطق النائية.
- (6) تعزيز النظم الصحية للاستجابة لتغيرات المناخ والظواهر الجوية المتطرفة.
- (7) تزويد الأطفال بالتعليم والتدريب في مجال تغير المناخ.
- (8) الدعوة إلى الدفاع عن حقوق الأطفال وأوجه ضعفهم وتنفيذ الاستراتيجيات وخطط العمل الوطنية.
- (9) رعاية النمو الفكري للأطفال وصحتهم العقلية والبيئية، بما يسمح لهم بالازدهار وتحقيق أقصى إمكاناتهم.
- (10) دمج قضية التغيرات المناخية في المناهج الدراسية؛ حتى يدرك الأطفال مفهوم وجود المشكلات البيئية المحلية والعالمية من حولهم، ويصبحون أكثر وعياً ومشاركةً في تحسين الوضع البيئي في العالم وفي مجتمعاتهم المحلية .
- (11) استثمار وتوظيف أدب وفنون الأطفال في الجوانب التنموية المختلفة لهم، وتشجيعهم على التعبير عن الذات بشكلٍ هادف، فيما يتعلق بأفكارهم حول التغيرات المناخية؛ لتطوير قرارات مستدامة تجاه مجتمعهم والعالم.
- (12) التحول إلى المدن منخفضة الانبعاثات الكربونية، وذلك بالتحوّل إلى مصادر الطاقة المتجددة، واعتماد الأبنية الخضراء وحماية التنوع البيولوجي والإدارة المستدامة للأراضي والمياه والنفايات، وتطوير قطاع النقل بشكل مستدام.
- (13) تجهيز خطة استعداد ورسم خرائط المخاطر وحديثها، والتي تبين المناطق المعرضة للخطر، مثل المدن الساحلية والمدن المكتظة بالسكان.
- (14) زيادة الاستثمارات في مجال البيئة، والحدّ من استنزافها، وترشيد استخدام المياه؛ لاستخدامها في الأغراض التنموية المستدامة.
- (15) تركيز الجهود على مدخل النظم الغذائية لتقييم آثار التغيرات المناخية على منظومة الغذاء لدى الأطفال، بدايةً من الزراعة ومروراً بتداول المنتجات الزراعية في الأسواق، وانتهاءً بممارسات الاستهلاك.

(16) تركيز وتوجيه البحوث في مجالات الطب النفسي وعلم النفس والصحة النفسية والاجتماع والتربية؛ لدراسة الآثار التدميرية لأزمة التغيرات المناخية على النواحي النفسية والاجتماعية على الأطفال.

(ج) على مستوى الأسر:

(1) يجب على الوالدين مناقشة قضايا التغيرات المناخية مع أطفالهم، وتصوّر الطول الإبداعية للمساهمة والمشاركة الفعلية في حلّها بطرق واقعية ومناسبة.

(2) ينبغي أن يراعي الوالدان اتخاذ إجراءات لإزالة الكربون من حياة أطفالهم؛ مما يساعد في تحسين صحتهم، وتوفير مناخ أكثر ملاءمة للعيش.

(3) تشجيع الأسر لأطفالها على اختيار المشي أو ركوب الدراجات أو النقل العام كلما أمكن ذلك؛ للمساهمة في التقليل من تلوث الهواء والرفاهية.

(4) مراعاة الوالدين لأن يستبدلوا بوجبة اللحوم الحمراءً غذاءً آخر نباتياً مرةً واحدةً في الأسبوع؛ لأن اللحوم تُعدُّ أكثر كثافةً من حيث نسبة الكربون بأي مصدر غذائي نباتي آخر.

(5) تحقيق الوالدين لمساهمة أطفالهم ذوي الاحتياجات الخاصة والتعاون في تنفيذ المبادرات المقترحة الصديقة للبيئة؛ لتمكينهم من الاندماج الاجتماعي الكامل في مجتمعاتهم والمشاركة الفعالة لضمان نوعية حياة لائقة تعبر عن خيارهم الفردي والجماعي.

(6) تعزيز الأسر سلوكيات أطفالهم لتبّاع الأساليب السليمة، للاستفادة من المياه والكهرباء والطاقة والغذاء، وعدم إهدارها وترشيد استهلاكها.

(7) إكساب الأسر لأطفالها أكبر قدر من القيم والاتجاهات الإيجابية، نحو البيئة والمهارات الحياتية التي من شأنها التعايش مع البيئة بصورة عقلانية، ومرتنة.

(8) تعظيم الأسر لدور الأطفال في تبني ثقافة إعادة التدوير وزراعة أسطح المنازل.

وأخيراً..... فلن نستطيع أن ننكر أن التغيرات المناخية مستمرة وستؤثر على كل طفل في العالم تقريباً، وعلى الرغم من أن آفاق المستقبل مثيرة للقلق، فإن ثمة أيضاً حلولاً عديدة أمام أعيننا، وكل منها يمكن أن يساعد في إعطاء الأولوية للتحرك من أجل هؤلاء الأطفال المعرضين للخطر.

وختاماً.... وفي المحصلة، فإننا نستطيع بإذن الله تعالى أن نضمن توريث أطفال اليوم كوكباً قابلاً للعيش فيه والحياة، وفي كل خطوة نخطوها اليوم من شأنها أن تبعد أطفالنا خطوةً عن أسوأ التحديات التي تُحدِّق بهم، وتُسهم قدر الإمكان في منعها مستقبلاً، فكلُّ طفلٍ يستحقُّ كوكباً صالحاً للحياة والنمو والتقدم والازدهار.

المصادر:

- (1) منظمة الأمم المتحدة للطفولة (2020): لكل طفل رؤية جديدة، التقرير السنوي لليونيسيف، منشورات شعبية الاتصال في اليونيسيف، نيويورك، عدد (يونيه).
- (2) منظمة الأمم المتحدة للطفولة (2021): العمل الإنساني من أجل الأطفال للعام 2021، منشورات شعبية الاتصال في اليونيسيف، نيويورك، عدد (ديسمبر).
- (3) منظمة الأمم المتحدة للطفولة (2021): أزمة المناخ أزمة في حقوق الأطفال: تبني مؤشر مخاطر المناخ على الأطفال، منشورات شعبية الاتصال في اليونيسيف، نيويورك، عدد (أغسطس).
- (4) منظمة الأمم المتحدة للطفولة (2022): حماية الأطفال من التأثيرات المتصاعدة لموجات الحرّ، منشورات شعبية الاتصال في اليونيسيف، عدد (أكتوبر).
- (5) منظمة الأمم المتحدة (2022): حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان، نيويورك وجنيف، صحيفة الوقائع رقم (38).
- (6) منظمة الأمم المتحدة (2022): تقرير منظمة العفو الدولية، مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، عدد (يونيه).

المراجع:

- (1) إيف سياما (2015): التغير المناخي، ترجمة زينب منعم، الرياض، سلسلة إصدارات المجلة العربية، الكتاب (148).
- (2) خالد السيد حسن (2021): التغيرات المناخية والأهداف العالمية للتنمية المستدامة، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد.
- (3) Atwoli, L., Muhia, J., & Merali, Z. (2022): Mental health and climate change in Africa. *BJPsych International*, 19(4), 86-89.
- (4) Benevento, S. V. (2022): Communicating Climate Change Risk to Children: A Thematic Analysis of Children's Literature. *Early Childhood Education Journal*, 1-10.
- (5) Chaudhry, S., & Sidhu, G. P. S. (2022): Climate change regulated abiotic stress mechanisms in plants: A comprehensive review. *Plant Cell Reports*, 41(1), 1-31.

- (6) Fuller, M. G., Cavanaugh, N., Green, S., & Duderstadt, K. (2022): Climate change and state of the science for children's health and environmental health equity . *Journal of Pediatric Health Care*, 36(1), 20-26.
- (7) Helldén, D., Andersson, C., Nilsson, M., Ebi, K. L., Friberg, P., & Alfvén, T. (2021): Climate change and child health: A scoping review and an expanded conceptual framework. *The Lancet Planetary Health*, 5(3), e164-e175.
- (8) Kemp, L., Xu, C., Depledge, J., Ebi, K. L., Gibbins, G., Kohler, T. A., Lenton, T. M. (2022): Climate Endgame: Exploring catastrophic climate change scenarios. *Proceedings of the National Academy of Sciences*, 119 (34), e2108146119.
- (9) McDonald-Harker, C., Bassi, E. M., & Haney, T. J. (2022): "We Need to Do Something About This": Children and Youth's Post-Disaster Views on Climate Change and Environmental Crisis. *Sociological Inquiry*, 92(1), 5-33.
- (10) Mora, C., McKenzie, T., Gaw, I. M., Dean, J. M., von Hammerstein, H., Knudson, T. A., & Franklin, E. C. (2022): Over half of known human pathogenic diseases can be aggravated by climate change. *Nature climate change*, 12(9), 869-875.
- (11) Perera, F., & Nadeau, K. (2022): Climate change, fossil fuel pollution, and children's health. *New England Journal of Medicine*, 386(24), 2303-2314.
- (12) Pörtner, H. O., Roberts, D. C., Adams, H., Adler, C., Aldunce, P., Ali, E., Birkmann, J. (2022): Climate change 2022: Impacts, adaptation and vulnerability. IPCC Sixth Assessment Report.
- (13) Trott, C. D. (2022) : Climate change education for transformation: Exploring the affective and attitudinal dimensions of children's learning and action. *Environmental Education Research*, 28(7), 1023-1042.
- (14) Vergunst, F., & Berry, H. L. (2022): Climate change and children's mental health: A developmental perspective. *Clinical Psychological Science*, 10(4), 767-785.

ورقة تحليلية حول مكافحة عمل الأطفال والقضاء الفوري على أسوأ أشكال عمل الأطفال في ضوء التغيرات المناخية*

إعداد: إبراهيم شعبان**

ملخص تنفيذي:

تُعدُّ مشكلة عمل الأطفال من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه تطور المجتمعات واكتمال خطط التنمية الشاملة والمستدامة فيها، ومصر ضمن هذه المجتمعات، وتسعى بشكلٍ دؤوبٍ لمواجهة هذه المشكلة والتخلص من أثارها ونتائجها، سواء على الأطفال وضمان طفولة سعيدة وأمنة لهم، أم على مستوى المجتمع نفسه.

وعمل الأطفال ظاهرة خطيرة تزداد خطورتها في ظل التغيرات المناخية التي تواجه دول العالم، لها تبعات جسيمة على حقوق الإنسان وعلى تنمية المجتمعات وعلى مستقبل البشرية. وتستلزم مواجهة المشكلة التزام الدول بحماية الأطفال من كل أشكال الاستغلال، بما فيه عمل الأطفال، كجزء من التزاماتها الدولية بموجب اتفاقية حقوق الطفل (1989)، وإعلان المبادئ والحقوق الأساسية للعمل (1998) الصادر عن منظمة العمل الدولية، و المعايير الدولية كافة ذات الصلة بحقوق الطفل وحمايته.

وبعد تعرُّض الورقة لواقع مشكلة عمل الأطفال وأسبابها ونتائجها، تقترح عدداً من السياسات لمواجهة الظاهرة وللقضاء الفوري على أسوأ أشكال عمل الأطفال.

وتتطلب هذه السياسات أن تعمل الجهات الحكومية كافة المعنوية بحماية الأطفال، مع المنظمات الاجتماعية ذات الصلة (منظمات أصحاب العمل ونقابات العمال)، ومنظمات المجتمع المدني الأخرى (المعنية بحماية الأطفال ومكافحة استغلالهم)، على اعتماد نهج مشترك يتركز حول

* عُرضت الورقة خلال ورشة العمل الإقليمية "عمل الأطفال في المنطقة العربية والتغيرات المناخية"، أكتوبر ٢٠٢٢.

** استشاري تدريب وبناء قدرات وخبير عمل الأطفال.

الضحايا ويأخذ في الحسبان احتياجاتهم واحتياجات أسرهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ولا ينبغي أن تعتمد الحماية المقدمة لضحايا استغلال الأطفال في العمل على تقديم أية تنازلات أو إبداء أية مرونة في تجريم كل أسوأ أشكال عمل الأطفال وأياً كان قدرها؛ وكذلك أي عمل ولو كان موسميًا أو تدريب أو تدرُّج للأطفال دون السنِّ المسموح بها لعمل الأطفال (سنِّ إنهاء مرحلة التعليم الأساسي، وبما لا يقلُّ عن سنِّ خمسة عشر عامًا)؛ ولا لساعاتٍ أطول مما هو مسموح به لعمل الأطفال (6 ساعات في العمل البسيط، 5 ساعات في العمل في الصناعة غير الخطرة أو الضارة)؛ وكذلك مراعاة الأطفال الذين ما زالوا في التعليم أو التدريب بدلاً من ساعات عملهم ودراساتهم على الساعات السَّت في اليوم الواحد؛ وأن يحصل الطفل على راحته الأسبوعية وإجازاته السنوية وإجازات المناسبات والأعياد الدينية والوطنية كما يقرُّها القانون؛ ومشاركتهم في نظام العدالة الجنائية ولا أن يُساوموا عليها.

وألا يقلُّ أجر الأطفال في العمل عن الحد الأدنى للأجور بأي حال من الأحوال، وأن يساوي أجر من يقومون بنفس عملهم، وأن يضمن كل صاحب عمل يستخدم أطفالاً (صبياناً أو بنات) توفير بيئة عمل آمنة وخالية من العنف والتحرُّش، وأن يضمن توافر كل اشتراطات السلامة والصحة المهنيَّتين.

ويجب أن يصاحب كل ما سبق الحرص الكامل على أن يُقدَّم الدعم للموظفين القائمين على مراقبة إنفاذ القانون، وتسهيل مدِّ ولايتهم لعمل الأطفال في كل أشكال العمل. كما نحتاج تدخُّلات تشريعية في ضمان حقوق الطفل العامل في الحماية الاجتماعية (خاصةً التأمين والضمان الاجتماعيَّين)، وحقوق الأطفال العاملين في تنظيم أنفسهم والتعبير عن مصالحهم والدفاع عنها.

كما ينبغي العمل على دعم ومساعدة الأطفال المتضررين - بل والمعرَّضين - وأسْرهم؛ ليتمكَّنوا من تحقيق مستوى اقتصادي واجتماعي يكفل لهم الانعتاق من الاستغلال، والاعتماد على أنفسهم ويُمكِّنهم من تخفيف حدَّة فقرهم.

كما ينبغي العمل على توفير عودة الأطفال للتعليم والتدريب المهني والتثقيف، الذي يحميهم من الارتداد أو العودة لعالم عمل الأطفال.

ويجب توفير وتلبية احتياجات ضحايا عمل الأطفال في مرحلة الحماية المبدئية، وأن يتم منحهم فترات ملائمة من الراحة والتأمل والتقاط الأنفاس، تتيح لهم التعافي بدنياً ونفسياً من تجربتهم، وتُمكِّنهم من اتخاذ قرارات حول مستقبلهم.

السياسات المقترحة:

مما سبق يتضح أننا في حاجةٍ لعددٍ من السياسات تغطي المخاطر المتعددة والتحديات التي تواجهنا للقضاء على عمل الأطفال، وتحقيق أهداف استراتيجياتنا وبرامجنا الوطنية لمكافحة عمل الأطفال والقضاء الفوري على أسوأ أشكاله، وأهمها:

- 1) دعم وتطوير استراتيجية شاملة ترمي إلى تنفيذ تدابير كفيلة بمنع عمل الأطفال ومكافحته؛
- 2) حظر تشريعي لعمل الأطفال ولأسوأ أشكاله، وللأعمال الخَطرة وللعمل تحت السنّ القانونية المحددة؛
- 3) النص على عقوبات رادعة؛ لمواجهة المتورّطين في عمل الأطفال؛
- 4) إرساء آليات لإنفاذ ورصد عمل الأطفال، وتعزيز الموجود منها؛
- 5) ضمان توفير سُبُل الانتصاف والدعم الاقتصادي والاجتماعي لضحايا عمل الأطفال؛
- 6) وضع أدوات مناسبة للإبلاغ عن عمل الأطفال وأسوأ أشكاله، بنُسق ميسّرة حسب مقتضى الحال، وتوفير الإرشاد والتعليم والتدريب واستثارة الوعي، لدى قيادات المجتمعات المحلية التي تعاني من وجود الظاهرة؛
- 7) ضمان أن تتناول السياسات المعنيّة بعمل الأطفال، مواجهة وحظر أي عنف أو تحرُّش ضد الأطفال وخاصةً الإناث منهم؛
- 8) ضمان وسائل فعّالة للتفتيش والتحقيق في حالات عمل الأطفال، من خلال هيئات تفتيش العمل والسلامة والصحة المهنيّتين، وتفتيش الزراعة، والتعليم، والصحة، والإخصائين الاجتماعيين، والشرطة، والقضاء وغيرها من الهيئات المختصة؛
- 9) مراجعة وتحديث قوانين حماية البيئة لتواكب تحديات التغيّرات المناخية والحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية؛
- 10) تطوير المناهج التعليمية للطلاب لزيادة التوعية بقضايا التغيرات المناخية والحد من آثارها؛
- 11) وضع برامج الحماية الاجتماعية للأسر المهدّدة بدخول أطفالها لسوق العمل.

كما يجب أن تتخذ الدول تدابير ترمي إلى:

- 1- رصد وإنفاذ التشريعات الوطنية وامتثالها مع التشريعات الدولية المتعلقة بعمل الأطفال وأسوأ أشكاله؛
- 2- رصد وإنفاذ التشريعات الوطنية المتعلقة بحماية البيئة ومواردها؛

- 3- زيادة الوعي بقضايا التغيرات المناخية وآليات الحد من آثارها؛
- 4- مناهج تعليم تعمل على تعظيم الموارد البيئية وترشيد السلوكيات التي تعتمد على الوقود الأحفوري وتعمل على توضيح مخاطر التغيرات المناخية؛
- 5- ضمُّ الأطفال إلى برامج الحماية الاجتماعية بالدول بصفتهم من أكثر الفئات المُهمَّشة والمتضرِّرة من التغيرات المناخية؛ وتحديدًا الأطفال العاملين؛
- 6- النص على أن تُتاح لضحايا عمل الأطفال سُبُل الوصول الآمن والميسر إلى آليات فعَّالة وأمنة للخروج من عالم العمل، والعودة لعالم الطفولة والتعلُّم إلى جانب الدعم الاقتصادي والخدمات الاجتماعية لهم ولأسرهم؛
- 7- ضمان سهولة الوصول إلى آليات وإجراءات آمنة وفعَّالة للإبلاغ والشكوى والمراقبة والمتابعة، في حالات عمل الأطفال وأسوأ أشكاله "وجود نظام إحالة وطني لرصد عمل الأطفال في أسوأ أشكال عمل الأطفال"؛
- 8- توفير تدابير الدعم الاقتصادي والاجتماعي والطبي والإداري لضحايا عمل الأطفال وأسرهم؛
- 9- النص على عقوبات رادعة، كلما كان ذلك مناسباً، في حالات عمل الأطفال وأسوأ أشكاله للحدِّ من عملهم وإبعادهم عن تأثير التغيرات المناخية عليهم؛
- 10- أن تكون الإرشادات أو التدريبات أو أية أدوات أخرى مُساعِدة في التوعية والاستشارة متوافرة، وسهل الوصول إليها، حسب مقتضى الأحوال، لأصحاب العمل وللعمال من الأطفال ولنظماتهم والسلطات المعنية، بشأن مكافحة عمل الأطفال والقضاء على أسوأ أشكاله ومخاطر عمل الأطفال في ظل التغيُّرات المناخية وتأثيرها المباشر على الأطفال العاملين؛
- 11- برامج دعم نفسي وطبي للأطفال ضحايا التغيرات المناخية والعمل.

المقدمة

انطلاقاً من أهداف التنمية المستدامة التي تغطي قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية (الفقر، الجوع، الصحة، التعليم، تغير المناخ، المساواة بين الجنسين، المياه، الصرف الصحي، الطاقة، البيئة، العدالة الاجتماعية)، تأتي قضية مكافحة عمل الأطفال والقضاء على أسوأ أشكال عمل الأطفال متزامنةً ومتراصةً ونتيجةً عن الفقر والجوع وسوء التعليم. في 19 يوليو 2014، أحالت المجموعة المفتوحة للعمل على تحقيق أهداف التنمية المستدامة

للجمعية العامة للأمم المتحدة، اقتراحًا للجمعية يتضمن 17 هدفًا و169 غايةً تغطي مجموعةً واسعةً من قضايا التنمية المستدامة. وشملت: الفقر، القضاء على الجوع والفقر وتحسين الصحة والتعليم، وجعل المدن أكثر استدامة، ومكافحة تغير المناخ، وحماية المحيطات والحفاظ على الغابات، واستناداً إلى استراتيجيات منظمة العمل الدولية في حماية الأطفال من الاستغلال بكل أشكاله وخاصةً الاستغلال الاقتصادي، وإلى المعايير الدولية ذات الصلة بحقوق الأطفال وحمايتهم من الاستغلال، وإلى استراتيجيات الدولة المصرية للقضاء على أسوأ أشكال عمل الأطفال.

فصل تمهيدي

تعدُّ ظاهرة عمل الأطفال ظاهرة قديمة قَدَم العمل ذاته؛ بل يمكن القول بأنَّها المشكلة التي دفعت المثقفين والفلاسفة ورجال القانون وحقوق الإنسان وعلم الاجتماع إلى المناداة بضرورة وجود قواعد قانونية تنظم علاقات العمل، وحثية تدخل الدولة في علاقات العمل؛ من أجل حماية العمال - رجالاً ونساءً - بوجه عام، والأطفال على وجه الخصوص.

ولقد حظي الأطفال باهتمام التشريعين: الدولي والوطني مبكراً. بسبب ضعف الطفل واستغلاله في العمل؛ ولأن مرحلة الطفولة أهم مرحلة من عمر الإنسان، حيث تُعدُّ الأساس الذي يقوم عليه بناء شخصية الإنسان من جميع جوانبها: الجسدية، والعقلية، والنفسية والاجتماعية. وفي ضوء معايير حقوق الإنسان بشكل عام، ومعايير حماية الأطفال بشكل خاص، ومعايير الاستغلال الاقتصادي للأطفال على وجه التحديد، نحرص على المشاركة في رسم السياسات المناسبة لمواجهة عمل الأطفال والقضاء الفوري على أسوأ أشكال عمل الأطفال، من خلال ورقة تنطلق من التشريعات والمعايير (دولية ووطنية) التي تحكم ظاهرة عمل الأطفال، بهدف الحد من تلك الظاهرة ومواجهتها.

التعريفات ذات الصلة بمكافحة عمل الأطفال

الطفل:

الطفل هو ذلك الشخص الذي لم تكتمل له مَلَكة الإدراك والاختيار؛ لعدم اكتمال إدراكه حقائق الأشياء وتحديد ما ينفع منها وما يضر، ولا يرجع هذا إلى علة في عقله، وإنما إلى ضعف قدرته الذهنية والبدنية بسبب سنِّه المبكرة التي لا تؤهله إلى وزن الأشياء بموازينها الصحيحة.

وقد عرّفت "الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل سنة 1989"، الطفل في مادتها الأولى على إنه: "كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، ما لم يبلغ سنَّ الرُّشد قبل ذلك بموجب القانون المطبق عليه". وطبقاً لهذا النص فإنه لا بُدَّ من توافر شرطين لكي نسمي الشخص طفلاً:

- ألا يكون قد بلغ سن الثامنة عشرة؛

- وألا يكون القانون الوطني قد حدد سنّاً للرُّشد أقل من ذلك.

إذن الطفل في القانون الدولي، هو كل شخص دون سنِّ الثامنة عشرة؛ ومن ثمَّ فإن أي شخص دون هذه السنِّ يستحق جوانب خاصة من الحماية، بغضِّ النظر عن جنسه أو لونه أو دينه... إلخ.

عمل الأطفال:

قد لا تستوعب عبارة "عمل الأطفال" جميع الأنشطة الاقتصادية التي قد يقوم بها الطفل، ولكنها غالباً ما تُردُّ إلى كل الأعمال الخطرة التي من شأنها أن تُلحق به أضراراً نفسية أو جسدية، مما قد تؤدي به إلى الانقطاع المبكر عن الدراسة أو حتى إجباره على تحمُّل أعباء نشاط مهني مُضنٍّ يؤثر سلباً على حُسن أدائه الدراسي. وتسعى منظمة العمل الدولية منذ إنشائها عام 1919، إلى القضاء على عمل الأطفال.

وفي هذا الصدد، يمكن الإشارة إلى عددٍ من الاتفاقيات والتوصيات المعتمدة لهذا الغرض. حيث تنصُّ الاتفاقية (رقم 138) لعام 1973، على منع عمل الأطفال الذين هم دون سنِّ استكمال التعليم الإلزامي (بما لا يقلُّ عن 15 سنة في كل الأحوال) في أيِّ من القطاعات الاقتصادية؛ بينما تنصُّ الاتفاقية (رقم 182) لعام 1999، على ضرورة اتخاذ تدابير فورية للقضاء على أسوأ أشكال عمل الأطفال.

وتشمل أسوأ أشكال عمل الأطفال ما يلي:

- (1) جميع أشكال الرِّقِّ أو الممارسات الشبيهة بالرق، كبيع الأطفال والاتِّجار بهم، وعبوديَّة الدين، والقنانة، والعمل القسري أو الإجباري، بما في ذلك التجنيد القسري أو الإجباري للأطفال لاستخدامهم في صراعات مُسلَّحة؛
- (2) استخدام طفل أو تشغيله أو عرضه لأغراض الدعارة، أو لإنتاج أعمال إباحية أو أداء عروض إباحية؛
- (3) استخدام طفل أو تشغيله أو عرضه لمزاولة أنشطة غير مشروعة، ولاسيَّما إنتاج المخدِّرات بالشكل الذي حدِّدت فيه في المعاهدات الدوليَّة ذات الصلة والاتجار بها؛

4) أية أعمال يمكن أن تؤدّي، بفعل طبيعتها أو بفعل الظروف التي تُزاوَل فيها، إلى الإضرار بصحة الأطفال أو تعليمهم أو سلامتهم أو سلوكهم الأخلاقي.

عن: اتفاقية أسوأ أشكال عمل الأطفال، 1999 (رقم 182)؛ مكتب العمل الدولي (2007 أ).

عمل الأطفال

عمل الأطفال ليس بالظاهرة الجديدة في العالم، إلا أنه تصاعد بشكل أكبر مع تدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية؛ وخاصةً في بلدان العالم النامية. وقد قدرّت الأمم المتحدة في تقرير صدر عنها في سنة 2015، أن عدد الأطفال الذين يعملون عبر العالم بلغ أكثر من 150 مليون طفل، وأن 85 مليون منهم يعملون في ظروف قاسية.

وتترك ظاهرة تشغيل الأطفال آثاراً سلبية تنعكس على الأطفال وعلى المجتمع بشكلٍ عام.

ولقد جرّمت العديد من الاتفاقيات الدولية الاستغلال الاقتصادي للأطفال.

ولا تكمن مخاطر عمل الأطفال على الأطفال وحدهم، بل تهدد بازدياد نسبة البطالة بين الأفراد البالغين طالبي العمل والقادرين عليه، بالإضافة إلى تفشي الفقر وإعادة إنتاجه في المجتمعات. وعموماً، فإن عمل الأطفال يعني حرمان الأطفال من حقوقهم في الطفولة والنمو والتعليم والصحة والكرامة والحماية الاجتماعية، ويُلحق الضرر بنموهم البدني والعقلي والنفسي على حدٍ سواء؛ وزيادة فرص إصابتهم بأمراض خطيرة وأخطار تحفّ حياتهم بالخطر مبكراً.

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين، هما:

- مبحث أول، عن: أسباب عمل الأطفال؛

- مبحث ثانٍ، عن: نتائج عمل الأطفال.

المبحث الأول: أسباب عمل الأطفال

يُعدُّ عمل الأطفال من الظواهر الخطيرة التي انتشرت بشكلٍ كبيرٍ في المجتمعات الحديثة لأسباب متعددة، ولا يقتصر عمل الأطفال على مجتمع بعينه، وإنما يظهر في كل المجتمعات متقدمة ونامية، وإن كان بنسب مختلف وعلى أشكال متباينة، ولعمل الأطفال أسباب متعددة ومتنوعة، ويمكن تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، كما يلي:

ويتضمن التقرير أربع ركائز رئيسة للسياسات في مجال مكافحة عمل الأطفال، وهي: تعزيز الحماية القانونية، وتحسين إدارة أسواق العمل والمنشآت الأسريّة، وتدعيم الرعاية الاجتماعية، والاستثمار في التعليم المجاني والجيد.

- أولاً: أسباب اقتصادية لعمل الأطفال؛
ثانياً: أسباب اجتماعية لعمل الأطفال؛
ثالثاً: أسباب ناتجة عن ضعف العملية التعليمية لعمل الأطفال؛
رابعاً: أسباب ناتجة عن خلل كفاءة سوق العمل؛
خامساً: الأسباب الناتجة عن قصور الحماية التشريعية لعمل الأطفال.

أولاً: أسباب اقتصادية

تشهد دول العالم اليوم تفاوتاً اقتصادياً كبيراً، حيث تتمثل السمات الاقتصادية لعالم اليوم في التقلبات الاقتصادية المتكررة، وارتفاع معدلات الفقر والتضخم والبطالة، وحالات العجز الشديد في موازنة الدول، وتلوث البيئة، والفساد الاقتصادي، وفي ظل هذه الوضعية الصعبة تتعقد الأمور وتزداد الأزمات؛ الأمر الذي يؤدي إلى عدة ظواهر منها انتشار ظاهرة الاستغلال الاقتصادي للأطفال على صعيد المجتمع الدولي.

إلا أن تأثير العوامل الاقتصادية في البلدان النامية أكثر نفوذاً بكثير في ظاهرة عمل الأطفال، التي يُعدُّ السبب الاقتصادي هو السبب الرئيس لانتشارها. فتَفَشِي ظاهرة عمل الأطفال ترتبط في الدول النامية - غالباً - بالتغيرات الاقتصادية وتبنيها لسياسات الاقتصاد الحرّ التي كان لها تأثير على سوق العمل بصفة عامة وعلى اتساع استخدام الأطفال في العمل بصفة خاصة، ويؤدي بدوره إلى نتيجتين: الاستغناء عن جزء من العمال في بعض القطاعات، واتساع دائرة الأشغال والقطاعات غير المنتظمة (المُهَيِّكَة) والتي تُعدُّ البيئة الأكثر استخداماً لعمل الأطفال.

أما أهم العوامل الداخلية التي تساعد على تفشي ظاهرة عمل الأطفال في البلدان النامية، فيتمثل في غلبة الاقتصاد الزراعي فيها، والذي يُعدُّ المجال الأكثر استهلاكاً لعمل الأطفال؛ حيث تم الاعتياد فيه خاصةً من صغار مُلاك وحائزي الأراضي الزراعية، إلى الاعتماد بشكل كبير على عمل الأطفال، وكلما طغت أساليب الزراعة التقليدية على الاقتصاد الزراعي ازداد استخدام عمل الأطفال.

ثانياً: أسباب اجتماعية

تؤكد نتائج الدراسات الاجتماعية أن المجتمعات التي ترتفع فيها معدلات الطلاق وانهيار

الأُسْر وانتشار الجهل والفقر تزداد فيها المشاكل والآفات الاجتماعية عموماً، وهو الأمر الذي يجعل من الإمكان احتساب دور المشاكل الاجتماعية في انتشار عمل الأطفال؛ فوفاة أو هرب أحد الوالدين أو انفصالهما، أو عجزهما عن الكسب، قد يدفع بالأطفال إلى سوق العمل. كما أن الثقافة الاجتماعية السائدة، قد تجعل بعض الأسر تعتقد أن تشغيل الأطفال وسيلة لتهيئة وتدريب الأطفال على مواجهة الحياة، وأن تعليمهم مهنةً قد تؤمّن لهم مستقبلهم، أكثر من التعليم؛ خاصةً إذا ما انتشرت ثقافة معادية للعلم والتعليم، أو اعتقاداً بأن الأطفال رزق ويشكلون مصدراً اقتصادياً؛ ومن ثمّ فإنّ إنجاب كثير من الأطفال قد يكون هدفاً بالنسبة إلى الفلاحين أو المهّمّشين، حيث لا يشكّل الأطفال في ثقافتهم أي عبء، بل إنهم وبعد قليل سينخرطون في العمل ويصبحون مصدراً للدخل؛ حيث ما زالت الأسر في المجتمعات الفقيرة تقوم على التعاون وتقسيم العمل بين أفرادها، يقوم الأبّ فيها بإعالة زوجته وأبنائه.

ثالثاً: أسباب ناتجة عن ضعف العملية التعليمية

يلعب التعليم دوراً أساسياً ورئيساً في تحقيق ازدهار الأمم وتقدمها، ولعل الفارق الأساسي بين أكثر الدول تقدماً وأكثرها تخلفاً يرجع إلى إنتاجية الفرد. تعاني العملية التعليمية من مشاكل عديدة أثرت أكثر ما أثرت على حقوق الأطفال وحمايتهم، ومنها: اكتظاظ الفصول الدراسية، غياب الأنشطة التربوية، الفجوة بين المعلمين والتلاميذ، وبين الطرفين والمناهج الدراسية، والظروف السيئة لأوضاع المعلمين، وبُعد المدارس عن أماكن سكن الأطفال خاصة هؤلاء المقيمين في مناطق عشوائية وفقيرة، انخفاض مستوى الخدمات والبنية الرئيسية في الأبنية التعليمية (من معامل وملاعب وأماكن للأنشطة ودورات مياه مناسبة... إلخ). مما يخلق جوّاً من الإحباط والكآبة، ويُنتج ظاهرة التسرّب المدرسي الذي يُعدُّ أهم مصادر ظاهرة عمل الأطفال.

فالأطفال الذين يفشلون دراسياً لا يجدون هم وأسره منقذاً سوى الالتحاق بسوق العمل، وإلا التسلّل لحياة الشوارع حيث الانحراف والتشرد. ولهذا تُعدُّ مناهج وأساليب التعليم ذات مسؤولية مباشرة عن تسرّب الأطفال من المدرسة واللجوء إلى العمل في سنٍّ مبكرة.

رابعاً: أسباب ناتجة عن خلل كفاءة سوق العمل

يُعدُّ العمل في حد ذاته قيمة في حياة البشر، بغضّ النظر عن مردوده الاقتصادي الذي لا

غنى عنه، وتنتج عن تشوّهات سوق العمل مشكلات يكون لها آثار سلبية اقتصادياً واجتماعياً، فضلاً عن الآثار السلبية التي تصيب أهم الموارد الاقتصادية للمجتمع، وهي الموارد البشرية.

خامساً: أسباب ناتجة عن قصور الحماية التشريعية

ينتج عن قصور الحماية التشريعية لعمل الأطفال في بعض القطاعات أو الأوقات أو الظروف، خروقات واسعة لخطط وسياسات مواجهة عمل الأطفال وخاصةً في القطاع غير الرسمي.

نتائج عمل الأطفال

ينتج عن ظاهرة عمل الأطفال كثيراً من المخاطر الاجتماعية والنفسية والاقتصادية، ويمكن تقسيمها إلى:

- مخاطر عمل الأطفال التي تلحق بالطفل العامل؛
- مخاطر عمل الأطفال التي تلحق بالمجتمع؛
- مخاطر بيئة العمل.

أولاً: مخاطر عمل الأطفال التي تلحق بالطفل العامل

رغم أن العمل يُنمي طاقات وقدرات الأشخاص البالغين، ويُعدُّ من أهم حقوق الإنسان، غير أن آثاره تختلف تماماً بالنسبة إلى الأطفال؛ فالطفولة كيان يحتاج إلى عناية وحماية؛ لضمان نُموه واكتماله، وتُعد ظاهرة عمل الأطفال من الانتهاكات الصارخة التي تهدد نمو الطفل واكتماله جسدياً ونفسياً وتعليمياً وثقافياً؛ إذ غالباً ما يُضطر الطفل العامل إلى معاشة ظروف وأوضاع تشكل خطورةً عليه وتتعكس بالسلب على جوانب عديدة من حياته، منها:

- جوانب بدنية وصحية؛
- جوانب نفسية؛
- جوانب معرفية.

- مخاطر على الجوانب البدنية للأطفال:

أظهرت عديد من الدراسات أن عمل الأطفال يُنتج آثاراً سلبية على نمو الأطفال البدني مقارنة مع الأطفال الآخرين من نفس أعمارهم، فيكونون أقل وزناً. كما يعانون آلاماً ومشاكل صحية عديدة، منها ما يتعلق بأمراض تنفسية وجلدية وغيرها، منها: التيفويد، الملاريا، الأنيميا، الكُحَّة، أمراض الصدر، أمراض العيون، التهاب الكبد الوبائي وغيرها من الأمراض.

وذلك نتيجة مخاطر العمل بالصناعة وغيرها من الأنشطة التي تعرضهم لكثير من المخاطر أثناء فترات العمل، كالتعرض للحرارة المرتفعة في بعض مواقع العمل التي تُستخدم فيها الآلات العديدة أو التعرض للمواد الكيماوية، أو الغبار أو الأتربة والغازات، بالإضافة إلى المخاطر الميكانيكية الناجمة عن التعامل غير الواعي مع الآلات وعدم استخدام وسائل وقائية من هذه المخاطر، والأمر لا يقلُّ سوءاً في المجال الزراعي، فبالإضافة إلى مخاطر الميكنة هناك مخاطر المواد الكيماوية السامة، والمبيدات الحشرية التي قد يتعرض لها الأطفال؛ بسبب قلة خبرة الطفل وعدم تدريبه الكافي للتعامل مع مثل هذه الأخطار.

مخاطر على الجوانب النفسية للأطفال:

- مخاطر على الجوانب المعرفية للأطفال:

من بين الآثار السلبية التي تنتج عن ظاهرة عمل الأطفال إضعاف التحصيل المعرفي أو الدراسي للأطفال العاملين، حيث تدفعهم ظروف عملهم إلى إهمال الدروس، والعجز عن مواجهة الواجبات المدرسية والمواظبة؛ مما يؤثر ذلك على قدرتهم على القراءة والكتابة والفهم، وهو ما يُقلل من فرصهم في تحسين وضعهم المعرفي ومواجهة المستقبل بشكل أفضل، وهو الأمر الذي يزيد من فرص تسربهم من التعليم. حيث نجد أن هناك ارتباطاً مباشراً وقوياً بين عمل الأطفال والتسرب من التعليم، كما ينتج عن عمل الأطفال حرمان الأطفال من مواصلة تحصيلهم الدراسي في سن مبكرة، والذي ينعكس بدوره سلباً على حياتهم، ويحرمهم من أبسط حقوقهم، ويُلقي بهم إلى التأخر في القدرات التي يواجهون بها الحياة.

ثانياً: مخاطر تلحق بالمجتمع

لا تنحصر الآثار السلبية لعمل الأطفال في دائرة الأطفال فقط، بل تمتد إلى المجتمع، ويظهر ذلك من خلال:

- أولاً: تأثير عمل الأطفال في رفع نسب البطالة بين البالغين؛
- ثانياً: تفشي الجهل والأمية في المجتمع؛
- ثالثاً: تفشي الجريمة داخل المجتمع؛
- رابعاً: إعادة إنتاج الفقر في المجتمع.
- رفع نسب بطالة البالغين:

يبحث أصحاب العمل دائماً عن تخفيض تكلفة العمل؛ لذلك فهم يلجئون لتشغيل الأطفال

ولاعتبارات عديدة، مثل: انخفاض أجورهم عن البالغين، الطاعة التامة، الخضوع لطلبات صاحب العمل، عدم المطالبة بالحقوق، وغير ذلك من العوامل الأخرى.

ولعل ذلك أحد أسباب انتشار ظاهرة عمل الأطفال، والذي يجعل نمو سوق العمل يسير عكس الأهداف الاقتصادية التي تسعى الدول لتحقيقها؛ حيث يؤدي إلى ارتفاع نسب البطالة في أوساط البالغين، وإلى زيادة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع

تفشي الجهل والأمية:

لا يهدد عمل الأطفال حقوق الأطفال وحدهم، بل يؤدي إلى نتائج اجتماعية واقتصادية وصحية غير مرغوب فيها للمجتمع؛ حيث ينتج عن عمل الأطفال انخفاض في جودة ونوعية رأس المال البشري بشكل كبير، كما يؤدي إلى تباطؤ التنمية الاقتصادية؛ حيث يعرقل تحقيق الأهداف الخاصة بالتعليم، وبالحد من الفقر، وبالقضاء على التهميش الاجتماعي؛ ومن ثم يُعيق تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

تفشي الجريمة:

تؤكد بعض الدراسات أن الأطفال العاملين - لاسيما المتسربين من التعليم والأطفال العاملين في الشوارع - يشكلون بيئة مناسبة لتكوين العصابات والانضمام إليها، بل وترتبط بين ازدياد معدلات الجريمة وارتفاع معدلات عمل الأطفال، ذلك أن الأطفال العاملين كثيراً ما يفقدون الرقابة الأسرية والمدرسية ويصبحون بلا وازع ولا رقيب؛ وهو الأمر الذي يساعد على اكتسابهم عادات سيئة، مثل: التدخين، شرب الكحوليات، تعاطي المخدرات، البحث عن ملذات جنسية. كما أن اختلاطهم بمن هم أكبر منهم سناً يجعلهم معرضين لخوض تجارب وأعمال لا تناسبهم بل وتجعلهم عرضة لأعمال نصب واحتيال؛ من خلال التعرض لإغراءات رفاق السوء، وهو الأمر الذي يُسهّل وقوعهم في الانحراف والجرائم، بالإضافة لإمكان تعرضهم لجرائم الاختطاف والاتجار في الأعضاء، أو التحرش الجنسي خصوصاً الإناث منهم؛ وبالتالي فإن عمل الأطفال يسهم في تفشي الجريمة داخل المجتمعات، سواء بصفتهم جناة أم مجنّباً عليهم.

إعادة إنتاج الفقر:

كثيراً ما يُقال إن الفقر، ومشاركة الأطفال في النشاط الاقتصادي يُنتج كل منهما الآخر. حيث يتسبب الفقر في عمل الأطفال، وفي الوقت نفسه يُضعف فرصهم في الارتقاء الاجتماعي. ولذلك فهو يعيد إنتاج الفقر ويجعله حالة دائمة قابلة للتجدد والتكاثر.

فإذا كان الفقر ينعكس في الحرمان من التعليم، الذي يحرم الأطفال من تحقيق التقدم

والقدرة على الكسب الأفضل على طول الحياة. وعلى صحتهم إن عاجلاً أو آجلاً؛ ومن ثمَّ يُضعف فرصهم في الاستمرار في القدرة على العمل وكسب الرزق. ويؤثر بدوره على أوضاعهم الاجتماعية واستقرارهم في أسر مستقرة. بل، ويضرُّ بتنمية الطفل، فنجد أن عمل الأطفال يُديم الفقر ويعيد إنتاجه، ويُدخل ضحاياهم في دائرة جهنمية من الوقوع في فخاخ الفقر متعدد المستويات، ويؤثر سلباً على مستوى تطور المجتمع وتنميته؛ لأنه يحطُّ من رأس المال البشري اللازم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والخروج من الفقر.

مخاطر بيئة العمل:

أهم القطاعات التي يوجد بها كثافة في عمل الأطفال هي القطاع الزراعي وهو أكثر قطاع به مخاطر على صحة الأطفال بعد العمل في المحاجر، والمناجم والقطاع الزراعي من أكثر القطاعات في الوطن العربي استغلالاً لعمل الأطفال في الوطن العربي؛ لطبيعة النشاط الاقتصادي في الدول العربية واعتماد العديد من الشعوب العربية على الزراعة كدخل اقتصادي لهم أو لتوفير احتياجاتهم الغذائية؛ ولذلك أهم هذه المخاطر التي تواجه عمل الأطفال في الزراعة هي:

- أخطار المواد الكيميائية (المبيدات الحشرية والأسمدة) بما فيها التعرض للمبيدات من خلال:
- المشاركة المباشرة في الرش؛
- العمل في حقل رش بالمبيدات حديثاً؛
- استنشاق هواء محمّل بالمبيدات الحشرية من حقل ملاصق أو مجاور؛
- العمل في حقل رش المبيدات الحشرية بدون استخدام مُعدّات الوقاية الشخصية الملائمة؛
- تناول الطعام بيدين مُلوّثتين بالمبيدات الحشرية.

الآثار الضارة للمبيدات

الآثار الجسدية المباشرة

قد تحدث حالات من التسمُّم الحاد بالمبيدات. تتفاوت أعراض التسمم بين معتدلة وحادة حسب نوع المبيد ودرجة التعرض. عادةً ما يتعافى المصابون بحالات التسمُّم الحادة بعد تلقي العلاج المناسب، ولكن يمكن لبعض الحالات أن تكون قاتلة.

تشمل أعراض التسمم الحاد:

- تهيج في العين والرئة والجلد؛

- الغثيان والتقيؤ والإسهال؛

- أعراض في القلب.

الآثار الجسدية غير المباشرة

غالباً ما تظهر المشاكل الصحية الناجمة عن التعرُّض للمبيدات في وقتٍ لاحقٍ من دون أن تكون مرئية خلال سنوات التعرض، هذه الآثار الصامتة التي تتأخر في الظهور ليست قابلةً للعلاج في أغلب الأحيان وتؤثر على نطاقٍ واسعٍ جداً من أجهزة الجسم، كالتالي:

- الجهاز التناسلي: تُسبب المبيدات تشوهات خلقية، والإجهاض (الإلرادي)، وموت محصول الحمل (موت الجنين داخل الرحم)، ومواليد ذوي وزن منخفض ووفيات مبكرة للمواليد.
- الأمراض السرطانية:

1. الأطفال: سرطان الدم (leukemia)، سرطان الأنسجة العظمية، سرطان الجهاز

اللمفاوي وسرطان الدماغ.

2. الراشدون: هم أكثر عرضة للإصابة بسبب تعرُّضهم للمبيدات منذ الصغر.

- الجهاز العصبي والسلوكي: ضعف في تطور الجهاز العصبي؛ مما يتسبب بانخفاض بمستوى الذكاء وبعض الانحرافات السلوكية غير المحددة.
- جهاز المناعة: ضعف الجهاز المناعي خاصة عند الأطفال النامية؛ مما يؤدي الي زيادة التعرض للأمراض المعدية والسرطان.
- اضطراب في وظائف الكبد والكلى.

الآثار النفسية الاجتماعية

إن معظم الآثار الضارة النفسية الاجتماعية هي غير مباشرة.

تشمل الآثار الضارة النفسية الاجتماعية غير المباشرة:

- مشاكل في الذاكرة؛

- التعب المزمن؛

- التهاب الجلد المزمن.

الآثار الضارة لمواد كيميائية أخرى

ثمة مواد كيميائية أخرى تشكل خطراً على الأطفال العاملين في الزراعة كالأسمدة، ومنتجات

البَيْطَرَة والمواد الكيميائية الشائعة الاستعمال كالمطهرات وأدوات التنظيف.

هذه المواد لها آثار مباشرة، مثل:

- التسبب بحروق جلدية؛
- تهيج أغشية الفم والعيون والأنف؛
- آثار ضارة على الجهاز التنفسي والعصبي من تطاير أبخرة سامة خاصة أثناء خلطها في مكان مغلق.

الآثار الجسدية الناجمة عن الآلات الخطرة

إن معظم الآثار الضارة الناجمة عن الآلات والأدوات الزراعية الخطرة هي بطبيعتها أضرار جسدية، إما مباشرة أو غير مباشرة.

الآثار المباشرة تشمل:

- إصابات البتر: من جرّاء انجرار الأطراف أو الجسم بأكمله إلى داخل حاصدات الأعلاف أو حاصدات البطاطا؛
- جروح وتمزقات في الجلد والأنسجة الرخوة (الجلد، العضل، الأوتار، الأنسجة الدهنية، الأوعية الدموية والأعصاب، إلخ)، من جرّاء وجود حواف معدنية بارزة وتنتوءات حادة على هيكل الماكينة.
- إصابات سحق من جرّاء انقلاب أو سقوط الجرّارة على جنبها؛ مما يؤدي إلى تلف في الأنسجة غير قابل للعلاج.
- الإصابات في الأعضاء الداخلية، مثلًا تفتت الطحال أو الكبد مما يؤدي إلى نزف داخلي ومضاعفات خطيرة أخرى.
- آلام حادة في الظهر من جرّاء التعرض لارتجاج الجسم بأكمله وللصدمات المفاجئة المنبعتة من هيكل الحافلة، ومن اتخاذ وضعيات جلوس غير ملائمة للعمود الفقري أو من القيادة على مساحات وعرّة.

الآثار غير المباشرة تشمل:

- إعاقات دائمة من جرّاء إصابات السحق أو البتر؛
- فقدان السمع نتيجة التعرض المتكرر للضجيج الصاخب الذي تولده الآلات؛

- اضطرابات نفسية ناتجة عن التعرُّض للتعب والضجيج باستمرار، كالتوتر وصعوبة في النوم.

الآثار الجسدية الناجمة عن الأدوات الخطرة

حيث يتم العمل اليدوي يكثر استخدام الأطفال العاملين لأدوات القَطْع، وتشمل أدوات القطع المناجل والسكاكين والسواطير وما إلى ذلك، وهي تُستخدم لتقطيع جذوع المحاصيل والقش والحشائش وجذوع أوراق التبغ ولفتح قرون الفاكهة. وتُستخدم أيضاً أدوات حادة ومروسة لشكّ جذوع التبغ وجمعها ببعضها البعض قبل تعليقها على علو مرتفع لتجف. ينتج عن أدوات القطع والأدوات الحادة المروسة الأخرى آثارٌ ضارّة مباشرة وغير مباشرة.

الآثار المباشرة تشمل:

- إصابات قاطعة مختلفة تتراوح بين جروح بسيطة إلى إصابات خطيرة تؤدي إلى بتر الأصابع والأطراف؛
- الأدوات المروسة تؤدي إلى إصابات ثاقبة التي يمكن أن تكون شديدة الخطورة إذا ما كان موقع الإصابة هو عضو حيوي داخلي (مثلاً الكبد أو الكلى أو الطحال أو الرئة)، أو خارجي كالعين؛
- الوفاة نتيجة النزف القوي من جراء الإصابات العميقة التي تمسّ الأوعية الدموية الكبيرة.

ثانياً: تشريعات تقييد عمل الأطفال

يهدف سنُّ التشريعات - عموماً - وضع إطار ينظم العلاقات بين الأفراد، ويوضح حقوق كل منهم والتزاماته تجاه الآخرين وتجاه المجتمع ككل؛ وذلك حفاظاً على سلامة المجتمعات والأشخاص المكوّنين لها. ومن بين الأشخاص الذين حظوا باهتمام التشريعات - سواء الدولية أم الوطنية - هم الأطفال. ويرجع هذا الاهتمام لكون الطفل ضعيفاً لا يستطيع أن يعيش دون مساعدة وحماية الآخرين؛ ولأن مرحلة الطفولة تُعدُّ أهم مرحلة في عمر الإنسان، فهي الأساس الذي يقوم عليه بناء شخصيته من جميع نواحيها: البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية؛ ولأن الأطفال هم مستقبل المجتمعات والأمم، فإن الجوانب المتعلقة بحمايتهم وحماية حقوقهم تأخذ موضعاً أساسياً من تشريعات الدول، سواءً في الحالات العادية أم في الظروف الاستثنائية التي

يتم استغلالهم فيها، ومن بين هذه الظروف التي يتم فيها استغلالهم عمل الأطفال؛ وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بأسوأ أشكال عمل الأطفال؛ أي عندما يُلقى العمل على الأطفال بأعباء ثقيلة تهدد سلامتهم أو صحتهم أو رفايتهم أو أخلاقهم أو تعليمهم، حيث يشتغلون كعمال رخيصي الأجر بدلاً عن عمل الكبار، ويحرمهم من النمو، ويستغل ضعفهم وعدم قدرتهم على الدفاع والمطالبة بحقوقهم، كما يُعيق تعليمهم، ويؤثر على تطوُّرهم ونموِّهم الجسدي والنفسي والاجتماعي؛ لكل هذا اهتمت المواثيق الدولية بموضوع عمل الأطفال والعمل على رعاية الأطفال وحمايتهم من كل أشكال الاستغلال.

ويمكن تقسيم هذا الفصل، إلى:

التشريعات الدولية

دخلت مسألة حماية الأطفال من العمل في صلب الاهتمامات الدولية - حكومية وغير حكومية - مع ازدياد حرص المجتمعات البشرية على حماية حقوق الإنسان وتأمين إجراءات فورية وشاملة لحماية الأطفال من مخاطر هذا العمل، ومن تأثيرات العمل السلبية على نمو الأطفال بدنياً وذهنياً ونفسياً وتعليمياً.

وقد عرِّفت "اتفاقية حقوق الطفل"، الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام (1989) الطفل بأنه: "كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرُّشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه".

كما نصّت على ضرورة السعي لحماية الطفل من الاستغلال الاقتصادي ومن أداء أي عمل يُرَجَّح أن يكون خطراً عليه، أو يؤثر سلباً على تعليمه أو صحته أو نموِّه البدني أو العقلي أو الروحي أو المعنوي أو الاجتماعي؛ وأيضاً على ضرورة أن تتخذ الدول الأطراف فيها التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية والتربوية التي تكفل هذه الحماية، وبشكل خاصّ وضع حدّ أدنى لسنّ الالتحاق بالعمل، ونظام ملائم لساعات العمل وظروفه وفرض عقوبات مناسبة لضمان فعالية تطبيق هذه النصوص .

في التشريعات الدولية العامة (حقوق الإنسان)

حقوق الإنسان هي معايير مُتَّفَق عليها دولياً وتنطبق على جميع البشر. وهي تشمل: الحقوق المدنية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية والاجتماعية التي بيّنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948).

حقوق الإنسان هي:

- عالمية، يكتسبها كل إنسان؛
- تهدف إلى الحفاظ على الكرامة المتأصلة والمساواة في القدر بين الجميع؛
- غير قابلة للتصرف (لا يمكن التنازل عنها أو انتزاعها)؛
- مترابطة ومتشابكة (كل حق للإنسان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بل وكثيراً ما يعتمد على إحقاق حقوق الإنسان الأخرى).

التزامات الدول في حقوق الإنسان:

- تفرض جميع حقوق الإنسان ثلاثة أنماط من الالتزامات على الدول، هي:
- الالتزام الأول: التزام بالاحترام: يعني احترام حقوق الإنسان، عدم التدخل لمنع أي إنسان من التمتع بحقوقه كإنسان.
 - الالتزام الثاني: التزام بالحماية: يعني التزام الحماية أن تضمن الحكومة عدم تعدي أطرافٍ ثالثة (غير حكومية وغير ممثلة لأجهزة الدولة) على أي إنسان لتمنعه أو تحول بينه وبين تمتعه بحقوقه كإنسان.
 - الالتزام الثالث: التزام بالوفاء: يعني الالتزام بالوفاء اتخاذ إجراءات إيجابية لإحقاق حقوق الإنسان وتوفيرها بشكل مناسب.
 - اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (2006).

1- إعلان حقوق الطفل، جنيف (1924) :

تم تبنيه من قبل عصابة الأمم، التي سعت من خلاله إلى إنشاء مركز توثيق خاص بحماية الطفولة وتأسيس لجنة استشارية للمسائل الاجتماعية وقضايا الطفولة، إلا أنه وكغيره من جهود عصابة الأمم انهارت مع اندلاع الحرب العالمية الثانية.

2- إعلان حقوق الطفل (1959) :

الذي نصّ على عديد من حقوق الطفل على شكل مبادئ تؤكد ضرورة تمتع الطفل بحماية خاصة، وتمتعه بالاسم والجنسية وتلقيه التعليم والتنشئة الآمنة، وحمايته من كل صور الإهمال والقسوة والاستغلال.

3- اتفاقية حماية حقوق الطفل (1989):

التي جاءت لتضع حداً لمعاملة الأطفال على مستوى العالم. وقد تضمنت كثيراً من الحقوق للطفل سواء بصفته إنساناً أم طفلاً.

حماية الطفل من الاستغلال الاقتصادي في التشريعات الدولية

عملت منظمة العمل الدولية منذ تأسيسها عام 1919 على إصدار معايير (اتفاقيات وتوصيات)، تنظّم عمل الأطفال وتحميهم من جميع أنواع الاستغلال التي قد تواجههم في ظروف العمل. ومن هذه الاتفاقيات ما يتعلق بتحديد الحد الأدنى لسنّ عمالة الأطفال في المهن المختلفة، ومنها ما يتعلق بعمل الأطفال الليلي، إضافةً إلى الاتفاقيات التي تُلزم بإجراء فحوص طبية للأطفال.

أهم اتفاقيات منظمة العمل الدولية الخاصة بحماية الأطفال في العمل

أصدرت منظمة العمل الدولية مئاتٍ من المعايير الدولية لتنظيم العمل وحماية العمال، وكان من بينها العديد من المعايير التي تحمي الأطفال في العمل، ويمكن تقسيمها إلى الفئات التالية:

أولاً: اتفاقيات متعلقة بتحديد الحد الأدنى لسنّ العمل؛

ثانياً: اتفاقيات متعلقة بالفحص الطبي للأطفال قبل وأثناء وبعد العمل؛

ثالثاً: اتفاقيات متعلقة بالعمل الليلي؛

رابعاً: اتفاقيات متعلقة بحظر أسوأ أشكال عمل الأطفال.

أولاً: اتفاقيات مُنظمة العمل الدوليّة المتعلقة بالحد الأدنى لسنّ العمل

الاتفاقية	اسمها	سنة	أهم أحكامها
رقم (٥)	الحد الأدنى للسن (الصناعة)	1919	حددت السنّ الدنّيا للعمل في مجال الصناعة بسنّ الرابعة عشرة، ثم تم رفعها لسن الخامسة عشرة بموجب الاتفاقية (رقم 59) عام 1937. وبشرط ألا تكون هذه الأعمال خطيرةً بطبيعتها على حياة أو صحة أو أخلاق الأطفال.
رقم (7)	الحد الأدنى للسن (العمل البحري)	1920	حددت الحد الأدنى للسن التي يجوز تشغيل الأطفال في العمل البحري بسن الرابعة عشرة، وعُدلت هذه الاتفاقية بموجب الاتفاقية (رقم 58) لعام 1936 التي رفعت السن الخامسة عشرة.

رقم (10)	الحد الأدنى للسن (الزراعة)	١٩٢١	ثم صدرت الاتفاقية رقم (10) عام 1921 التي حددت السن الدنيا التي يجوز فيها تشغيل الأحداث في الزراعة بسن الرابعة عشرة. وألاً يكون ذلك على حساب انتظامهم في التعليم.
رقم (15)	الحد الأدنى للسن (الوقادون ومساعدو الوقادين)	١٩٢١	حددت الحد الأدنى للسن التي يجوز فيها تشغيل الأحداث وقادين أو مساعدي وقادين بسن الثامنة عشرة.
رقم (٣٣)	اتفاقية الحد الأدنى للسن (في الأعمال غير الصناعية)	1932	حددت الحد الأدنى للسن بسن الرابعة عشرة، وجرى تعديلها عام 1937 بموجب الاتفاقية (رقم 60) التي رفعتها لسن الخامسة عشرة. على ألا يعوق تعليمهم الابتدائي، وإن أجازت تشغيل الأطفال الذين تزيد أعمارهم على 13 سنة في غير أوقات حضور المدرسة. وبشرطين أساسيين: 1) أن تكون هذه الأعمال خفيفةً ولا تضر بصحتهم أو تعوق نموهم الطبيعي، أو تؤثر على مواظبتهم للمدرسة، أو تقلل من قدراتهم على الانتفاع بالدراسة التي يتلقونها. 2) ألا تتجاوز هذه الأعمال ساعتين يومياً بالنسبة إلى الأطفال الذين تقل سنهم عن أربع عشرة سنة. وألاً تتجاوز ساعات عملهم في اليوم الواحد في المدرسة والأعمال الخفيفة معاً سبع ساعات. ومنعت عمل الأطفال أيام الأعياد الرسمية، وأثناء الليل.
رقم (112)	اتفاقية الحد الأدنى للسن (صيادو الأسماك)	1959	حددت الحد الأدنى للسن بالخامسة عشرة على سطح سفن الصيد.

رقم) (123	اتفاقية الحد الأدنى للسن (العمل تحت سطح الأرض)	1965	حددت الاتفاقية الحد الأدنى للسّن للعمل تحت سطح الأرض بسِنِّ السادسة عشرة.
رقم) (138	اتفاقية الحد الأدنى للسنِّ	1973	وهي ترمي إلى القضاء الكامل على عمل الأطفال، حيث جعلت الحد الأدنى لسن العمل هو سن إتمام التعليم الإلزامي، والذي لا يجوز أن يقلَّ عن الخامسة عشرة، كما منعت تشغيل الأطفال حتى سن الثامنة عشرة في الأعمال التي يُحتمل أن تعرّض للخطر صحة أو سلامة أو أخلاق الأحداث؛ بسبب طبيعتها أو الظروف التي تُؤدَّى فيها. وأُجبت على الدول المصادقة عليها أن تتعهدَّ باتِّباع سياسة وطنية ترمي إلى القضاء بفاعلية على عمل الأطفال.

ثانياً: اتفاقيات منظمة العمل الدولية المتعلقة بالفحص الطبي

الاتفاقية	اسمها	سنة	أهم أحكامها
رقم) (16	الفحص الطبي للأحداث (العمل البحري)	1921	ألزمت بالفحص الطبي الإلزامي للأطفال الذين يشتغلون على ظهر السفن، والذين تقلُّ أعمارهم عن ثمانين عشرة سنة عند كل تشغيل، وأن يتم تجديد هذا الفحص كل سنة بصفة دورية.
رقم) (77	الفحص الطبي للأحداث (الصناعة)	1946	حظرت إلحاق الأطفال (أقل من 18 سنة) بأي عمل دون التأكد من قدرتهم على القيام بالعمل المطلوب، ولياقتهم للعمل الذي سيستخدمون لأدائه من خلال إجراء فحص طبي دقيق.

حددت الحد الأدنى للسفن بالخامسة عشرة على سطح سفن الصيد.	1959	اتفاقية الحد الأدنى للسفن (صيادو الأسماك)	(رقم 78)
---	------	---	----------

ثالثاً: اتفاقيات منظمة العمل الدولية المتعلقة بالعمل الليلي

أهم أحكامها	سنة	اسمها	الاتفاقية
حظرت العمل الليلي للأحداث دون سن الثامنة عشرة في الأعمال الصناعية؛ وجرى تعديل هذه الاتفاقية بموجب الاتفاقية (رقم ٩٠) عام ١٩٤٨، إلا أن التعديل لم يَطلِّ السنَّ المحددة، بل شمل بعض التعريفات المتعلقة بالمنشآت الصناعية وغيرها من أماكن عمل الأطفال. حددت فترة الليل بـ ١٢ ساعة متعاقبة على الأقل. ضمنها الفترة من العاشرة مساءً حتى السادسة صباحاً.	1919	عمل الأطفال ليلاً (في الصناعة)	(رقم 6)
حظرت العمل الليلي للأطفال دون الرابعة عشرة في المهن غير الصناعية.	1946	عمل الأطفال ليلاً (في المهن غير الصناعية)	(رقم 79)

رابعاً: اتفاقيات منظمة العمل الدولية المتعلقة بحظر أسوأ أشكال عمل الأطفال

الاتفاقية	اسمها	سنة	أهم أحكامها
رقم (182)	أسوأ أشكال عمل الأطفال	1999	<p>جاءت هذه الاتفاقية مُكمِّلةً للاتفاقية (رقم 138) بهدف الحث على القضاء على أسوأ أشكال عمل الأطفال؛ تمهيداً للقضاء التام والكُلِّي على جميع أشكال عمل الأطفال. وأكَّدت أهمية التعليم الأساسي المجاني وإعادة تأهيل الأطفال العاملين ودمجهم اجتماعياً، مع العناية بحاجات أسرهم، وضرورة تعزيز النمو الاقتصادي للدول كوسيلة للقضاء على عمل الأطفال، وحددت عدداً من الأعمال عدَّتْها أسوأ الأعمال التي قد يؤديها الطفل، وهي:</p> <p>الرِّقُّ بجميع أشكاله وأنواعه، والعمل القسري، واستخدام الأطفال في الصراعات المسلَّحة، واستخدامهم أو عرضهم لأغراض الدعارة أو لإنتاج أعمال إباحية، واستخدامهم أو عرضهم لمزاولة أنشطة غير مشروعة وخصوصاً في إنتاج المخدرات والاتِّجار بها، إضافةً إلى الأعمال التي تؤدي - بطبيعتها أو بفعل الظروف التي تُزاول فيها - إلى الإضرار بصحة الأطفال أو سلامتهم أو سلوكهم الأخلاقي.</p> <p>كما أوجبت الاتفاقية على الدول المصادقة ضرورة وضع قائمة بهذه الأعمال ومراجعتها على نحو دوري. وأن تضع الدولة بالتشاور مع الجهات المختصة آليات خاصة بمراقبة تطبيق أحكامها وتصميم وتنفيذ برامج عمل ترمي إلى القضاء على هذه الأعمال، والنص في قوانينها على عقوبات جزائية بحق المخالفين.</p> <p>واتخاذ تدابير من أجل:</p>

<p>1) الحيلولة دون انخراط أطفال في أسوأ أشكال عمل الأطفال؛</p> <p>2) توفير المساعدة المباشرة الضرورية والملائمة لانتشال الأطفال من أسوأ أشكال عمل الأطفال وإعادة تأهيلهم ودمجهم اجتماعيًا؛</p> <p>3) ضمان حصول جميع الأطفال المنتسبين على التعليم الأساسي المجاني، وعلى التدريب المهني؛</p> <p>4) تحديد الأطفال المعرضين للمخاطر وإقامة صلات مباشرة معهم؛</p> <p>5) أخذ الوضع الخاص للفتيات بعين الاعتبار.</p>			
--	--	--	--

التغيرات المناخية وعمل الأطفال

ما تغير المناخ؟

يُقصد بتغير المناخ التحوُّلات طويلة الأجل في درجات الحرارة وأنماط الطقس. قد تكون هذه التحوُّلات طبيعية فتحدث، على سبيل المثال، من خلال التغيرات في الدورة الشمسية. ولكن، منذ القرن التاسع عشر، أصبحت الأنشطة البشرية المُسبِّب الرئيس لتغير المناخ، ويرجع ذلك أساساً إلى حرق الوقود الأحفوري، مثل الفحم والنَّفط والغاز.

ينتج عن حرق الوقود الأحفوري انبعاثات غازات الدفيئة التي تعمل مثل غطاء يلتف حول الكرة الأرضية؛ مما يؤدي إلى حبس حرارة الشمس ورفع درجات الحرارة.

تشمل أمثلة انبعاثات غازات الدفيئة التي تسبب تغير المناخ: ثاني أكسيد الكربون والميثان. تنتج هذه الغازات، على سبيل المثال، عن استخدام البنزين لقيادة السيارات أو الفحم لتدفئة المباني. يمكن أيضاً أن يؤدي تطهير الأراضي من الأعشاب والشجيرات وقطع الغابات إلى إطلاق ثاني أكسيد الكربون. وتعدُّ مدافن القمامة مصدراً رئيساً لانبعاثات غاز الميثان. ويُعدُّ إنتاج واستهلاك الطاقة والصناعة والنقل والمباني والزراعة واستخدام الأراضي، من بين مصادر الانبعاث الرئيسية.

الاستعداد للتغيرات المناخية الكبرى

بالنظر إلى حجم التغيرات المناخية، وحقيقة أنها ستؤثر على العديد من مجالات الحياة، يجب

أن يتم التكيف معها أيضاً على نطاق أوسع. يتعين على اقتصاداتنا ومجتمعاتنا ككل أن تكتسب قدرة أكبر على الصمود في مواجهة التأثيرات المناخية، وسيطلب هذا جهوداً واسعة النطاق، وسيتعيّن على الحكومات تنسيق العديد منها. وقد نحتاج إلى بناء الطرق والجسور بحيث تكون مكيّفة لتحمل درجات الحرارة المرتفعة والعواصف الأكثر قوة. وقد تُضطر بعض المدن الواقعة على السواحل إلى إنشاء أنظمة لمنع الفيضانات في الشوارع وفي منشآت النقل تحت الأرض. وقد تتطلب المناطق الجبلية إيجاد سبل للحدّ من الانهيارات الأرضية والفيضانات الناجمة عن ذوبان الأنهار الجليدية.

وقد تحتاج بعض المجتمعات إلى الانتقال إلى مواقع جديدة لأنه سيكون من الصعب عليها جداً التكيف مع هذه الظواهر. هذا ما يحدث بالفعل في الوقت الحاضر في بعض البلدان الجزرية التي تعاني ارتفاع مستوى سطح البحر.

الإنفاق الآن سينقذ الأرواح ويقلل التكاليف في المستقبل

قد تبدو كل هذه الإجراءات باهظة الثمن، وهي كذلك - لكن الشيء المهم الذي يجب أخذه في الحسبان هو أننا نعرف الكثير بالفعل عن كيفية التكيف، ونعلم المزيد كل يوم. علاوة على ذلك، فإن الاستثمار في التكيف يبدو أقرب إلى المنطق من مجرد الانتظار ثم محاولة الاستدراك لاحقاً، كما تعلمت العديد من البلدان خلال جائحة كوفيد-19. إن حماية الناس الآن ستنتقذ المزيد من الأرواح وتقلل من المخاطر في المستقبل. وذلك منطقي من الناحية المالية أيضاً، حيث إنه كلما انتظرنا أكثر، زادت التكاليف.

إعطاء الأولوية للفئات الأكثر ضعفاً

مع أن الدعوة إلى التكيف واضحة، فإن بعض المجتمعات الأكثر عُرضة لتغير المناخ هي الأقل قدرة على التكيف لأنها فقيرة و/ أو تنتمي إلى البلدان النامية، التي تكافح بالفعل من أجل إيجاد موارد كافية لتلبية الأساسيات، مثل الرعاية الصحية والتعليم..

يجب على الدول الأكثر ثراءً الوفاء بالالتزام الذي تم التعهّد به في إطار اتفاقية باريس لتوفير 100 مليار دولار سنوياً من التمويل الدولي المتعلق بالمناخ. فعليها أن تتأكد من أن نصف هذه المبالغ على الأقل يُنفق على التكيف..

شاهد رائدة البيئة الهندية سونيتا نارين، التي تُذكرنا بأننا نعرف كيف نجعل مجتمعاتنا أكثر أماناً، وعلينا أن نعمل لتحقيق العدالة وخاصة أعمال تدابير خاصة لحماية الفئات الأكثر ضعفاً، وعلى قمة هذه الفئات هم الأطفال العاملون في ظل مخاطر التغييرات المناخية.

ما الذي اتفقت الدول على القيام به؟

التزمت جميع الأطراف في اتفاقية باريس بتعزيز الاستجابة العالمية لتغير المناخ، من خلال زيادة قدرة الجميع على التكيف وبناء القدرة على الصمود والحد من التأثير.

في مؤتمر الأطراف COP26 اعتمدت الدول ميثاق غلاسكو للمناخ، الذي يدعو إلى مضاعفة التمويل لدعم الدول النامية في التكيف مع آثار تغير المناخ وبناء المرونة. كما أنشأت غلاسكو كذلك برنامج عمل لتحديد هدف عالمي بشأن التكيف، والذي سيحدد الاحتياجات الجماعية والحلول لأزمة المناخ التي تؤثر بالفعل على العديد من الدول.

منذ عام 2011، قامت عدة بلدان بإعداد خطط تكيف وطنية بموجب الاتفاقية الإطارية بشأن تغير المناخ، وقد تابعنا مؤخرًا قمة المناخ التي تم انعقادها في جمهورية مصر العربية تحت رعاية رئاسة الجمهورية في الفترة من 6 نوفمبر وحتى 18 نوفمبر 2022 بمشاركة 167 دولة؛ لمناقشة التغيرات المناخية وما تقوم به هذه الدول في مواجهة هذه الظاهرة التي تهدد الكثير من المجتمعات. ويُعدُّ المؤتمر جزءًا من الاتفاقية الإطارية للأمم المتحدة بشأن التغيرات المناخية، وقد وقَّعت عليها العديد من الدول لتوحيد الجهود لمواجهة التغيرات المناخية والحد من تأثير. ويُعدُّ هذا المؤتمر هو السابع والعشرين منذ دخول الاتفاقية حيز التنفيذ في مارس 1994 لرصد النشاط البشري على المناخ، وهو ما يُدلل على أهمية قضية التغيرات المناخية في قمة العام الماضي التي عقدت في غلاسكو بالمملكة المتحدة، توصل المشاركون لاتفاق يهدف لتقليل حجم المخاطر البيئية التي يتعرض لها كوكب الأرض.

الاتفاقية هي الأولى من نوعها التي تنص صراحةً على تقليل استخدام الفحم الذي يتسبب في زيادة الانبعاثات الغازية في الغلاف الجوي.

وتنص الاتفاقية أيضًا على العمل على تقليل معدل الانبعاثات الغازية، وتوفير دعم مالي للدول النامية للتكيف مع تبعات التغير المناخي الذي يشهده كوكب الأرض.

وتعهَّدت الدول المشاركة بالعودة إلى الاجتماع هذا العام؛ للاتفاق على زيادة نسبة تخفيض معدلات انبعاثات غازات الدفيئة وثاني أكسيد الكربون، بما يتماشى مع تقليل معدل زيادة درجة حرارة الكوكب إلى أقل من 1,5 درجة مئوية.

وقتها، وصف الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش الاتفاق بأنه خطوة مهمة ولكنها ليست كافية. وقال: "يجب علينا تسريع العمل المناخي بهدف الإبقاء على الهدف المتمثل في الحد من ارتفاع درجة الحرارة العالمية إلى حدود 1,5 درجة مئوية".

وأضاف غوتيريش أن الوقت قد حان للانتقال إلى "حالة الطوارئ"، وإنهاء دعم الوقود الأحفوري، والتخلص التدريجي من الفحم، وتحديد سعر الكربون، وحماية المجتمعات الضعيفة، والوفاء بالتزام تمويل المناخ بقيمة 100 مليار دولار. لم نحقق هذه الأهداف في هذا المؤتمر. ولكن لدينا بعض اللبّات الأساسية اللازمة للتقدم".

تأثير التغير المناخي على السياقات الاجتماعية

يمكن القول إنه قد فات الأوان للعمل المجتمعي للتخفيف التام من تأثيرات المناخ؛ نظرًا لأنه لا يمكن تجنبها، الأمر الذي وجّه العلماء والباحثين نحو تحويل انتباههم إلى فهم آثارها وإمكانات التكيف معها. وإذا اتجهنا للتكيف السلوكي فقد يشمل التخطيط المسبّق لأحداث مثل الفيضانات أو حرائق الغابات، على سبيل المثال، عن طريق حماية منزل المرء من الفيضانات أو الاستعداد للإخلاء. يمكن أن يشمل أيضًا زراعة الأشجار لتوفير الظل في الصيف الحار، وتعديل الممارسات الزراعية، وحتى تغيير الطرق التي يتفاعل بها الشخص مع العالم الطبيعي.

ويمكن إجمال الآثار الاجتماعية للتغير المناخي في عدد من الجوانب كالآتي:

العدالة الاجتماعية:

حيث لا يزال هناك القليل نسبيًا من الأبحاث حول التأثيرات المحتملة لتغير المناخ على السلوك الاجتماعي والرفاهية النفسية والاجتماعية، ولكن هناك كل الأسباب لتوقع أن هذه التأثيرات ستكون كبيرة؛ لارتباط درجة الحرارة بانخفاض في المزاج الإيجابي، وزيادة في العداء الشخصي والعدوانية، وانخفاض في الإيثار. وقد تكون هناك تأثيرات أخرى على التفاعل بين الأشخاص أيضًا، مثل عندما ترتبط التقاليد والممارسات الثقافية والتفاعلات الاجتماعية بالبيئة الطبيعية.

وسيؤدي استمرار الاحتباس الحراري إلى زيادة تواتر وانتشار وشدة الظواهر المتطرفة؛ مما يعرض الأنظمة البيئية والبشرية للخطر. ويستلزم تغير المناخ أيضًا تغييرات أبداً وأقل دراماتيكية ولكنها شديدة التأثير في الظروف المناخية الأساسية، مثل الحرارة وهطول الأمطار.

الآثار النفسية للتغير المناخي

يهدد تغير المناخ الصحة العقلية من خلال زيادة التعرّض للاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن الطقس المتطرف والأحداث المناخية واسعة النطاق؛ وكذلك من خلال القلق المرتبط بالاعتراف بالتهديد الوجودي الذي تشكله أزمة المناخ. وبالنظر إلى المستويات المتزايدة للوعي بتغير المناخ في جميع أنحاء العالم، فإن المشاعر السلبية مثل التوتر والقلق بشأن

المخاطر المتعلقة بالمناخ هي قناة منتشرة محتملة للتأثيرات الضارة لتغير المناخ على الصحة العقلية.

ويوجد بالفعل قدرٌ كبيرٌ من الأدلة العلمية على أن تغير المناخ يؤثر على الصحة النفسية بشكلٍ مباشرٍ من خلال الكوارث الطبيعية والتغيرات البيئية التدريجية. فعلى سبيل المثال، تُظهر المجتمعات المتأثرة بالكوارث البيئية مثل الأعاصير والفيضانات والجفاف وحرائق الغابات، معدلاتٍ متزايدةً لاضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) والقلق والاكتئاب وتعاطي المخدرات. كما يمثل تغير المناخ تحدياً للصحة العقلية حيث يترافق التعرض للأحداث البيئية الشديدة التي تفاقمت بسبب تغير المناخ مع القلق بشأن تأثيرات تغير المناخ في المستقبل؛ لتوليد مستويات من الضيق النفسي الذي يُضعف بشكل كبير الجوانب الرئيسية للحياة اليومية.

وتتوقع الجمعية الأمريكية للطب النفسي (APA) أن تأثيرات الصحة العقلية لتغير المناخ ستتراوح من الإجهاد الخفيف إلى زيادة في التشخيصات النفسية الأكثر خطورة؛ حيث إن بعض الأشخاص قد يلجئون إلى سلوكيات عالية الخطورة للتعامل مع الصدمات النفسية بسبب تغير المناخ. وارتباطاً بذلك فقد اكتشف الباحثون أن الكوارث الطبيعية، مثل - إعصار كاترينا -، لها آثار سلبية على الصحة العقلية للأشخاص المعنيين، بما في ذلك اضطراب ما بعد الصدمة ومستويات عالية من القلق؛ حيث تؤدي الفيضانات وموجات الحرارة وحرائق الغابات إلى حدوث هذه المشكلات.

وعلى وجه التحديد فإن درجات الحرارة الشديدة، ترتبط بمعدلات أعلى من العنف واضطرابات النوم والانفعالات، كما يتعطل مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها: "CDC" فإن لارتفاع درجات الحرارة تأثيراً سلبياً يتمثل في الاكتئاب وزيادة معدلات الانتحار. كما يمكن أن تغير درجات الحرارة الشديدة أيضاً طريقة عمل بعض الأدوية في الجسم، مثل علاجات الفصام. بالإضافة إلى ذلك، قد تؤثر على قدرة الأشخاص على تنظيم درجة حرارة أجسامهم بشكل صحيح.

في حين أن التعرض للمسموم في البيئة والآثار المرتبطة بالإجهاد لتغير المناخ قد يكون له تأثير سلبي على صحة الجهاز العصبي.

الظروف المناخية القاسية

يستدعي العمل الزراعي في كثيرٍ من الأحيان أن يقوم العاملون بنشاطات زراعية في ظروف مناخية أو بيئية قاسية؛ حيث تصل درجات الحرارة إلى أقصى مستويات الدنو والارتفاع

الحراري، وتشكل البيئات الحارة والرطبة كما البيئات الباردة والممطرة خطراً على الأطفال العاملين في تلك الظروف. يُعدُّ هذا النوع من الأخطار أخطاراً مادية وهي تسبب آثاراً ضارة مباشرة وغير مباشرة، كما تكون جميع الآثار الضارة الناتجة عنها ذات طبيعة جسدية.

الآثار الضارة الجسدية الناجمة عن التعرض للحرارة المفرطة والشمس

الآثار المباشرة تشمل:

يشكّل التعرض المفرط لأشعة الشمس أحد الأسباب المؤدية للإجهاد الحراري ولكنه يؤدي أيضاً إلى حروق ذات درجات مختلفة في الشدة، تتراوح بين الاحمرار الخفيف في الجلد إلى حروق بالغة أو الوفاة من ضربة شمس.

إن الحرارة المفرطة في بيئة العمل (حتى في غياب التعرض لأشعة الشمس) تؤدي إلى توسُّع في الأوعية الدموية السطحية، وإذا دام ذلك لفترة مطوّلة فإنه يؤدي إلى الإجهاد الحراري.

عوارض الإجهاد الحراري تشمل:

- التعرُّق الغزير؛
- الجفاف؛
- ورم في الرِّجْلين؛
- تشنُّجات في العضلات، الشعور بالغثيان والضعف والإرهاق (على أثر فقدان الملح من الجسم)؛
- انخفاض في ضغط الدم وارتفاع بمعدل ضربات القلب والإغماء؛
- سرعة الغضب والشعور بالصداع والدوخة؛
- البول يصبح أدكن اللون ومركّزاً إلى حدٍّ كبير؛
- زيادة في نسبة التعرُّض لخطر المبيدات وذلك بسبب التعرُّق الذي يزيد من قدرة الجلد على امتصاص السموم الكيميائية.

الآثار غير المباشرة

يُسبب التعرُّض لأشعة الشمس على المدى الطويل أضراراً غير مباشرة، تشمل التالي:

- جفاف في الجلد؛
- الشيخوخة المبكرة؛
- إصابات تحدث تغيرات في سماكة الجلد.

الآثار الضارة الجسدية الناتجة عن التعرض للبرد المفرد

من الممكن أن تشكل درجات الحرارة المتدنية أو الطقس الشديد البرودة مصدر خطورة، كما هو الحال بالنسبة إلى الحرارة الشديدة الارتفاع؛ وخاصةً إذا لم يتوافر الملابس المناسب للوقاية من برودة الطقس.

الآثار المباشرة:

معظمها هي نتيجة لانقباض حاد في الأوعية الدموية الطرفية مما يسبب انخفاضاً في تدفق الدم إلى الجلد والأطراف، وتشمل هذه الآثار:

- قضمه الصقيع (frostbite) إصابة تحدث تغيرات في الأنسجة الجلدية وتحت الجلد عند التعرض للبرد الشديد في الأجزاء الطرفية من الجسم، كالأنف وأصابع اليدين، والقدمين وقد تؤدي إلى الغنغرينا وفقدان الأنسجة كلياً.
 - تورم الأصابع (chilblains) هي عبارة عن تورمات في الجلد تظهر عادةً على اليد أو القدم، وهي ناجمة عن ضعف الدورة الدموية في الجلد لدى التعرض للبرد.
- الآثار غير المباشرة تشمل:

- التهاب الجهاز التنفسي (الالتهاب الرئوي الحاد)؛
- تدنُّ في مستوى درجة حرارة الجسم؛
- تعب مزمن؛
- اكتئاب؛
- الموت (من البرد).

الآثار الضارة الجسدية الناجمة عن التعرض للرطوبة المفردة

يشكل ارتفاع نسبة الرطوبة في بيئة العمل خطراً مادياً له آثار جسدية مباشرة وغير مباشرة.

الآثار المباشرة تشمل:

- زيادة مخاطر الإصابة بالتهابات فطرية؛
- ضعف في القدرة على تخفيض درجة حرارة الجسم من خلال آلية التعرُّق (قد يؤدي ذلك إلى الإجهاد الحراري)؛
- يصبح سطح الجلد رطباً وقابلاً للانزلاق فيزداد التعرض للإصابات الناتجة عن انزلاق الأدوات اليدوية من الكف.

الآثار غير المباشرة تشمل:

- زيادة في قدرة الجلد على امتصاص النيكوتين أو المبيدات وغيرها من المواد السامة فتزداد نسبة الضرر منها؛
- سرعة الغضب وصعوبة في التنفس مما يزيد القابلية لوقوع حوادث.

الآثار الضارة الناجمة عن الضغط النفسي

الضغط النفسي هو عبارة عن حالة من التنبُّه تأتي كردَّة فعل للضغوطات الموجودة في البيئة، ويظهر أثرها فيزيولوجياً بارتفاع في نسبة هرمون الكورتيزول في الجسم كما يظهر أثرها في تصرفات الشخص المعرض. إن التعامل مع مستوى معتدل من الضغوطات أمر عادي ويحدث يومياً عند معظم الناس، ولكن التعرض لمستويات عالية من الضغط النفسي وبشكل متكرر هو أمر غير صحي وخصوصاً لدى الأطفال وله عدة آثار ضارة مباشرة وغير مباشرة، ومنها الجسدية والنفسية والاجتماعية.

الآثار المباشرة تشمل:

- التعب المزمن؛
- الاكتئاب؛
- الأرق.

الآثار غير المباشرة تشمل:

- الإفراط في تناول الكحول والمخدرات والتدخين؛
- أمراض القلب والشرايين وضغط الدم المرتفع؛
- القرحة ومرض التهاب الأمعاء.

عرض كتاب ورسائل جامعية

الإثنوجرافيا النقدية في علم اجتماع المدرسة

عرض: علي حامد

الإثنوجرافيا النقدية في علم اجتماع المدرسة

عرض: علي حامد *

تَرَسَّخت في رؤوسنا أفكار ومعانٍ عن أشياء وأدوار لا نسأل عنها، بل نقبلها ونُسَلِّم بها تسليماً؛ مثل: معنى الامتحانات.. معنى التفوق.. معنى التقويم.. معنى الذكاء.. معنى التحصيل.. معنى المُعلِّم الكفء.. معنى التلميذ الجيد.. معنى أدوار الإدارة والمدرسين والتلاميذ وأولياء الأمور. فقد تكوّنت الوقائع التربوية داخل مدارسنا في إطار حضاري يضرب بجذوره في الماضي الصحيح؛ حتى إنَّ أعضاء العملية التربوية داخل المدرسة وخارجها سلّموا بما يجري وتعاملوا معه كأشياء مُعطاة لا تُناقش. وشاعت بيننا أحكام كثيرة عن ذلك الذي يُوجد ويجري داخل مدارسنا، وهي أحكام تصدر مُعظمها عن انطباعات شخصية أو تعميمات هائلة. أحكام لا تُوضِّح حقيقة أو طبيعة موضوعاتها، ومع ذلك تتحكم في أفعالنا وانفعالاتنا في مواقف الحياة اليومية.

وتلعب المُسلِّمات والأفكار التربوية الشائعة، والمفردات اللغوية الراسخة في عقولنا، دوراً أساسياً في تحديد فُرص التغيير والإصلاح التربوي، إن لم تكن عاملاً في القضاء عليها. وقد بيّنت لنا دراسات إمبريقية جادة وجود كثير من المشكلات في واقع حياتنا التربوية، من مثل: (الدروس الخصوصية.. التسبب البيروقراطي.. التطرف في الضبط الشكلي أو التفريط في محتواه.. الاغتراب واللامعيارية.. التركيز على التحصيل.. الازدواجيات في نُظْمنا التعليمية.. المركزية الشديدة.. نقص تكافؤ الفرص التعليمية... إلخ).

وما نحتاج إليه هو فهم طبيعة مشاكلنا التربوية، وفهم واقعنا وديناميات الخبرة الإنسانية المتفاعلة مع الواقع، وما به من مشكلات.

لذلك جاء هذا الكتاب الذي وضعه الأستاذ الدكتور "حسن البيلاوي" أستاذ علم اجتماع التربية في جامعة حلوان، وأمين عام المجلس العربي للطفولة والتنمية، ليناقدش وي طرح الروافد

* كاتب وناقد.

النظرية التي تقوم عليها الإثنوجرافيا النقدية ومعرفة خصائصها الأساسية لتبيان مدى حاجتنا الشديدة إلى مثل هذا المدخل الإثنوجرافي النقدي لدراسة سوسولوجيا المدرسة المصرية، وفهمها. ويبدأ الكتاب الذي يقع في 111 صفحة من القطع الكبير (17 - 24 سم) وأصدره حديثاً (فبراير 2013) المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، بمقدمة المؤلف التي يُبيّن فيها أن مصطلح "علم اجتماع المدرسة" يُشير إلى تلك الاتجاهات التي نشأت خلال عقد 1970م، وأحدثت تحولات حديثة في الميدان الكبير لعلم اجتماع التربية؛ إذ انتقل معظم علماء اجتماع التربية إلى اهتمام جديد يُركّز على إجراء دراسات مجهرية بمناهج كيفية وإثنوجرافية لفهم وقائع الحياة اليومية داخل المدرسة، وما بداخلها من بنى ثقافية ومعرفية، وتفاعلات يومية تُشكّل ثقافة المدرسة، وطرائق البيداجوجيا وتوزيع المعرفة التي تُؤثّر في النهاية في بناء وتشكيل شخصية النشء والطلاب وإنتاج المساواة أو عدم إنتاج المساواة بينهم.

ولقد انطلقت تلك الاتجاهات الجديدة من الإيمان بقدرة الذات الإنسانية على الفهم والإدراك من خلال تفاعلها مع البيئة المحيطة، وقدرة الفرد على الفعل، وقابلية الواقع الاجتماعي للتغيير، وإمكانية خلق واقع أفضل استناداً إلى استخدام المناهج الكيفية والإثنوجرافية الملائمة لمنطلقاتهم الإبستمولوجية.

وشكّلت تلك الاتجاهات سياقات مترابطة، بما يُمكننا من أن نطلق عليها بوضوح "علم اجتماع المدرسة"، ومن أهم هذه الاتجاهات كانت "الإثنوجرافيا النقدية" التي كانت وليده التفاعلات الفكرية النقدية، وما نتج عنها من حراك فكري ارتبط بالتيار النقدي داخل هذه الاتجاهات، وهكذا ظهرت مع مطلع 1970م، وصارت جزءاً لا يتجزأ من حركة التيارات الفكرية النقدية في علم اجتماع التربية، لتؤدي إلى ما نُطلق عليه الآن "علم اجتماع المدرسة" الذي يُشكّل مساراً جديداً في ميدان علم اجتماع التربية، تلتحم فيه النظرية والممارسة على أرض الواقع، داخل المدرسة. وتاريخ الفكر التربوي يوضّح لنا أن نُظّم التعليم الحديثة نشأت كجزء لا يتجزأ من حركة التنوير؛ ففلاسفة التنوير كانوا يؤمنون بأن التعليم العام يجب أن يُمكن الفرد من إعمال عقله وتنمية مهاراته الفكرية والعملية، في البحث واكتشاف المجهول، وأن تكون رسالة المدرسة تعليم جميع التلاميذ في مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية والفنون والآداب؛ ويتضمن الكتاب من هنا ستة فصول، تبدأ بتمهيد يستعرض مصطلح إثنوجرافيا الذي يُشير إلى نوع خاص من البحوث الكيفية التي تقوم على الوصف الكثيف لثقافة فرد أو جماعة معينة أو لما تشتمل

عليه ثقافتهم من مدركات ومعانٍ ومنظورات،
ولكيفية تعاملهم في حياتهم اليومية وداخل
مؤسساتهم الطبيعية.

ويُبين المؤلف أن هناك إثنوجرافيا
تقليدية وإثنوجرافيا تأويلية أو رمزية، لينتهي
إلى إثنوجرافيا نقدية قادرة على الربط بين
الظواهر الكبيرة والظواهر الصغيرة، وقادرة
على مساعدتنا في دراسة وفهم سوسيلوجيا
المدرسة المصرية.

وفي الفصل الثاني يتحدث المؤلف عن
طبيعة المنهج البحثي للإثنوجرافيا النقدية،
والمنهج في العلوم الاجتماعية والتربوية ذو
طبيعة اجتماعية بالضرورة؛ فالبحث العلمي
ما هو إلا نشاط اجتماعي. وتتضح هذه

الطبيعة المنهجية في قضيتين مهمتين: أولاً: أن منهج البحث – في أي شكل من أشكاله – ذو
أبعاد فلسفية وأيديولوجية. ينتج عنها بالضرورة رؤى فكرية تُوجّه الباحث إلى فهم الممارسات
التربوية داخل حجرة الدراسة والمدرسة. وهذه الرؤية لها أهمية حيوية في النشاط البحثي؛ فهي
التي تُحدّد مجال وطبيعة العلاقات التي يشملها البحث، كما تُحدّد الطريقة التي ينظر الباحث من
خلالها إلى مهمة التغيير في المدرسة، ووجهة التغيير وكيفية حدوثه.

ثانياً: أن أي نشاط بحثي إنما يتم داخل جماعة علمية، يعمل من خلالها العالم أو الباحث،
ويستمد شرعية وجوده العلمي بنفسه من خلالها. ذلك أن الاتجاه العلمي لا يعيش ولا يُمارَس
بغير جماعة علمية تؤمن به. إن التفاعل بين مجموعة معينة من العلماء هو الذي يُنمّي ويدعم ما
يؤمنون به من اتجاه أو منظور علمي؛ أي مجموعة المعايير والأعراف والمسلّمات والأهداف واللغة
المشتركة.

وقد ترك الآباء الثلاثة لعلم الاجتماع العام – ماركس وفبير ودوركايم – بصماتهم القوية
والمؤثرة على علم اجتماع التربية. وبالرغم من اختلاف توجهاتهم الفكرية الثلاثة، وبالرغم من عدم



ارتباطها بالتربية كموضوع مباشر - باستثناء دوركايم - فإنها اشتركت في ثلاثة عناصر رئيسية أثرت على حركة البحث والتنظير التربوي:

أولاً: النظرة إلى التربية كمؤسسة اجتماعية كبيرة.

ثانياً: وضع التربية كمؤسسة اجتماعية بين مؤسسات المجتمع الكبير، ودراسة ما بينها وتلك المؤسسات من علاقات ومشكلات (مشكلات الاقتصاد السياسي - ماركس، ومشكلات البيروقراطية - فيبر، ومشكلات النظام السياسي - دوركايم).

ومعنى ذلك أن العلاقة بين المجتمع والتربية (في كل تلك التنظيرات) هي علاقة هيمنة في اتجاه واحد: إما هيمنة علاقات وقوى الإنتاج، أو هيمنة البيروقراطية، أو هيمنة نظام الدولة السياسي. وهو ما أخضع التربية والعمل التربوي داخل المدرسة لبني قاهرة للإنسان؛ فدُمّر كل هامش للمبادرة والابتكار لما يمكن أن يقوم بها الناس في حياتهم اليومية (كما يشير إلى ذلك عبد السميع سيد أحمد في بحثه "جدوى نظرية القهر في اجتماع التربية").

ومدخل الدراسة هنا، هو الإثنوجرافيا النقدية، التي تهتم بدراسة الظاهرة دراسة كيفية حقلية في إطارها الزماني والمكاني.

ويتبع ذلك الفصل الثالث الذي يتناول بالتحليل هذا المدخل، والذي يعرض فيه "البيلوي" بإيجاز للروافد النظرية والينابيع التي تقوم عليها محاولته في تأسيس الإثنوجرافيا النقدية - كمدخل كفي - لدراسة المدرسة. أما الينابيع والروافد التي نهتم بها؛ فهي تتمثل في أربعة اتجاهات نظرية، هي:

(1) التفاعلية الرمزية التي تُركّز على الطبيعة الاجتماعية والتفاعلية للحقيقة الواقعية. ويتفق

أعلام تلك المدرسة حول نشأة الرموز وانبثاق الذات خلال التفاعل الاجتماعي، والاهتمام بدراسة الحالة سواء أكانت فرداً أم جماعة اجتماعية، أم مجاورة سكنية، أم مجتمعاً محلياً. كم اتفقوا حول الاهتمام بدراسة التفاعل في السياق الاجتماعي، والاهتمام كذلك بمبدأ الكلية، وهو مبدأ أساسي في المنهج الكيفي عامةً، يرى أن السلوك يمكن دراسته دراسة مفيدة في ضوء الموقف الذي ينشأ عنه ومن خلاله هذا السلوك.

(2) الفينومينولوجي (الظاهراتية)، وهو اتجاه فكري يهتم بفهم الأشياء كما تبدو لنا. وهو

يُوجّه عناية الباحثين إلى فهم معاني الأحداث والتفاعلات الاجتماعية للناس العاديين في مؤسسات مُحدّدة. وعلم الاجتماع الفينومينولوجي في التربية تأثر بأعمال هوسرل وألفريد شوتز.

والمؤلف يسرد أفكار كلا المفكرين الأوروبيين، وغيرهما مثل: ديل، ودوجلاس، وإيزلاندا من علماء اجتماع التربية الفينومينولوجيين المتأثرين بالفكر الماركسي. والذين انتبهوا إلى مسألة توزيع القوة داخل حجرة الدراسة وتأثيرها في عملية تحديد أو تعريف الموقف. (3) الإثنوميثودولوجي وهو اتجاه لا يُشير إلى نظرية معينة، وإنما يهتم بالتحليل السوسولوجي للحياة اليومية، ودراسة أساليب الأعضاء في جماعة اجتماعية معينة. وهذه الأساليب هي ممارسة حوارية؛ أي أشكال من التحدث وعناصر محادثة. ومن أهم أعلام ذلك الاتجاه: جارفينكل، وسيكوريل، وزيرمان، وأوكيف. وفي علم الاجتماع التربوي نجد "ميهان" و"هيمن" كذلك.

(4) التأويلية النقدية التي هي أداة الإنسان لتحقيق خلاصه وتحرير نفسه من كل أشكال الهيمنة والاستغلال.

فالتأويل نشاط إنساني شامل لكل القوى العقلية، وهو أداة الإنسان للوصول إلى الفهم والنقد - كذلك - نشاط إنساني واسع.

وما نفهمه هو بالضرورة خبرة إنسانية، والخبرة الإنسانية تاريخية بالضرورة؛ فإذا ما سألنا: ما الإنسان؟ فإن التاريخ وحده القادر على الإجابة. إن تعمير الحياة المائل وراءنا تاريخياً، بكل ما فيه من سعي ونضال من أجل العدالة والحرية، هو ما يجيب عن ماهيتنا نحن. وهكذا.. إلى أن نصل إلى الفصل الرابع "خصائص الإثنوجرافيا النقدية"، وعلى ضوء ما سبق طرحه في الفصل السابق، يستخلص المؤلف سبع خواص أساسية ينبغي أن تتوافر في أي جهد وعمل إثنوجرافي نقدي؛ وهي اعتبارها دراسة للخبرة الإنسانية من الداخل من خلال معايشة الحدث والانخراط فيه، واهتمامها بدراسة منظور المشاركين والوعي به، كما أنها نشاط بحثي يهتم بالتنظير، وهي بحث عن القواعد الحاكمة، وهي كذلك بحث لما بين الذاتية؛ أي التفاعل الرمزي بين المشاركين في الموقف. وتنتظر الإثنوجرافيا النقدية إلى الحقائق باعتبارها نتاجاً اجتماعياً، وأخيراً هي دراسة للوقائع الصغيرة والبنى الكبيرة. هذه الخصائص السبع كافية متى توافرت لتأسيس مثل هذا المدخل الإثنوجرافي النقدي.

وفي الفصل الخامس يعرض الدكتور البيلاوي لبعض نماذج بحثية بهدف توضيح هذه الخصائص كنشاط عملي في ممارسات بحثية مُحَدَّدة، هي خمس دراسات تساعدنا على رؤية وتجسيد بعض التوجهات النظرية المختلفة في البحوث الإثنوجرافية.

الأولى منها؛ نموذج لنمط الإثنوجرافيا التقليدية ، وهي دراسة "ديفيد هارجريفز"، وفيها استخدم الباحث الملاحظة المشاركة والمقابلات والاستبيانات (واستغرقت الدراسة مدة عامين)، وعالج فيها العلاقات الاجتماعية بين المدرّسين والتلاميذ داخل مدرسة ثانوية؛ فأمدنا بوصف للبنى الاجتماعية للمدرسة الثانوية في ضوء المفاهيم الوظيفية البنوية، لتقول لنا إنَّ التفاعل لا يتم في فراغ إنما يتم من خلال وبواسطة بنى قاهرة.

والدراسة الثانية قام بها "نيل كيدي - 1971" كنموذج للبحث الإثنوجرافي التأويلي، واعتمدت على تقنيات الملاحظة المشاركة والمقابلة العميقة، واستغرقت الدراسة مدة عام، داخل حجرة دراسة في مدرسة ثانوية، ودارت في إطار وحدة مناهج العلوم الاجتماعية داخل المدرسة. ثم الدراسة الثالثة "ويليز - 1977"، وهي نموذج لدراسة إثنوجرافية نقدية، وقد قام الباحث بدراسة اثني عشر تلميذاً، من أبناء الطبقة العاملة، من بين تلاميذ مدرسة ثانوية، في بلدة صناعية صغيرة بإنجلترا. وهدفت الدراسة إلى فهم "الثقافة المضادة" للمدرسة، التي يكشف "ويليز" بأنها عدوانية ومُعَارضة بشكل شخصي وعام لسلطة المدرسة.

أما الدراسة الرابعة للباحث "أودمان - 1985"؛ فسارت على المنهج نفسه الذي سارت عليه دراسة "ويليز"، وقام بها في إحدى المدارس الثانوية الخاصة بأولاد العجر في إستوكهولم، واعتمد على التفسير التأويلي للوقائع والأحداث.

أما الدراسة الخامسة والأخيرة التي عرضها مؤلف كتابنا هذا؛ فهي لـ "أندي هارجريفز - 1976"، وهي محاولة مهمة لربط التفاعل اليومي داخل حجرة الدراسة والمجتمع.

وقد استطاع من خلالها أن يمدنا بمُخطّط نظري يُصوّر العلاقة بين التحليلات السوسولوجية لعملية التفاعل اليومي في حجرة الدراسة، وتلك التحليلات التي تهتم بالبنى الثقافية والاجتماعية التاريخية في المجتمع الكبير، ولذلك فهي مفيدة في إثراء ما تقدّم من تحليل وخصائص للإثنوجرافيا النقدية التي نسعى لتأسيسها في الاتجاه نفسه.

وتصل دراسة الدكتور حسن البيلاوي إلى الفصل السادس والأخير من كتابه، والذي وضع له عنواناً هو "الإثنوجرافيا النقدية والمدرسة المصرية"، ليبيّن لنا مدى حاجتنا الشديدة إلى مثل هذا المدخل الإثنوجرافي النقدي لدراسة سوسولوجيا المدرسة المصرية، وفهم طبيعة مشاكلنا التربوية، وفهم واقعنا وديناميات الخبرة الإنسانية المتفاعلة مع الواقع، وما به من مشكلات، والتي يعرض المؤلف بعضاً منها في نهاية صفحات كتابه؛ ومنها المنتج التربوي الذي أنتجه هذا الواقع،

وتعني تلك الشخصيات التي قد تُنميها العمليات التربوية بكل أبعادها كالشخصية المُسيرة والمُتمرّدة والفهلوية، ودور المدرسة أو مسؤوليتها عن إنتاج هذه الشخصيات، واستمرار بعض هذه الظواهر في المجتمع كالتحايل والنفاق والفهلوية.

(إنّ زيارة لبعض الفصول من شأنها أن تجعلنا نرى الاختباء خلف الرُّعوس، واختيار المقاعد الخلفية، والنظرات الزائغة، وأعمال التخريب، وكل التطرفات التي يقوم بها التلاميذ، كظواهر عامة تستحق الدراسة. وقد تثور تساؤلات كثيرة حول هذه الشخصيات التي تنتج داخل مدارسنا؛ ما هي حقيقة هذه الشخصيات، كيف تنشأ، وتتكوّن سماتها، ومن المسؤول عن إنتاج هذه الشخصيات، وقد تكون الإجابة أنّ المدرسة - بسبب رسالتها الخفية - هي المسؤولة عن استمرار بعض تلك الظواهر).

كذلك هناك مسألة اللغة في واقعنا المصري وداخل مدارسنا؛ فمُفردات اللغة تلعب في الخطاب اليومي دوراً كبيراً في تشكيل التنظيمات والبنى الاجتماعية، ثم علاقات القوة والنفوذ وتوزيعها داخل مدارسنا. أيضاً يبدأ البحث الإثنولوجي النقدي بالتساؤل عن معنى التفوق ودلالته، إذا ما تكلمنا عن ضرورة الاهتمام بالمتفوقين، وفتح فصول خاصة بهم داخل بعض المدارس، وهناك مشكلته اختزال العملية التربوية في مدارسنا إلى اعتبارها مجرد عملية تحصيل وهو ما أصبح الآن هو كل الواقع التربوي وارتبطت به معانٍ كثيرة، مثل معنى "التلميذ الجيد" و"المدرسة الكفاء"؛ حيث اختزلت التربية إلى التحصيل وتجويد الحفظ. ونصل إلى مشكلة "الدروس الخصوصية"، وهي مشكلة مهمة في واقعنا التربوي تُشكّل ضغوطاً مادية ومعنوية قاسية ومريرة على الأسرة وأبنائها، وتُفسد السياق التعليمي والثقافي والحضاري برمته في بلادنا.

وينطلق المدخل الإثنوجرافي من اعتبار أن كل ما يدور داخل المدرسة هي حقائق اجتماعية، أُنجِزَت من خلال التفاعل اليومي بين الأطراف المشاركين، وما تم فيه من تفاوضات واتفاقات، وإنّ فالدروس الخصوصية هي مُنتج اجتماعي صنعه وأبدعه أعضاء الموقف في إطار القواعد والمقولات الحاكمة، وهناك أيضاً مشكلة الازدواجيات التي تفاقمت الآن في نظامنا التعليمي (مدارس عامة ومدارس خاصة ومدارس عامة عربي ومدارس عامة لغات ومدارس خاصة أجنبية ومدارس دينية عامة وخاصة وهكذا). ويرتبط بهذه الازدواجيات مسألة أخرى هي مسألة العدالة الاجتماعية في المجتمع وإلى أي حد تصنع هذه المدارس المتعددة - الازدواجيات - فروقاً اجتماعية؟ وكيف؟ ونصل إلى خاتمة هذه الدراسة التي هي محاولة لتأسيس إثنوجرافيا نقدية

كمدخلٍ كفيٍّ في علم اجتماع التربية. وقد ميّزت الدراسة بين ثلاثة أنواع مختلفة للإثنوجرافيا:

(1) الإثنوجرافيا التقليدية التي ارتبطت بتقاليد المدرسة الوظيفية في الأنثروبولوجي وعلم

الاجتماع، وتقوم على مفاهيم المكانة والدور والمعايير والقيم كمفاهيم مُسبقة لفهم التفاعل.

(2) الإثنوجرافيا التأويلية المرتبطة بتقاليد علم الاجتماع الرمزي في اتجاهاته الثلاثة، أو في

واحد منها أو أكثر (التفاعلية الرمزية، الفينومينولوجي، والإثنومثيودولوجي).

(3) الإثنوجرافيا النقدية التي تعتمد على محاولة للتأليف بين (التقاليد التأويلية الرمزية

الثلاثة) من جهة، و(التقاليد النقدية) التي تستند إلى منظور دياكتيكي في الربط بين

التحليلات السوسيولوجية للظواهر الصغيرة في الحياة اليومية داخل المدرسة، والتحليلات

السوسيولوجية للظواهر الكبيرة في المجتمع من جهة أخرى.

وفي خاتمة الدراسة التي هي محاولة لتأسيس إثنوجرافيا نقدية، كمدخل كفي في علم

اجتماع التربية، يؤكد الدكتور حسن البيلاوي أن الإثنوجرافيا النقدية ليست مجرد وصف كثيف

لفهم خبرة الحياة المشتركة لمجموعة من الأفراد، إنما هي - أساساً - نشاط نظري يعكس توجهاً

إبستمولوجياً، وافتراضات، ورؤى نظرية.

وقد ميّزت الدراسة الحالية بين الأنواع الثلاثة المختلفة للإثنوجرافيا والتي أشرنا لها سابقاً

في عرضنا لهذا الكتاب؛ وهي: الإثنوجرافيا التقليدية، والإثنوجرافيا التأويلية، والإثنوجرافيا

النقدية، والتي نتعرف إليها بالتفصيل عند قراءتنا الدقيقة لمضمون تلك الدراسة المفيدة للتربويين

والعاملين في مجال التربية والتعليم.

إذن يمكن أن نجمل القول بأن الإثنوجرافيا النقدية - في مجال التربية - تساعدنا على فهم

واقع الحياة اليومية في مدارسنا المصرية، كما تقودنا إلى اكتشاف إمكانات التغيير الكامنة في

هذا الواقع.

إن "الإثنوجرافيا النقدية" تتيح لنا أن نعرف الناس شخصياً وعن قُرب، وأن نراهم

على نحو ما ينتجون ويصنعون تعريفاتهم وخبراتهم في مواقف الحياة اليومية.

سياسات وقواعد النشر

مجلة الطفولة والتنمية.. مجلة علمية، متخصصة، فصلية، محكمة، تُعنى بشئون الطفولة والتنمية في الوطن العربي.

سياسات النشر:

- تنشر المجلة الأعمال العلمية ذات الصلة بالطفولة والتنمية، والتي لم يسبق نشرها أو تقييمها في جهة أخرى.
- تُعبر الأعمال التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبها.. ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس العربي للطفولة والتنمية.
- تُعرض البحوث والدراسات المقدمة على اثنين من المحكمين، يكون رأيهما ملزماً، وفي حالة اختلاف الرأي يعرض البحث أو الدراسة على مُحكم ثالث، يكون رأيه قاطعاً.
- يسدد الباحث مائة دولار أمريكي أو ما يعادلها بالجنيه المصري. عن الأبحاث المرسلة للتحكيم والنشر.
- الأعمال العلمية التي تقدم للمجلة ولا تنشر.. لا تُعاد إلى صاحبها.
- الالتزام بالأصول العلمية في إعداد وكتابة العمل العلمي من حيث كتابة المراجع وأسماء الباحثين والاقتباس والهوامش، ويفضل وضع الهوامش والمراجع في نهاية الموضوعات.
- تكون أولوية النشر للأعمال المقدمة حسب أهمية الموضوع، وأسلوب عرضه، وتاريخ التسلم، والالتزام بالتعديلات المطلوبة.

قواعد النشر:

- أن تُرسل الأعمال العلمية بالبريد الإلكتروني الخاص بالمجلة info@arabccd.org، وإذا لم يتيسر ذلك: ترسل الأعمال العلمية من نسختين ومطبوعة على جهاز الكمبيوتر.

- يُشار إلى جميع المراجع - العربية والأجنبية - ضمن البحث بالإشارة إلى اسم المؤلف وسنة النشر، والموضوع، ودار النشر، والطبعة (إن وجدت)، والمدينة، والصفحات (في حالة الهوامش).
- الأعمال المقدمة ينبغي أن تكون مكتوبة بلغة سليمة وبأسلوب واضح.
- يرفق بالعمل المرسل للنشر بيان يتضمن اسم الباحث وجهة عمله وأرقام الاتصال والبريد الإلكتروني، وعنوانه كاملاً، وكذلك نسخة من السيرة الذاتية.
- يُعدُّ العمل العلمي قابلاً للنشر إذا توافرت فيه المعايير السابقة في سياسات وقواعد النشر، مع مراعاة اتباع الآتي:

الدراسات والبحوث :

- أن تقدم في حدود (5000 كلمة، أي قرابة 25 صفحة).
- أن تخضع لسياسة التحكيم المشار إليها في سياسات النشر.
- أن تكون مصحوبة بملخص لا يزيد على الصفحة باللغة العربية و صفحة بالإنجليزية.

مقالات :

- ألا يزيد عدد كلمات المقال على (4000 كلمة، أي قرابة 20 صفحة).
- أن تكون الموضوعات حديثة، لم يسبق نشرها.

تجارب ميدانية :

- ألا يزيد عرض التجربة على (3000 كلمة، أي قرابة 15 صفحة)؛ لتلقي الضوء على نجاحات تجربة حكومية أو أهلية عربية، لتعميم الفائدة.
- أن تكون العروض لتجارب حديثة ومستمرة.

عروض الكتب والرسائل الجامعية :

- ألا يزيد عدد كلمات العرض على (2000 كلمة، أي قرابة 10 صفحات).
- أن تكون الكتب والرسائل المعروضة حديثة، وألا يكون قد مضى على إصدارها أكثر من ثلاث سنوات.

عرض تقارير المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش :

- ألا يزيد عدد كلمات العرض على (1600 كلمة، أي قرابة 8 صفحات).
- أن تكون تلك الفعاليات حديثة، وذات أهمية بما تعكسه من مردود إيجابي.

الترجمات :

- ألا يزيد عدد كلمات الموضوعات المترجمة على (2000 كلمة، أي قرابة 10 صفحات).
- أهمية أن تكون تلك الترجمات حديثة، لم يمضِ على نشرها للمرة الأولى أكثر من ثلاث سنوات، مع الإشارة إلى المصدر الأصلي للنص واسم كاتبه.



ملفات الأعداد القادمة

يسعد مجلة الطفولة والتنمية تواصلكم بالكتابة في ملفات الأعداد القادمة.

- التربية الإعلامية للأطفال

- الصحة النفسية للأطفال

- جودة الحياة والأمراض المزمنة لدى الطفل العربي

كما تؤكد مجلة الطفولة والتنمية للقراء والمهتمين بمجال الطفولة العربية، رغبتها في تزويدها باقتراحاتكم حول موضوعات أخرى لملفات الأعداد التالية.

Catastrophic climate change affects children's rights and their future

Prof. Gamal Shafik Ahmed

The catastrophe of climate change has become the Earth's inability to absorb and overcome human activities, due to the reactions of the Earth system, which include a variety of dimensions in the Earth system, such as climate change, biodiversity loss, chemical pollution, air pollution, ocean acidification, ozone depletion, and other changes in Land use and fresh water consumption.

Although children are the least responsible group for climate change, they bear the greatest burden, as climate change poses a direct threat to children's ability to survive and violates their rights and future, given that they lack biological defense mechanisms that detoxify harmful pollutants. Climate Crisis Already more nearly every child on every continent faces frequent, severe and destructive climate risks throughout their future lives.

Although the prospects for the future are worrisome, there is a ray of hope, optimism, and space for action, and that there are many solutions that can help prioritize action, so that we can ensure that today's children inherit a livable planet.

The Quality of Kindergartens Teachers' Practices: Proposed Model

**Prof. Nahla Kahwaji
Hala Khaled Alharbi**

The study aimed to design a proposed model for evaluating the quality of kindergarten teacher's practices, guided by the standards of kindergarten teachers, and the researchers used the Delphi method, relying on the expert form as a tool for the study. The study found 101 indicators that contribute to measuring the quality of the teacher's practices, and recommended employing the model for development of the practices of early childhood teachers, and conducting future studies on the effectiveness of using the teacher's self-evaluation in improving the quality of her practices..

The negative effects of social media on the child and the family in the Arab society

Prof. Medhat Abu El-Nasr

The current research aimed to shed light on the negative effects of networks or social media on both the child and the family in the Arab society. As a prelude to monitoring these effects, social media was discussed in terms of definition, objectives, and characteristics.

The research also clarified how social media is used to commit electronic crimes, especially against children, adolescents and young adults. At the end of the research, a number of recommendations and proposals were presented that could contribute to strengthening the positives of social networks and overcoming their negatives or risks.

Among the recommendations of the research: the family has an important role to play in proper socialization process and correct religious education for children, educating these children in a proper way about the pros and cons of social media, clarifying the dangers resulting from the bad use of these means, continuous follow-up with them, and ensuring positive and effective dialogue with them, and guiding them to use The right way to the Internet to protect them with browsers that allow safe browsing of the Internet and protect them from the danger of inappropriate sites that are widely spread on the Internet.

Contents

- Editorial: **Prof. Hassan Al Bilawi**

Studies & Researches:

- 1- The Quality of Kindergartens Teachers' Practices: Proposed Model
Prof. Nahla Kahwaji- Hala Khaled Alharbi
- 2.-The negative effects of social media on the child and the family in the society- **Prof. Medhat Abu El-Nasr**
3. Pica disorder in children, its diagnosis and methods of treatment
Dr. Hoda Gamal Mohamed
4. Happiness feeling factors in children-**Prof. Randa Mostafa El -Deeb**
5. Child poetry in the Arab Gulf Region (perusal in children's periodicals) –
Assayed Abdel-Aziz Najm

Profile: Climate Change

1. Catastrophic climate change affects children's rights and their future
Prof. Gamal Shafiq
2. Analytical paper on combating child labor and immediate elimination of worst forms of child labor in Light of climate changes– **Ibrahim Shaban**

Books & Thesis Reviews

2. Critical Ethnography in school sociology -Reviewed by: **Ali Hamid**

- **Publishing Rules & Policies**

Editorial Board

Editor-in-Chief

Prof. Hassan Al Bilawi

**

Deputy Editor-in-Chief

Mohamed Reda Fawzy

**

Managing Editor

D. Abdalah Omara

**

Scientific Committee

(Alphabetical)

Prof. Gamal Shafiq

Professor of Psychology, Post

Graduate Studies Institute for

Childhood, Ain-Shams

University - Egypt

Prof. Hiam Nazif

Ex Dean, Faculty of Post

Graduate Studies for Childhood,

Ain-Shams University- Egypt

Prof. Mohamed Momen

Professor of Higher Education,

Royal Institute for Youth

Training - Morocco

**

Assistant Editor

Ethar Gamal

Layout

Mohamed Amin

Advisory Board (Alphabetical)

Prof. Ahmed Zayed

Professor of Sociology, Cairo University - Egypt

Prof. Dia'a Al-Deen Zahir

Professor of Educational Planning and Future Studies,

Ain-Shams University - Egypt

Dr. Ghassan Issa

General Coordinator, Arab Network for Early

Childhood Development - Lebanon

Prof. Hazem Mahmoud Rashed Qasem

Dean, Faculty of Education, Ain-Shams University - Egypt

Prof. Hoda Ibrahim Hussain Bashir

Dean, Faculty of Education for Early Childhood,

Alexandria University - Egypt

Prof. Ibtihag Tolba

Professor of Curricula and Child Programs, Faculty of

Education for Early Childhood, Cairo University - Egypt

Mr. Jebrin Al-Jebrin

Development Expert - Saudi Arabia

Prof. Maged Abou Al-Ainain

Ex-Dean, Faculty of Education,

Ain-Shams University - Egypt

Prof. Mohamed Bin Fatma

Head, Education Sciences Section,

Tunis University- Tunisia

Dr. Mohamed Mogdadi

Expert in the Field of Combating Violence Against Children,

Secretary General, National Council for Family Affairs - Jordan

Prof. Nabil Elsayed Hassan

Professor of Child Psychology, Faculty of Education for Early

Childhood, Menya University - Egypt.

Prof. Nahla Gahwaji

Dean, Faculty of Human Sciences and Designs,

King AbdulAziz University - Saudi Arabia

Dr. Randa Shaheen

Head, Public Education Sector, Ministry of Education

& Technical Education - Egypt

Prof. Tala'at Mansour

Professor of Psychological Guidance, Faculty of Education,

Ain-Shams University - Egypt

The Arab Council for Childhood and Development (ACCD) is an Arab regional non-governmental organization that has a legal entity and operating in the field of childhood, under the presidency of **HRH Prince Abdulaziz bin Talal bin Abdulaziz**. ACCD was founded in 1987 upon the initiative of the late **HRH Prince Talal bin Abdulaziz**, and a resolution issued by the League of Arab States.

CHILDHOOD & DEVELOPMENT Periodical

The price per issue in Egypt is LE. 80

Annual Subscription

	Individuals	Institutions
Egypt	LE 150	LE 300
Arab Countries	US\$ 50	US\$ 150
Foreign Countries	US\$ 75	US\$ 200

The researches, studies and articles published in this periodical express their writers' views and not necessarily the periodical's view. In addition, the order of published researches in this periodical is not reflective of the importance of any particular research or the status of the researcher.

CHILDHOOD & DEVELOPMENT Periodical

**An arbitrated scientific specialized periodical - Issued quarterly
by the Arab Council for Childhood and Development**

With the support of the Arab Gulf Programme for Development "AGFUND"

Accredited by : The Arab Citation & Impact Factor (ARCIF)

Copyright reserved for
The Arab Council for Childhood and Development
ISSN: 8681 - 1110

For Correspondence:

**Childhood & Development Periodical
Arab Council for Childhood and Development**

Intersection of Makram Ebeid & WHO Streets,
Nasr City, P.O. Box 7537, Cairo 11762, Egypt.

Phone: +202 23492024/5/9

Fax: +202 23492030

www.arabccd.org info@arabccd.org

**CHILDHOOD &
DEVELOPMENT
Periodical**

إن كان لك عقل كان لك فضل
خط عربي للفنان: منير الشعرائي

إن كان لك عقل كان لك فضل
خط عربي للفنان: منير الشعرائي

info@arabccd.org www.arabccd.org